

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعة الإسلامية - غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محمد الصديق

دراسة وصفية تحليلية

Islamic trends in Ahmed Mohammed Siddiq's poetry:
descriptive analytical study

إعداد الطالبة:

معالي شحدة الكحلوت

إشراف

أ.د. يوسف شحدة الكحلوت د. محمد مصطفى كلاب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

نموذج رقم (1)

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محمد الهمداني - دراسة وحيدة تحليلية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو
بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any
other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالب: معالي سيدة محمد الكلول

Signature:

التوقيع: معالي

Date:

التاريخ: ٢٠١٥ / ٦ / ٣



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ معالي شحدة محمد الكحلوت لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محمد الصديق - دراسة وصفية تحليلية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 26 جمادى الأولى 1436هـ، الموافق 2015/03/17 الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى اللحيان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	د. محمد مصطفى كلاب
.....	مشرفاً	أ.د. يوسف شحدة الكحلوت
.....	مناقشاً داخلياً	د. محمد شحادة تيم
.....	مناقشاً خارجياً	د. عبد الرحمن حمدان حمدان

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.
والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا



أ.د. فؤاد علي العاجز

ملخص الدراسة باللغة العربية

تهدف الدراسة إلى إظهار أثر الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني، وبالأخص عند الشاعر أحمد محمد الصّدّيق حيث اقتصرّت الدراسة على دواوين الشاعر مباشرة مبيّنة الاتجاه الإسلامي فيها إلى جانب دراسة القضايا الفنية المختلفة لإنصاف الشعر في هذا الاتجاه من التهم الموجهة إليه من ضحالة الفكر وضعف الأسلوب وركاكة العبارة وقلة التصوير البياني.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

١. الشعر في الاتجاه الإسلامي معين لا ينضب، ومن سماته الالتزام والصدق الفني والعقدي والإنسانية، والوعي بالمهمة المنوطة به.

٢. الشاعر الإسلامي واع بما يكتنف واقعه من مخاطر تحقّق بالأمة وتعصف بقيمها، لا يحيد عن أداء رسالته في تكريس القيم الأصيلة والخالدة، وتحمله لمسؤولية التغيير.

٣. تتنوع مضامين الشعر في الاتجاه الإسلامي عند الشاعر أحمد محمد الصّدّيق، إلى جانب خصوصية وغمارة الشعر في هذا الاتجاه.

٤. امتلك الشاعر أحمد محمد الصّدّيق المقومات الفنية للشعر الجيد وفق المعايير التي اتفق عليها النقاد من قوة العبارة وجزالة اللفظ وعمق التصوير وصدق التجربة.

وتوصي الباحثة بضرورة تناول الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين وغيرهم، لإبراز دور الإسلام في إنكاء روح الشعر، وتنمية الجوانب الفنية فيه.

والعمل على دراسة الاتجاه الإسلامي في الأشكال الفنية الأخرى كفن القصة والمسرحية داخل فلسطين وخارجها.

Abstract

This study aims at exploring the Islamic inclinations in the Palestinian poetry especially in the writings of Ahmed Mohammed Alsidiq. The study investigated his poetry collections to show the Islamic inclinations as well as other artistic and technical aspects influences by such inclinations. The Islamic poetry is always accused of imposing limitations on creativity, causing poorness of word choice, and lacking creative imagery. This study will refute such accusations in reference ti Alsidiq writings. This study concludes the following:

1. Islamic poetry is plentiful with different sources. It is characterized with commitment and being true to artistic, religious and human issues and principles.
2. The Islamic poet is aware of the dangers surrounding the Muslim nation.
3. Diversity of Islamic poetry contents which maintains the standards of composition, and has eloquence of speech, depth of imagery and truthfulness of the poetic experience.
4. The poet Ahmed Mohammed Alsidiq is a creative poet who has all the necessary qualities of modern poet. He is characterized with eloquence of word choice, depth of imagery and truthfulness of the poetic experience.

The researcher recommends studying the Islamic inclinations in the Palestinian poetry so as to show how Islam inspires writing poetry. This is also to study how Islam develops the artistic qualities of poetry so as to refute the common accusations against Islam of imposing limitations on creativity, causing poorness of word choice, and lacking creative imagery. It is also recommended to study the same inclinations not only in poetry, but also in short stories and novels inside and outside Palestine.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

سورة هود: ٨٨

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة...
وصبر أمي التي برضاها نلت المنى
إلى مشاعل الدرب إخوتي وأخواتي
إلى رفاق السبيل زوجي وأبنائي
إلى جميع أهلي وأحبابي
إلى أبناء فلسطين شهداء ومرابطين وجرحى
إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد.

شكر و عرفان

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على بشير هذه الأمة وشفيعها يوم الدين، أما بعد.

فعرفاناً مني بالجميل وامتناناً لقوله تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ النمل: ٤٠، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الجليلين: الأستاذ الدكتور يوسف شحدة الكحلوت، و الدكتور محمد مصطفى كلاب، اللذين تفضلا مشكورين بالإشراف على رسالتي، وأولياني الاهتمام الكافي، وأسديا إلي التوجيهات القيمة، التي أسهمت في إخراج هذا البحث المتواضع، وأسأل الله أن ينفع بعلمها، ويبارك في صحتها وعملهما، وأن يديمهما ذخرا للإسلام والمسلمين.

والشكر موصول لإدارة الجامعة، وقسم الدراسات العليا، وأخص بالذكر كلية الآداب وقسم اللغة العربية وأسائذته الذين سهلوا لنا سبل المعرفة، ومهدوا لنا طريق التفوق والنجاح.

وأنتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة: الدكتور محمد شحادة تيم، والدكتور عبد الرحيم حمدان اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث، وإثرائه بآرائهم القيمة، وتصويب ما فيه من أخطاء وإكمال ما فيه من قصور، إليهم جميعا وإلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل وفاء و عرفان.

الباحثة/ معالي شحدة الكحلوت

مقدمة:

الحمد لله منطق اللسان بتحميد صفاته، وملهم الخلائق إلى توحيد ذاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف مخلوقاته، وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به، واهتدوا بهداته ... أما بعد.

كانت الحضارة الإسلامية ولا تزال المورد العذب، والمعين الصافي الذي منه اغترفت البشرية أسباب رقيها وتقدمها في الآداب والعلوم والفنون، سماحة مأخذ، وانطلاقة فكر، وسعة أفق، ورحابة نظرة، ونضج ثمرة.

لقد كان الأدب العربي قبل الإسلام منحصرًا في أغراض بعينها من الشعر وأبواب محددة من الخطابة، وهو في حالتيه هاتين كان على مستوى رفيع من الإجابة ومقام مرضي من الإبداع، فلما جاءت الرسالة الإسلامية بدأ هذا الأدب يرقى غاية، ويتسع نطاقًا، ويتعدد أبوابًا، ويتأثر بتلك الحضارة، مما جعل أفقه أكثر رحابةً، وفنونه أكثر خصوبةً، ونتاجاته أكثر إبداعًا.

فقد كان الأدب في موكب الحضارة الإسلامية من السخاء والسماحة والكرم والعطاء بحيث فتح قلبه لكل من اتصل بتلك الحضارة بوشيجة من الوشائج، وكلنا يقر أن الحضارة البناء الرشيدة، تنتج أبا متماسكًا غير متهاكك، ناضجًا غير متخاذل، ساميًا غير مبتذل، رفيًا غير مترخص، جادًا غير هازل.

إن موضوعات الشعر العربي القديم كما صنفه النقاد: مدح وفخر وهجاء وخمر وغزل ورثاء وصور وأساليب، ولكن الشعر في ظل حضارتنا فن يساير التطور ويواكب أحداث المجتمع، ويهتم بشئون البيئة الجديدة بما فيها من صراع وتحول وتقدم وانطلاق.

ونحن لا ننكر أن الشعر العربي واكب الدعوة الإسلامية فنافح عنها، ثم سار في ركب الفتوح وجاء بكل معنى إنساني جديد، وسائر أحداث الأمة الإسلامية ونكباتها مستحدثًا فنونًا شعرية تحاكي الواقع المرير لهذه الأمة، وترسم الأمل على شفاه أبنائها، فتعددت أغراضه وتنوعت أساليبه وصوره. إنها الحضارة الجديدة وانعكاساتها تتطور وتنمو وتتضج فتثمر ثمارًا شهية للعقول والأذهان.

وإذا كان لكل شيء أصوله فان للاتجاه الإسلامي أصولًا راسخة نابعة من الحضارة الإسلامية آنفة الذكر، حيث نشأ وفي أعماقها نما وترعرع، فقدم أدبًا إسلاميًا صافيًا ينبض بالقيم والمعارف السامية ذات الأصول الثابتة.

أولاً: أهمية الموضوع:

يعتبر الأدب رافداً من روافد الحضارة العربية والإسلامية، فيه انعكاس لحياة الشعوب، وهو مرآة لتلك الحضارة، وصورة للواقع، واستشراف للمستقبل، به يسمو الإنسان، وتفتح الآفاق، وتتسع المدارك لفهم مغاليق الكون، فبالأدب يصل الإنسان إلى فهم ظواهر الحياة وتذوق كفياتها، تقترب به من الأدباء فنهم حاضرننا ونعتز بماضيها ونأمل في مستقبلنا.

ثانياً: أسباب اختياري لدراسة الاتجاه الإسلامي:

لأن الإسلام سلم وأمان، ونور وحضارة، فمن سلم وأمن كتب و أبدع، وأضاء العالم بنور فنه، وقد اخترت الاتجاه الإسلامي لأسباب عدة منها:

- ١ - الحرص الشديد على إبراز الاتجاه الإسلامي في الشعر باعثاً ومحركاً في توجيه مشاعر الأمة.
- ٢- دحض الشبهات التي تكال للشعر في الاتجاه الإسلامي من ضحالة الفكر وضعف الأسلوب وابتذال المعنى وقلة التصوير، فأردت إنصاف الشاعر في هذا الاتجاه من التهم الموجهة إليه.
- ٣- بيان أثر الإسلام في مضمون الأدب الإسلامي وشكله الفني.
- ٤- إظهار الدور الذي يلعبه الأدب الإسلامي في تغذية روح الجهاد ضد الأعداء، والدفاع عن قيم المجتمع الأصيلة.
- ٥- إبراز رسالة الأدب الإسلامي في التعبير عن المشاعر تعبيراً صادقاً مظهرةً الغاية من الأدب وهي تحقيق إنسانية الإنسان، وإحقاق الحق، بما لا يتعارض مع العقيدة السليمة ورسالة الإسلام الخالدة.

ثالثاً: سبب اختياري الشاعر أحمد محمد الصديق موضوعاً لبحثي:

فقد قرأت كثيراً عن الشعراء العرب عامة والشعراء الفلسطينيين خاصة، ووجدت الكتب والدراسات والأبحاث تعج بأسماء الكثير من الشعراء الفلسطينيين أمثال: سميح القاسم، ومحمود درويش، ومحمد العدناني، والشاعر البحري، وعدنان النحوي، وأحمد فرح عقيلان، وغيرهم ممن يمثلون جميع الاتجاهات، فقلت في نفسي لعل هذا دأبهم فالكثير يسعى إلى البحث والاستقصاء عن أديب أو شاعرٍ فارقتنا بجسده وبقيت أعماله الأدبية، إيفاءً لحقه ووفاءً له بعد موته، ولكن أليس من الحق إيفاء الحي حقه قبل الميت فما زال هناك الكثير من المبدعين الذين ما زالت إبداعاتهم بكرّاً لم تمتد إليها يد باحث أو اقترب منها قلم ناقد، ولم تر النور الذي تستحق أن توضع فيه، في مكانة مميزة إلى جوار روائع من سبقهم من المبدعين، ومن هذا المنطلق لم أجد إلا القلة الذين يذكرون الشاعر أحمد محمد الصديق على كثرة أشعاره، فوجدت أنه من واجبي الوفاء له وإخراج أشعاره إلى دائرة الضوء.

إلى جانب أسباب أخرى نذكر منها ما جاء في خطة البحث:

- ١- غزارة الإنتاج الفني للشاعر وخصوبته مع قلة الدراسات التي تناولت أعماله الفنية بالدرس والتحليل، فأردت تسليط الضوء على دواوين الشاعر بدراستها وبيان قيمتها الموضوعية والفنية، إلى جانب طرح بعضاً من أفكاره الإصلاحية للمجتمع الإسلامي.
- ٢- معاصرة الشاعر للمراحل والتطورات والمنعطفات التي مرت بها القضية الفلسطينية عبر حقبة طويلة من الزمن فكان مؤرخاً لأحداثها مواكباً لقضاياها، مع معاصرته للكثير من القضايا الإسلامية والعالمية الأخرى.

رابعاً: المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة الأدبية ثم يحلل مفرداتها وأجزاءها. أما خطة الدراسة فكانت على النحو الآتي:

التمهيد ويتضمن:

أولاً: التعريف بالشاعر: حياته، مسيرته العلمية والعملية والأدبية.

ثانياً: مفهوم الاتجاه في الأدب.

الفصل الأول: مصادر الشعر عند الشاعر أحمد الصديق

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني: الاتجاهات الإسلامية في شعر أحمد الصديق

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاتجاه الديني والإسلامي.

المبحث الثاني: الاتجاه الوطني.

المبحث الثالث: الاتجاه الاجتماعي.

المبحث الرابع: الاتجاه السياسي والقومي.

الفصل الثالث: اللغة في شعر أحمد الصديق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم اللغة الشعرية.

المبحث الثاني: المعجم الشعري: الألفاظ والتراكيب.

المبحث الثالث: الأساليب البلاغية: الاستفهام - الأمر - التعجب - النداء - النفي.

الفصل الرابع: الصورة في شعر أحمد الصديق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الصورة الشعرية.

المبحث الثاني: أنماط الصورة عند أحمد الصديق: صورة جزئية - صورة كلية.

المبحث الثالث: وسائل تشكيل الصورة في شعر أحمد الصديق:

التشخيص - التجسيم - تراسل الحواس - الرمز.

الفصل الخامس: الموسيقى الشعرية عند أحمد الصديق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الموسيقى الشعرية.

المبحث الثاني: الموسيقى الخارجية: نظام الإيقاع الخليلي - نظام إيقاع التفعيلة.

المبحث الثالث: الموسيقى الداخلية: التكرار - التقطيع الصوتي - المحسنات البديعية.

ثم أنهيت بحثي بخاتمة رصدت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

الدراسات السابقة:

كان اعتمادي في هذا البحث على دواوين الشاعر مباشرة وذلك لعدم وجود دراسات علمية تناولت أعماله بالدرس والتحليل، إلى جانب ما خطه الشاعر بيده من سيرة ذاتية وذلك بعد التواصل معه مباشرة للحصول عليها، بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية، والاستعانة ببعض الدراسات التي تحدثت عن الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين، كدراسة الدكتور محمد شحادة تيم وهي دراسة لنيل درجة الماجستير، ودراسة الدكتور علي يوسف اليعقوبي التي تناول فيها الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد فرح عقيلان، ودراسة الدكتور مأمون فريز جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، والاتجاه الإسلامي في الشعر للباحث يوسف الهشيم، وقد أفدت كثيرا من المراجع والمصادر التي تتناول القضايا الفنية.

صعوبات الدراسة:

واجهت الباحثة العديد من الصعوبات التي تم العمل على تذليلها فيما بعد، حيث تعذر الحصول على دواوين الشاعر بالرغم من كثرتها، كما أن الباحثة لم تعثر على سيرة ذاتية شاملة للشاعر سوى بعض الكتب التي ذكرت الشاعر ضمن الشعراء الفلسطينيين الملتزمين بالدين الإسلامي لكنها لم توقّه حقه، فعملت جاهدة على التواصل المباشر مع الشاعر حيث يقيم في دولة قطر فأمدني بمجموعة من دواوينه، وسيرة ذاتية مخطوطة بيده فكان اعتمادي عليها بالدرجة الأولى.

والله ولي التوفيق وله الحمد والمنة أولاً وأخيراً

تمهيد:

الشاعر ابن فلسطين فيها نشأ، وفي ربوعها استنشق أولى نسيمات الحياة، عشق ترابها وماءها ونسيمها، فكانت له الأم والصدر الحنون ومبعث القريحة، وحلم العودة، من ترابها عفر جبينه، وصنع مداده.

أولاً: نشأة الشاعر:

ولد الشاعر أحمد محمد الصديق ببلدة شفا عمر قضاء حيفا، في تاريخ "١٢ - ٧ - ١٩٣٧م"، وفيها قضى طفولته وصباه وبداية شبابه، وكان الولد الوحيد لأهله بين ثلاث بنات، وأخ متوفى قبل ولادته.

نشأ في بيت مستور الحال، غلب عليه الفقر - بعد يسر سابق - بسبب الاجراءات التعسفية التي قام بها الانجليز بعد ثورة الـ ٣٦ وما تبعها من نكبة وتشريد^(١).

أ - مسيرته العلمية:

التحق في السابعة من عمره بالمدرسة الحكومية الابتدائية في بلدته شفا عمر لمدة ثماني سنوات^(٢)، ثم أكمل تعليمه بالمدرسة الأرثوذكسية الثانوية في مدينة حيفا، بمنحة دراسية من الحكومة، والمجال لا يتسع هنا لذكر معاناة الشاعر وأقرانه على حواجز الاحتلال، فكما يبدو هي معاناة قديمة حديثة في آن واحد مما لم يتح للشاعر إكمال دراسته بسبب النزوح إلى لبنان إبان النكبة.

وشاعت مقدرة الخالق أن يواصل مسيرته التعليمية في قطر على يد أساتذة وشيوخ عظماء كالشيخ يوسف القرضاوي حيث لازمه فترة طويلة اكتسب فيها الكثير من خبراته، وتزود بالعلوم الدينية والأدبية بالدرس والمطالعة، كما وتثقف بالعلوم المختلفة، مما ساعده على بناء شخصية مثقفة ملتزمة بدينها وقضايا أمتها^(٣).

حصل على شهادة الليسانس في الشريعة من جامعة أم درمان بالسودان سنة ١٩٧٠م^(٤).

نال شهادة الدبلوم العام في التربية من جامعة قطر، ثم حصل على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر بمصر.

(١) السيرة الذاتية، بخط يد الشاعر، ص: ١.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

(٣) السابق، ص: ٢٨ وما بعدها.

(٤) السابق، ص: ٣٢ و٣٣.

حصل على الجنسية القطرية، ومتزوج من سودانية وله منها عدد من الأبناء^(١).

ب- الحياة العملية:

عمل في البداية في مصنع للألبان في لبنان^(٢)، ثم انتقل إلى قطر مسئولاً للإنتاج في المصنع نفسه بعد شرائه من قبل رجل أعمال قطري، فكانت فاتحة الخير له^(٣)، عمل بعدها في المحكمة الشرعية القطرية.

وبعد حصوله على الليسانس عمل مدرساً بوزارة التربية والتعليم القطرية حتى العام ١٩٧٨، ثم انتقل للعمل بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيساً لأحد أقسامها، وتسلم العديد من المناصب كخبير شرعي وغيره من المناصب^(٤)، ويتولى خطبة الجمعة منذ نحو عشرين عاماً^(٥) وكان لذلك أثر واضح في شعره حيث أسهمت الخطابة في التكوين الثقافي للشاعر وظهر ذلك جلياً حين كان يتحدث عن الإصلاح الاجتماعي ونقد السياسات العربية والعالمية.

ج- البواكير الأولى لشعره:

أظهر الشاعر حباً للقراءة منذ الصغر فقرأ في الأدب: المقالة والقصة القصيرة وتراجم السير لبعض الأدباء والشعراء، وكان في الخامسة عشرة من عمره حين اكتشف قدرته على كتابة الشعر، حيث يقول "وكانت مادة العروض مقررة في هذا العام الدراسي، وأذكر أن مدرس اللغة العربية في امتحان الفصل الأول قال لنا في الدقائق الخمس الأخيرة من امتحان العروض: من يكتب من تأليفه بيتاً شعرياً على بحر الوافر سأمنحه الدرجة الكاملة، فكتبت على الفور من تألّفي:

معاشره الكرام أعزُّ مجدٍ يقودُ إلى السعادةِ والفلاحِ

(١) للاستزادة انظر: مدونة الشاعر الإسلامي أحمد محمد الصديق: <http://ashaer.blogspot.com>

اسلام سيفلايزيشن - السيد فالح آل الحجية الكيلاني: <http://falih.ahlamontada.net/t479-to>

ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

وزارة الثقافة والفنون والتراث بوابة قطر الثقافية: <http://www.moc.gov.qa/Arabic/Authors/Pages>

منتدى مزامير: <http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=126004>

مجلة الفاتح، العدد الرابع: <http://al-fateh.net/hide/arch/for/siddic.htm>

(٢) انظر السيرة الذاتية، ص: ٢٣.

(٣) السابق، ص: ٢٥.

(٤) السابق، ص: ٣٩.

(٥) منتدى مزامير، <http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=126004>

ونلتُ الدرجة الكاملة كما وعد^(١)، فكانت هذه أولى البواكير، ويبرز هذا الموقف مدى تمكن الشاعر من قول الشعر الموزون على السليقة وبدون سابقة، ثم كتب بعد ذلك مقطوعة شعرية وعرضها على أستاذه فلاقت إعجابه^(٢)، وقد كان للأدبية نجوى قعوار الدور الكبير في حب الشاعر للأدب، حيث قرأ مجموعتها القصصية "مصاييح على درب"، وحين طلبت من طلابها كتابة موضوع إنشاء حر كتب شاعرنا قصيدة بعنوان الربيع ومطلعها^(٣):

عُدْ يا ربيعُ ويا نَضارَةَ عودًا يكما سيزدهرُ الجمالُ وروداً

فأعجبت بها وشجعت، ثم طلبت منه تحويل قصة البخلاء للجاحظ إلى مسرحية ففعل^(٤)، وتوالت بعد ذلك كتاباته الشعرية الهادفة الراضة للصهيونية ومخططاتها في القضاء على الوعي الإسلامي العربي.

د- نشاطه الأدبي:

بدأ بنشر قصائده في الصحف اليومية في فلسطين المحتلة أيام دراسته الإعدادية والثانوية قبل خروجه منها عام ١٩٥٦م، شارك بشعره في مهرجانات ومناسبات وطنية عديدة، وكان له نشاط طلابي ملحوظ.

- نشرت له مجلة الحق القطرية، ومجلتا المجتمع والوعي الإسلامي الكويتيان، ومجلة البعث الإسلامي في الهند، ومجلة الشهاب اللبنانية كثيراً من شعره.
- شهدته الندوات الشعرية في الدوحة -قطر، وجمعيات الإصلاح في الإمارات، والكويت، والبحرين شاعراً محلقاً مجلياً أصيلاً.
- دخلت بعض قصائده ضمن المقررات في مناهج اللغة العربية بدولة قطر ودولة الإمارات، وفي المدارس الفلسطينية في لبنان.
- أنشد الكثير من قصائده الدينية والوطنية والاجتماعية، وانتشرت أشروته المسجلة على نطاق واسع.
- كان له في السودان نشاط شعري كبير في الاحتفالات والندوات وفي الصحف، والمجلات، وأشهر المجالات التي نشرت له مجلة الميثاق الإسلامي.

(١) السيرة الذاتية، ص: ١١.

(٢) السابق، ص: ١١.

(٣) السابق، ص: ١٣.

(٤) انظر السيرة، ص ١٣ - ١٤.

هـ - دواوينه:

بلغت دواوينه ثلاثة عشر ديواناً^(١):

- ١- جراح وكلمات.
- ٢- هكذا يقول الحجر.
- ٣- قصائد إلى الفتاة المسلمة.
- ٤- يا سرايفو الحبيبة.
- ٥- ملحمة الشيشان.
- ٦- أناشيد للصحة الإسلامية.
- ٧- نداء الحق.
- ٨- الإيمان والتحدى.
- ٩- طيور الجنة.
- ١٠- قادمون مع الفجر.
- ١١- هو الله.
- ١٢- أناشيد للطفل المسلم ٣ أجزاء.
- ١٣- البردة الجديدة.

وهناك بعض المواقع تذكر ديوانين باسم ملحمة القدس وقناديل^(٢).

إن كان لا بد من تعقيب فبعد اطلاعي على المسيرة العلمية والأدبية للشاعر تبين لي أنه شاعر موهوب، نبغ في الشعر منذ صباه، امتاز في شعره بالركة والصفاء، وجاء صادق الإحساس والتصوير، نسج أكثره على منوال النظم العربي الأصيل، ولكنه تأثر بالشعر الحديث، ونسج على منواله، ولم يخرج فيه عن الوزن الشعري.

(١) مدونة الشاعر الاسلامي أحمد محمد الصديق، <http://ashaer.blogspot.com>

إسلام سيفلايزيشن - السيد فالح آل الحجية الكيلاني <http://falih.ahlamontada.net/t479-to>

ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://ar.wikipedia.org/wiki>

وزارة الثقافة والفنون والتراث بوابة قطر الثقافية، <http://www.moc.gov.qa/Arabic/Authors/Pages>

منتدى مزامير، <http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=126004>

مجلة الفاتح، العدد الرابع، <http://al-fateh.net/hidden/arch/for/siddic.htm>

(٢) وزارة الثقافة والفنون والتراث بوابة قطر الثقافية، <http://www.moc.gov.qa/Arabic/Authors/Pages>

ثانياً: مفهوم الاتجاه الإسلامي في الأدب:

لتحديد مفهوم الاتجاه الإسلامي، لابد من تعريف الأدب بوجه عام، فالأدب في اللغة "هو الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح"^(١) أما الأدب في الاصطلاح: فقد ذهب علماء اللغة في معنى لفظة "أدب" مذاهب شتى، فمنهم من قال: "إنه الظرف وحسن تناول، ومنهم من قال: إنه عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ ويستفاد من أقوالهم جميعاً أنه خطة المحامد وسنة الفضيلة والاستقامة"^(٢)، و "هو" كل ما عبر عن معنى الحياة بأسلوب جميل، فلا بد لعد الشيء أدباً من ركنين: معانٍ تنثير العاطفة، وألفاظ جميلة أدبت بها المعاني"^(٣) ولغة الأدب تختلف عن لغة التخاطب اليومية لما يشتمل عليه من معانٍ أنيقة في أسلوب لغوي جميل فالأدب هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح والتعبير المتين والأسلوب البارع والخيال الواسع وهكذا لا نعد الكلام المتداول في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلام الدائر في الرسائل العادية من إخوانية وتجارية ولا الكلام المستعمل في الصحف اليومية والكتب العلمية أدباً، إلا أن يتأنق المتكلم أو الكاتب فيه فيدخل ذلك الكلام حينئذ في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة والتأنق"^(٤)، فهو "تعبير راق عن المشاعر والأفكار والآراء والخبرة الإنسانية"^(٥)، وهو "الكلام البليغ، الصّادر عن عاطفة، المؤثر في النفوس"^(٦)، والأديب هو "كل من أحسن العربية وتعاطى صناعاتي النظم والنثر ببلاغة"^(٧).

(١) لسان العرب، ابن منظور: (العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري - المتوفى سنة: ٧١١م) تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب - محمد الصادق العبيدي، ط٣ (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ٢٠٠٣م)، مادة أدب.

(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط٢ (بيروت - دار الجيل ١٩٩٥)، ص: ١٢.

(٣) المفصل في تاريخ الأدب العربي، في العصور القديمة والوسيلة والحديثة، أحمد الإسكندري وآخرون، ط٢ (بيروت - دار إحياء العلوم ٢٠٠٤م)، ص: ٣٩.

(٤) تاريخ الأدب العربي، محمد فروخ، ط٤ (بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨١)، ج ١، ص: ٤٤.

(٥) منتديات ستار تايمز، تعريف الأدب، اليوم: الاثنين، س: ١٠، <http://www.startimes.com/f.aspx?t=32168834> بتاريخ ٢٠١٣-١١-٢٠م.

(٦) منتديات سيدتي، تعريف الأدب يوم الاثنين، س: ١٠، <http://forum.sedty.com/t70555.html> بتاريخ: ٢٠٠٨-٤-٢٠م.

(٧) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ١٤.

أما الاتجاه في اللغة فيقال: "وتجهت إليك أتجه أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو ووجه إليه كذا: أرسله، ووجهته في حاجة ووجهت وجهي لله وتوجهت نحوك وإليك^(١)، والاتجاه اصطلاحاً: لتعريفه لابد من التطرق لتعريف المذهب لتقريب المفهوم، عرّف كامل السوافيري المذهب الأدبي بقوله: "المذهب الأدبي مجموعة مبادئ وأسس فنية يدعو إليها النقاد ويلتزم بها الكتاب والشعراء في إنتاجهم ، تربط الأدب في شكله ومضمونه بمطالب العصر وتياراته الفكرية"^(٢)، فالاتجاه هو المنحى الذي يتخذه الأديب، أو المسار الذي يخطه لنفسه للسير وفقه، وهو "إتباع منهج أدبي أو فني يتصوره الأديب في نفسه وعقله، عندما يتأثر بحدث ما في مجالات الحياة التي تعج بهذه الأحداث والأفكار، ويكون اختياره لهذا المنهج قد تبلور بعد رؤية شاعرية اختمرت في وجدانه، ووجدت هذه الرؤية طريقها إلى التعبير باستخدام الأدوات المناسبة لإخراج هذا الفن إلى الوجود"، أو هو تفسير موقف الإنسان من مجموعة من القيم والمبادئ والمثل^(٣).

فنقول هذا أديب إسلامي لما يغلب على كتاباته من طابع إسلامي، وهو أدب قائم على أسس إسلامية، مرتبط بالقواعد الربانية، وهو ما اصطلح على تعريفه بالأدب الإسلامي، فمصطلح الاتجاه الإسلامي مرادف لمصطلح الأدب الإسلامي، فما هو الأدب الإسلامي وما هي السمات المميزة له؟

الأدب الإسلامي:

تدل كلمة الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى^(٤) في قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾^(٥)، وأهم أصل في العقيدة الإسلامية: الإيمان بوحداية الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٦)، ثم بعد ذلك الإيمان بكتبه سبحانه وتعالى - وآخرها القرآن الكريم، والعمل بمقتضاه، والسير وفق تعاليمه، ولم يرسم القرآن الكريم - بوصفه دستور المسلمين - للمسلمين

(١) لسان العرب، مادة وجه.

(٢) الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، كامل السوافيري، ط١ (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣)، ص: ٢١٠.

(٣) الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد فرح عقيلان، علي يوسف يعقوبي، رسالة ماجستير، (د-ت) ، ص: ٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، د.ط (القاهرة - دار المعارف د.ت) ص: ١١.

(٥) سورة الزمر: الآية: ٥٤.

(٦) سورة الإخلاص.

معالم عقيدتهم وفروضها فحسب، بل رسم لهم أيضًا طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم حتى ينالوا رضا الله ومحبه^(١).

وقد كثرت التعريفات للأدب الإسلامي وسنكتفي بذكر بعضًا منها:

الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبر عن الإنسان ومحيطه وفق النظرية الإسلامية لهذا الكون، وهو أيضًا "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون، في حدود التصور الإسلامي لها"^(٢).

ونذكر تعريف سيد قطب - رحمه الله - : "الأدب الإسلامي هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"^(٣).

وتعريف د. عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - : "الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرًا ينبع من التصور الإسلامي للخالق - عز وجل - ومخلوقاته، ولا يجافي القيم الإسلامية"^(٤).

وتعريف محمد حسن بريغش: "الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي"^(٥).

وتعريف الدكتور نجيب الكيلاني: "الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعت للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما"^(٦).

وتعريف عماد الدين خليل: "هو الفن الذي يركز بالدرجة الأولى على أعماق التجربة"^(٧).

وتعريف محمد قطب " هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود"^(٨). يتضح لدينا مما سبق أن الأدب الإسلامي هو الذي يقوم على الأسس الإسلامية، وهو الأدب الخالد الذي يبقى مرتبطًا بالقواعد الربانية، معطيا أبهى الثمار وأحلاها، يغرس معاني الخير والفضيلة، وبقنل

(١) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص: ١٤.

(٢) رابطة الأدب الإسلامي العالمية، <http://www.adabislami.org>

(٣) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ط١ (القاهرة - دار الشروق د.ت) ص ٩.

(٤) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، عبد الرحمن رأفت الباشا، د.ط (القاهرة - دار الأدب الإسلامي د.ت) ص: ٩٢.

(٥) الأدب الإسلامي أصوله ومناهجه، محمد حسن بريغش، ط١ (دار البشير - عمان، ١٩٩٢م)، ص: ١٠٧.

(٦) الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، ط١ (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م)، ص: ٤٨.

(٧) في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل، ط٢ (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨١)، ص: ٤٣.

(٨) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط٦ (دار الشروق - بيروت، ١٩٨٣)، ص: ٦.

جنور الشر والرديلة، فيؤتي أكله مباركا، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٥﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١)، وهو ما أنتجه الأدباء والمبدعون من كتابات وإبداعات ودراسات ذات طابع إسلامي، مبرز الشخصية الإسلامية المتربية في أحضان العقيدة السليمة، والهدف الذي يسعى إليه الأدب الإسلامي وهو الإمتاع والإقناع وتحقيق الغاية النابع من التصور الكلي لحقائق الوجود وارتباطها ببعضها.

سبق وقمنا بتعريف الأدب الإسلامي بشكل عام وذكرنا بعض خصائصه من خلال التعريفات المختلفة، وسنقوم بتوضيح مفهوم الشعر في الاتجاه الإسلامي، وعوامل ظهور هذا الاتجاه، وأسباب انتشاره في الدول العربية كافة، وفلسطين خاصة، فحينما نقول شعر إسلامي، قد يتبادر إلى ذهن السامع أن المراد بذلك الشعر مجموعة من القصائد التي يرد فيها ذكر اسم الله تعالى، أو يتردد فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم- أو تكون مقصورة على الحديث عن الصلاة والصيام والحج والزكاة، وغير ذلك من تعاليم الإسلام وأركانه، لكن هذا التصور للشعر في الاتجاه الإسلامي محدود الأفق، "قالدين الإسلامي ليس ديناً قاصراً محدوداً في العبادات وحدها حتى يقال عنه إنه إذا سايه أدب كان أدباً منحصراً في العبادات وحدها، بل إنما الإسلام هو الدين الفريد الذي اتسع كاتساع الإنسان وامتد كامتداد حياته، ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل"^(٢)، ولا يشعر في الأدب الإسلامي بعجز أو قصور إلا الذين يتصورون في الإسلام نفسه العجز والقصور، مع أن الإسلام منه براء"^(٣)، فالشعر في الاتجاه الإسلامي أشمل من ذلك بكثير، فهو يعالج موضوعات الحياة العامة في صورها كافة، وأشكالها، وسوف نتطرق بنوع من التفصيل لعوامل ظهوره وأهدافه، حيث لا يخفى على دارس الأدب الأسباب التي دعت إلى ظهور الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث، وأهمها العوامل السياسية التي عصفت بالعالم العربي في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر، كاحتلال فلسطين من قبل اليهود، بعدما كانت تهيب نفسها للتخلص من فترة الانتداب البريطاني، والهزائم والنكبات التي حلت بالعالم العربي والإسلامي، إلى جانب بعض العوامل الاجتماعية، كمحاربة الانحلال والتفكك الخلقي والديني للمجتمع، وتسرب الكثير من ألوان الفساد، والمبادئ الهدامة إلى البلاد العربية والإسلامية وظهور العديد من الشعارات والدعوات الزائفة

(١) سورة إبراهيم، أية ٢٤ - ٢٥.

(٢) (الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، محمد حسن الندوي، ط١) بيروت - مؤسسة الرسالة

١٩٨٥، ص: ٩.

(٣) السابق، ص: ٦.

المحاربة للإسلام، كالقومية والوطنية والاشتراكية والرأسمالية، والتي لاقت رواجاً، وأيدي مصفقة وحناجر هتافة بدعوى التحضر والمدنية والتجديد، حيث عانى المسلمون من أثر هذه الدعوات، بعدما ذاقوا ويلاتها، والتي كانت نتيجتها ضياع البلاد والعباد، فأحس العالم الإسلامي بحاجته إلى العودة إلى أحضان الدين، والاستغلال بظلاله الوارفة، والتمسك بقيمه الرشيدة، كل هذا وغيره كان له الأثر الكبير في بروز اتجاه يحارب الرذائل، ويعيد للأمة الإسلامية، عزتها وكرامتها بتوجيهها الوجهة الصحيحة نحو التمسك بالدين الإسلامي القويم، ومع كثرة الدعوات الهدامة والأفكار الضالة المضلة والنعرات الطائفية، وظهور مبادئ منافية لتعاليم الإسلام الحنيف، هي في مجموعها حرب موجهة ضد الإسلام وقيمه السامية، كان لابد من تصدي فئة لهذه المكائد ومحاربتها وتوعية الأجيال المسلمة بمخاطرها على الفرد والمجتمع، وكان من الطبيعي أن يتصدى لهذه الدعوات الشعراء المؤمنون، المخلصون لعقيدتهم، المستمسكون بحبال العروة الوثقى، فصاغوا كثيراً من الشعر العذب الصادق الذي يحارب هذه الدعوات الباطلة، أمثال الشعراء هارون هاشم رشيد، وعبد الرحمن بارود، وأحمد فرح عقيلان، ومحمد العدناني، عبد الرحيم محمود، أحمد الصديق من فلسطين، والشاعر يوسف العظم من الأردن، والشاعر زاهر الألمعي من السعودية، وغيرهم الكثير ممن نذر نفسه للتصدي للغزوات الفكرية الضالة والهدامة، التي تفتت في عضد هذه الأمة الغراء^(١).

وكانت أهداف الشعراء في التصدي لهذه المكائد أهداف واضحة جلية، ليست بحاجة إلى تبیین بقدر حاجتها إلى تبني من جميع المسلمين، ليقوموا بواجبهم في سبيل دعوة رسول الرحمة بهذه الأمة. إلى جانب ما سبق ذكره نستطيع تلخيص أهداف الاتجاه الإسلامي في الشعر:

- ١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين.
- ٢- الحث على الطاعات والعبادات وحسن الأخلاق.
- ٣- محاربة الأفكار الدخيلة والمبادئ الهدامة التي تتعارض مع الفكر الإسلامي الصحيح وتوعية الأجيال بخطورتها.
- ٤- ربط المواطن المسلم بقضايا مجتمعه وعالمه العربي والإسلامي.
- ٥- رفض الطغيان والظلم والذل والخنوع والاستسلام للعدو.

(١) للاستزادة: راجع:

١- مجلة البعث الإسلامي، الهند عدد رمضان، شوال سنة ١٤٠١، ص ٦٨.

٢- جابر قميحة، وقفة مع تعريفات الأدب الإسلامي،

٣- شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، الأدب الإسلامي، التعريف والنشأة والخصائص،

http://www.alukah.net/literature_language/0/47058

- ٦- التمسك بالأوطان والدفاع عنها، وأن يكون ذلك نابعا من العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- ٧- حث المسلمين على الجهاد وتحرير البلاد من دنس الأعداء، وإعادة المقدسات الإسلامية إلى حضن الإسلام.

لذلك قدر لهذا الاتجاه في الشعر الذبوع والبقاء وعلو المكانة، حاجة الأمم والشعوب إلى الدين، باعتبار الدين أمرا ضرورياً ومهماً لتنظيم الحياة والعلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الناس.

الفصل الأول

المصادر الإسلامية في شعر أحمد الصديق

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: التاريخ الإسلامي.

توطئة:

إن أي عمل أدبي لا ينبع من الدين أو التصور الكلي لحقائق الكون والوجود، ولا يركز إلى مرتكزات أساسية يبنى عليها، يكون عملاً أجوف لا قيمة له لعدم ارتباطه بعقيدة راسخة تحدد معالمه الرئيسية، وسرعان ما يقع التصادم بينه وبين الفطرة الإنسانية، لعدم اتساقه معها.

وقد فسر ذلك سيد قطب قائلاً: "فلا بد من تفسير شامل للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود، لا بد من تفسير يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها وطبيعة العلاقات والارتباطات بينها"^(١).

والنتاج الأدبي الذي لا يرتبط بحضارة خالدة، وضعت أساساتها من خالق الكون وموجده، فهو أدب سريع الذبول والزوال، ومن نادى بغير ذلك فلا مؤيد له، لاسيما بعد إدراك الغالبية العظمى بأحقية الدين الإسلامي بالبقاء والخلود لسماعته ومعالجته القضايا كافة التي تخص الإنسان والكون بأكمله، وإن كان الشعر هو خلاصة التجارب والخبرات التي يمر بها الشعراء، فلا بد من ارتباطه بالعقيدة الإسلامية الراسخة، كي يؤدي رسالته على أكمل وجه.

والشاعر أحمد محمد الصديق ممن تربى في أحضان العقيدة الإسلامية الصحيحة ونهل من منابعها الصافية، فلا بد وأن يكون قد رسم تصوره لكل ما يحيط به من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ولا بد من توضيح تأثير ذلك على الشاعر وتحديد معالم تأثره بألفاظ القرآن وأساليبه وصوره، والسنة النبوية المشرفة، من خلال البحث في مصادر شعره.

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط٧ (بيروت - دار الشروق ١٩٨٢)، ص: ٥.

المبحث الأول القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم المصدر الأول الذي يلهم الشعراء مادة الشعر ورسالته، بما يشتمل عليه من الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامي وإخلاص النية لله وحده، وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، وبما يدعو إليه من عبادات، وما يهدي إليه من أخلاق حميدة.

والشاعر الإسلامي يصدر عن وعي شامل وفهم كامل لدعوة القرآن الكريم، يستقي كلماته وعباراته من معين الحب الإلهي الذي لا ينضب، كما يقول شاعرنا في بداية ديوان جراح وكلمات^(١):

أنا من معينك يا إلهي استقي وأهيمُ حباً بالجمال المطلق

وأذيبُ فيك حُشاشتي وصبابتي شعراً يوجِّجُ لوعتي وتحرقني

ومن القرآن استمد الشاعر مادة الشعر الإسلامي بما يحتويه من قصص قرآني وعبر ومواعظ، وعبارات ذات إحياءات متعددة، وألفاظ ذات دلالات محددة، أو فضاءات واسعة.

وقد اختار الشاعر للإلهام الذي يجول بخاطره كلمات يكثر ورودها في القرآن مثل: النار والسعير - الإسلام والإيمان - التين والزيتون - ألاء - الشهداء - آيات - الفوز - الهدى - الرسول الأمين - الكتاب المبين - المؤمنين - ركعا - سجدا - توأصيتم - أبرارا - انصروا الله - سبيل الله - الروح - البنون - التائبون - اعبدوه - جاهدوا - الفرقان^(٢)، وهو يدرك أن القرآن الكريم دستور هذه الأمة الذي يضع لهم قوانين حياتهم ويحدد المباح من المحظور، بما يحقق السعادة في الدارين، ويقيم العدل في الأرض^(٣):

(١) ديوان جراح وكلمات، أحمد محمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء - ١٩٩٠)، ص: ٧.

(٢) انظر: جراح وكلمات، أحمد الصديق، ص: ١٠ - ١١ - ١٥ - ١٧ - ٢١ - ٦٣ - ٩٣.

ديوان أناشيد للصحة الإسلامية، أحمد الصديق، ط١ (دار الضياء - عمان ١٩٨٥)، ص: ٦ - ١٠ - ١٣ - ٥٥ - ٦٧ - ٨٠.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٢١.

إِنَّهُ دَسْتَوْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وَالنُّورِ الْمُبِينِ

يَسْعُدُ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَا وَدِينِ وَيَقِيْمُ الْعَدْلَ سَمَحَ السُّنَنِ

فالقرآن الكريم المعين الذي لا ينضب، الذي ارتوى منه الشاعر وكأنه قد أشرب آي الكتاب نبعاً صافياً يشرق بالنور والهدى، حيث يقول في بداية ديوان قادمون مع الفجر - وهو من أوائل الدواوين الشعرية له -^(١):

تِلْكَ آيُ الْكِتَابِ تَنْسَابُ نُورًا فِي حَنَائِي الضُّلُوعِ وَالْوَجْدَانِ

أَشْرَقَتْ بِالْهُدَى عَلَى الْكَوْنِ طُرّاً أَيْقَظَتْنَا مِنْ غَفْلَةٍ وَهَوَانِ

والقرآن الكريم يفيض بالمعاني الإنسانية السامية، التي أكدت أن الإيمان يجب أن يكون على قناعة وليس تقليداً أعمى كما يقولون، فتمثل هذه المعاني الخالدة المنجية ونظم فيها شعراً يفيض تقوى ويقين^(٢):

أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ الْمُبِينِ

شَرَعَهُ اللَّهُ وَنَبَّرَاسُ الْهُدَى فِي الْعَالَمِينَ

تَمَلُّ الْقَلْبَ فَتَذْكِي فِيهِ أَنْوَارَ الْيَقِينِ

شَرَعْتَ مَا يُسْعِدُ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَا وَدِينِ

إِنَّهَا تَبَعَتْ بِالْإِيمَانِ عَزْماً لَا يَلِينِ

وَتُضِيءُ الْعَقْلَ بِالْحِكْمَةِ وَالرَّأْيَ الرَّزِينِ

وَتَشِيْعُ الْعَدْلَ وَالْأَخْ لَاقَ وَالنَّهْجَ الْأَمِينِ

إن القرآن الكريم كتاب مفتوح للتأمل في ذات الإنسان، وفي ملكوت الله وخلقه الآخر، وكم تلقت آيات القرآن النظر للتأمل والعبرة، وتدعو للتفكير، وتتكسر على العقول الخاملة، والقلوب الميتة حالها المزري، لذلك نجد الشاعر قد نظم قصيدة كاملة بهذه المعاني وعنونها "مع القرآن"^(٣).

(١) ديوان قادمون مع الفجر، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٧)، ص: ٢.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ١٣.

(٣) السابق، ص: ٨٤.

والشاعر أحمد الصديق أيقن أن النجاة في صلة الإله وطاعته وأنه الغاية الأسمى فأظهر كل معاني الخضوع لله سبحانه وتعالى، فهو ينسج لنفسه صومعة ينجي بها ربه لينال رضاه، ومن ثم يفوز بالسعادة^(١):

ووقفتُ في المحرابِ تغو جب هتي لله فيضُ نعيمه لا ينفذُ
إني وجدتُ سعادتي في قربه وإليه أشواقُ الضراعةِ تصعدُ
هو غايةُ الغاياتِ فالتمسِ الرضا في ظلّه فهو الملائدُ الأوحُدُ

يؤكد أن طريق الإسلام هو الطريق الصحيح الذي يجب السير فيه، فهو المنهاج القويم الذي يجمع بين التربية الحسن والتعليم النافع^(٢):

إنه الإسلام ذو النهج السديد يمزج الأخلاقَ بالعلم المفيد

يصدر الشاعر في شعره ومعانيه من عقيدة راسخة وخير دليل على رسوخ عقيدة التوحيد لديه، أنه صاغ ديواناً كاملاً بأسماء الله وصفاته، ليسهل معرفة معانيها وحفظها من قبل الناشئة، ومن فانتته فرصة حفظها، يقول في ذلك في مقدمة الديوان^(٣): "إن عقيدة التوحيد، تستوجب التفقه في معاني الأسماء والصفات ومعرفة دلالاتها ومتعلقاتها، وحفظها، والعمل بمقتضاها، وهذا كفيل بإصلاح الحال والمآل، وذلك ما يشير إليه الحديث الشريف "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" متفقٌ عليه".

لذا يجب تنزيه الله وتوحيده وعبادته لأنه الخالق المستحق للطاعة والعبادة الذي يتصف بصفات الكمال^(٤):

(١) ديوان الإيمان والتحدى، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٥) ص: ٥٣.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٢٠.

(٣) ديوان هو الله، أحمد الصديق، ط١ (د.م ١٩٩٨)، ص: ٤.

(٤) السابق، ص: ٨.

جَلَّتْ صفاتُ الحقِّ والأسماء وله جلالُ الكبرياءِ رداءُ
الله ليسَ كمثله شيءٌ ولا لله أندادٌ ولا شركاءُ
وكماله فوقَ المداركِ مطلقٌ وبه سَمَتِ فوقَ العبادِ سماءُ

لا اعتقاد بلا عمل، لذلك حرص الشاعر على إبراز دور العبادات في تهذيب النفس المسلمة وإخضاعها لله تعالى، وبيان أثرها على النفس فيقول عن الصلاة^(١):

النفسُ تزكو في الصلاةِ وتطهرُ وبكل أنواعِ الفضائلِ تزهرُ

ويقول في موضع آخر^(٢):

وصلاةُ المرءِ للرحمنِ عتقٌ وإنشراح

والشاعر قد يلجأ إلى القاموس القرآني فيأخذ عنه، أو يتأثر به، ولربما التقط صورة قرآنية فاتخذها مدخلا إلى عالمه الخاص الذي يروم تصويره، وقد يفيد من القصص القرآني فيستقي المعاني النبيلة التي حثت عليها، ويوضح العقاب الذي حل بمن خالف، ومن هذه القصص القرآنية قصة قابيل عليه السلام حين قتل أخاه هابيل فأرسل الله غرابا يعلمه كيف يوارى سوءة أخيه، في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوْءَةُ أَخِيهِ﴾^(٣).

فيوظف الصورة القرآنية توظيفا فنيا في قصيدة "القاتل الأول" في إشارة منه إلى الوزر الذي يلحق بمن سن سنة سيئة في الإسلام، والقصيدة عبارة عن صياغة لقصة قابيل في قالب قصصي رائع^(٤):

وخيرٌ منك يا قابيلُ ذاك الطائرُ الأسحم

أراك الدفنَ كيفَ يكونُ فاعقلِ درسَه وافهم

(١) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٨٣.

(٢) السابق، ص: ٨١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣١.

(٤) جراح وكلمات، ص: ٤٢.

يدرك الشاعر أنه يجب عليه أن يصدر عن نفس إنسانية تمتلئ بنور العقيدة، وتشع سعادة بتمسكها بالدين الإسلامي، مؤمنة بمشيئة الله، راضية بقضائه^(١):

إنه الإسلام مفتاحُ الفرديسِ السعيدة

إنه الدينُ الذي أملَى على الدهرِ خلوده

إنه الإيمانُ فاعلم أنه نورُ العقيدة

كلمات أعذب من رحيق الزهر حين يكون سبب السعادة في الدارين هو التمسك بالدين الإسلامي القائم على صدق العقيدة والإخلاص في العبادة .

موثوق العرى بمودة الله تعالى لا يحيد عنها يتضرع له أن يبارك حياته وسعيه ويقبل توبته وطاعته يجد لذته في التقرب من الله والسجود له، يقول في ذلك^(٢):

لك محياي خالصاً ومماتي يا إلهي ويا عظيم الصفات

لك سعيي وفيك غاية حبي ونجاوى ضراعتي وصلاتي

وسجودي معراج روعي وعقلي وانعتاقي ولذتي وحياتي

جعل الشاعر أحمد الصديق آي القرآن الكريم المصدر الأساسي لشعره، منه استمد أصوله ومقوماته وفي ظل تعاليمه نما شعره وترعرع، استلهم آيه ومعانيه، ورسم خطاه وفق أسسه ومنهجيته في صياغة شعرية هادفة تنم عن ثقافة دينية شاملة، وعقيدة راسخة.

(١) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٨٩.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠.

المبحث الثاني الحديث الشريف

إن فضائل الحديث الشريف، لا تعد ولا تحصى، فهو أصل التشريع الثاني، وركنه الأغر الحاني بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله، وجعل الحديث الشريف متما لتشريعه، يقول صلى الله عليه وسلم: "تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تُضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ"^(١).

كيف لا وهو كلام سيد الخلق أجمعين، الذي لا ينطق عن الهوى، والحديث الشريف هو المصدر الثاني الذي يستمد منه الشاعر أفكاره وكلماته الموحية، فكلام رسولنا الأكرم مزيج من المعاني النبيلة، والأخلاق السامية، والهدي المتم لهدي القرآن الكريم، منه اغترف الشاعر مادة الشعر، وصوره، فصاغها في ثوب شعري جميل، وقد استمد الشاعر معنى الحديث الشريف ومضمونه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعَزَّتِي لَأُنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"^(٢) في قصيدته: دعوة المظلوم فيقول الشاعر^(٣):

لأستجيبن للمظلوم دعوته ولو تطاول أزمان وأزمان

فلا تكونن مكتوف اليدين على عجزٍ وعندك من ذي العرش سلطان

كما أشار الشاعر إلى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم -قوله: "آيَةُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ لَا يَنْصَلَعُونَ مِنْ زَمَرٍ"^(٤).

(١) العين والأثر في عقائد أهل الأثر، تقي الدين 'ابن فقيه فصه، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلبي الأزهرى الدمشقي المتوفى سنة: ١٠٧١هـ، تحقيق: عصام رواسي قلعجي، ط ١ (دار المأمون للتراث - ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص: ٥٦.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (متوفى سنة ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، باب الصائم لا ترد دعوته ٤٨، ص: ٥٥٧.

رواه أيضاً ابن الأثير الجزري في جامع الأصول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، ج ١٠، حديث رقم ٨٠٢٨، ص: ٤٩٧.

(٣) ديوان نداء الحق، أحمد الصديق، ط ١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٢)، ص: ١١٤.

(٤) سنن ابن ماجه، ج ٢، باب الشرب من ماء زمزم، حديث رقم ٣٠٦١، ص: ١٠١٧.

فتراه يذكرهم بذلك ببيت الشعر في قصيدة زمزم^(١):

فتضلّعوا من مائه وادعوا فقد جاءت أحاديثُ بذاك صحاحُ

ومن جميل اقتباساته وتوظيفه للسنة النبوية، ما جاء في الحديث الشريف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا يا رسول الله فخبّرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلّى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس"^(٢).
فينظم قصيدته بعنوان الحب في الله يقول فيها^(٣):

هم الأحبة لا قربى ولا نسب سوى العقيدة أعلى قدرها الله

على منابر من نور منازلهم يا فوز من كان في الفردوس مثواه

ويستلهم الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٤)، وذلك في قصيدة عينان^(٥):

عينان كلتاها في الليل ساهرة وتحت ثوب الدجى والصمت تلتحف
إحداها في سبيل الله قائمة على الثغور وفي جند الردى تقف
وأختها في سكون الليل خاشعة مقروحة الجفن في المحراب تعتكف
من خشية الله أو من فيض رحمته باتت ومدمعها في لوعة يكف

كما وظف الحديث الشريف: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا

(١) نداء الحق، ص: ١٦٢.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١ (دار الكتب العلمية) ج ٦، حديث رقم: ٤٧٨١، ص: ٥٥٢.

(٣) نداء الحق، ص: ١٠٥.

(٤) جامع الأصول، ج ٩، حديث رقم ٧١٩٠، ص: ٤٨٦.

(٥) نداء الحق، ص: ١١١، ١١٢.

يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ ، وَلَكِنْ يَفْبِضُ الْعُلَمَاءُ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا ، فَسَيَّلُوا ، فَأَفْتَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا^(١)، فيقول في ذلك^(٢):

تَغِيبُ بِمَوْتِ الْعَالَمِينَ نَجُومُ

وَلَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا وَإِنَّمَا

وَيَغْشَوْنَ ضَلَالًا أَوْ تَزِيغُ حُلُومُ

وَتَظْلَمُ أَرْجَاءُ وَيَنْتَقِصُ الْهَدْيُ

وفي الحديث الشريف عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْتُ"^(٣).

يتمثل الشاعر هذا الحديث مع قول الحسن البصري "الإيمانُ ما وَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ"^(٤) فيقول في ذلك^(٥):

وَأَحْسَنُ لَهُ الْأَعْمَالُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

فَقُلْ مُخْلِصًا آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْتُ

ويوظف الحديث الشريف: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ"^(٦)، في قصيدة القاتل الأول^(٧):

(١) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٥٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت) كتاب العلم، ج ٤، حديث رقم: ٢٦٧٣، ص: ٢٠٥٨.

(٢) الإيمان والتحدي، ص: ١٥٦.

(٣) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، أبو الفضل زيد الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي المتوفى سنة: ٨٠٦هـ، ط١ (دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م) ج ١، كتاب آفات اللسان ص: ٩٩٦.

(٤) الإيمان لابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى سنة ٢٢٥هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢ (نشر المكتب الإسلامي - ١٩٨٣) ، حديث رقم ٩٣، ص: ٢٣

(٥) مدونة الشاعر، <http://ahmad44ashaer.arabblogs.com/categories>

(٦) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١ (دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ) ج ٩، حديث رقم ٦٨٦٧، ص: ٣.

(٧) جراح وكلمات، ص: ٤٠.

هي الأضغانُ يا قابيلُ تحرقُ نضرةَ الحب
وتطفئُ ريحُها الصفراءَ نورَ العقلِ والقلبِ
ويا دنيا اشهدي بدءَ الصراعِ وأولَ الشررِ
تحرّكه يذُ العدوانِ والطغيانِ في البشرِ

ومما وفق في توظيفه أيضًا بعض العبارات التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلفظ بها، فأصبحت بعد ذلك أمثالاً وحكماً يستدل بها، ومن ذلك قوله: "يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي"^(١) فوظفها الشاعر في^(٢):

هو ذا يومُك يا خيلَ الله اركبي وأعدّوا للفتوحاتِ الأسودِ

وفق الشاعر أحمد الصديق في توظيف الحديث الشريف واستخدام تقنية الاقتباس من هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسبكها في قالب شعري، لاستخلاص الدروس والعبر منها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على غزارة علم الشاعر ورحابة الأفق، وارتباطه الوثيق بكتاب الله وسنة نبيه، وحرصه الشديد على بيان الهدف الأسمى من قول الشعر، وهذا ما وضحه الشاعر في سيرته^(٣):

إن الشاعر الإسلامي صاحب رسالة، وشعره صورة لهذه الرسالة ورؤيته للكون والإنسان والحياة وفق منهجه الرباني الشامل الكامل، لا على سبيل التكلف والتوظيف، وإنما هو عفوي نابع من أعماق الفطرة السليمة، والعقيدة الراسخة، متدفق كالنبع الصافي، لا كدر فيه ولا شوائب -يهدي إلى الحق، ويدل على الخير، ويمجد الفضيلة، ويجاهد الظلم، ويشحن العزيمة، ويناجي الرحمن، ويمدح رسوله الأكرم - صلى الله عليه وسلم - ويذب عن دينه، يوجه الأجيال إلى مكارم الأخلاق، وينتصر لقضايا الأمة، ويواسي الضعيف والمحزون، ويمسح الألم عن جراح المكلومين، ويحمل هموم الفقراء والمنكوبين ويستنهض الهمم لمواجهة التحديات، والذود عن المحرمات، وبناء الحضارة، واستعادة الأمجاد".

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي متوفى سنة

١١٧ هـ)، ط٣ (دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٢٠ هـ)، ج١، ص: ١١٧.

(٢) ديوان يا سراييفو الحبيبة، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٩٦)، ص: ٧٦.

(٣) السيرة الذاتية للشاعر، ص: ٤٩.

المبحث الثالث التاريخ الإسلامي

يعد التاريخ مصدراً ثالثاً ومهماً في دراسة الشعر بما يشتمل على مادة ضخمة من تراث الأجداد، متمثلة بالشعر، والقصة التراثية، والتاريخ ميدان شاسع ملئ بالأحداث والمعطيات التي سجلتها ظروف الإنسان وأحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية، فالتاريخ مثابة مدرسة ميدانية واقعية مليئة بالوقائع والأحداث.

والتاريخ الإسلامي جزء من هذا التراث الضخم الذي خلفه لنا الأولون، والشاعر المجيد يختبئ وراء التاريخ العريق لينفت لواعجه، ويوظف أحداث التاريخ الإسلامي، في صور فنية جديدة، في محاولة منه لربط الواقع بالماضي لاستنتاج العظة، فلا غنى لأديب أو شاعر من دراسة أحداث التاريخ ليصدر عن وعي تام بما يحيط به، وقد استلهم شاعرنا أحداث التاريخ الضارب في القدم، حيث يعود بنا الشاعر أحمد الصديق إلى زمن سيدنا موسى عليه السلام ويستدعي قصة العجل الذهبي والسامري، ليصور الحالة التي آلت إليها الأمة العربية والإسلامية من تهافت وراء الشهوات وتهالك أمام الملذات حتى أصبحوا عبيد شهواتهم وأهوائهم، فيقول في قصيدة العجل الذهبي^(١).

ركضوا وراء المال والنشب	ركض الوحوش تشيل بالذنب
وتجسدت أطماعهم فغدت	إذا أسرفوا (عجلاً من الذهب)
عكفوا عليه عبيد شهواتهم	والكفر يصنع أعجب العجب
والسامري إمامهم أبداً	يا سوء عاقبة ومنقلب

ومن توظيفه للتراث العربي القديم قوله^(٢).

كلا فما يرضى الهوان بنو نزارٍ أو معدٍ
لا ينحني رغم الطغاة جبين نعمانٍ وسعدٍ
أتريدنا ذليلاً ونحن السابقون بكل نجدٍ

في إعلان صريح أن الأمة العربية منذ القدم متمثلة بسعدٍ ونزارٍ ومعدٍ ونعمانٍ، أمة أبية لا تقبل الضيم أو الانحناء.

(١) مدونة سيد صالح، (من ديوان طيور الجنة للشاعر أحد الصديق، يوم الثلاثاء: ١٥ مارس ٢٠١١م)،
http://sayyedsaleh.blogspot.com/2011/03/blog-post_299.html#.VGYP0_msVwU.

(٢) مدونة الشاعر، <http://ahmad44ashaer.arabblogs.com/categorie>.

ويعود بنا إلى صدر الإسلام ويستلهم من قصيدة كعب بن زهير وصف شباب الدعوة الذين يتصفون بصفات القوة والبأس الشديد على الأعادي فيقول^(١):

إنهم فتية شَمُ العرانيين لقد ساءَهم منا على الضيم القعودُ

وهو نفس المعنى الذي وظفه كعب بن زهير في قصيدته البردة^(٢):

شَمُ العرانيين أبطالاً لبوسهم من نسج داوودَ في الهيجا سرايلُ

ويمضي إلى أمجاد المسلمين في بدر والقادسية وفتح مكة فيقول^(٣):

هنا بدرٌ والفتح والقادسية

هنا صولةُ الحقِ

رمزُ الكرامةِ درعُ الحمى والحمية

في إشارة منه أنه لا عزة ولا كرامة بلا قوة، ودعوة إلى التمسك بالدين كما كان عليه المسلمون الأوائل أيام بدر والقادسية.

ويتغنى بأمجاد المسلمين في اليرموك، ويتخذ منها بوابة للمعالي والفتوح، وبهتاف التكبير في حطين، وبسالة المسلمين في عين جالوت، يحث الشباب للزحف نحو فلسطين فيقول^(٤):

وضفافُ اليرموكِ بوابةُ التاريخِ دربُ الفتوح والأمجادِ

وهتافُ التكبيرِ يزحفُ في حطين جيشاً يهزُ قلبَ الجمادِ

وشموخُ الإسلامِ في عينِ جالوت وسحقُ التتارِ بين البوادي

ويواصل الشاعر استدعاؤه للتاريخ الإسلامي، فيمضي بنا إلى تاريخ الأندلس، ذلك الغصن الرطيب، والوطن السليب الذي تأمر عليه اليهود مع الصليبيين، ضد أبو عبدالله الذي لم يستطع حماية ملكه، فاضطر إلى التحالف معهم ضد أبناء جلدته، فقالت والدته قولتها المشهورة التي سجلها التاريخ، وسجلها الشاعر في قصيدة اعترافات أبي عبد الله الصغير من أجل الملك..حارب أباه وعمه..وحالف أعداء الإسلام...ضدّهما.. لا يبالي ديناً ولا رحماً...ولا مصير أمة ولكنه في النهاية ذاق وبال أمره

(١) ديوان هكذا يقول الحجر، أحمد الصديق، ط١ (عمان - دار الضياء ١٩٩٠)، ص: ١٦

(٢) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، المتوفى ١٧٠هـ، تحقيق: علي محمد البجادي، د.ت (نهضة مصر للطباعة)، ج ١، ص: ٦٤٠.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٦٧.

(٤) الإيمان والتحدي، ص: ١٣٤.

حين طرده حلفاؤه الغزاة. فخرج مذموماً مدحوراً.. ووقف ينظر نظرتة الأخيرة إلى غرناطة.. وهو يبكي أسفاً...فتقول له أمه^(١):

ابكٍ مثلُ النساءِ ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثلُ الرجالِ

فيقول الشاعر^(٢):

ويلاهُ مما أعاني مَزَّقت كبدِي ذكرى الرحيلِ وطيفُ المحنةِ الدامي
أرثي لأندلسٍ أبكي لها أبداً والحزنُ يضرُّمُ ناري أي إضرار

ويستمر الشاعر في بيان سبب محنة الأندلس، وضياح جنات العريف، وقصر الحمراء، وهو بعد الأجيال الصاعدة عن الدين الإسلامي، مما ولد الضعف لديهم في مواجهة عدوهم.

ويستدعي شخصية طارق بن زياد فاتح الأندلس، الذي ركب البحر ليسجل نصراً جديداً في تاريخ المسلمين في قصيدة أنشودة البحر^(٣):

طارق بن زيادٍ وصفوة الأبطالِ
خاضوك شرقاً وغرباً بالمرهفاتِ الصقالِ

ومن توظيفه للتاريخ الإسلامي استدعاؤه لشخصية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، فينظم أبياتاً ينصفها ويبرؤها فيها من التهم والشكوك التي دارت حولها فيقول^(٤):

إليك تحايا الحب والبرِ والثنا حبيبة خير المرسلين وأمنّا
مبرأة من كل عيبٍ وإنما عد وك من أزرى به الفحشُ والخنا

ويضرب الشاعر أروع الأمثلة بالنساء الصابرات القانتات المحافظات على العهد كالخنساء وذات النطاقين - أسماء بنت أبي بكر - وخولة بنت الأزور وبترنم بشجاعتهم وحرصهن على الحفاظ على الدين، والعمل على تنشئة جيل متمسك بدينه^(٥):

(١) جراح وكلمات، ص: ٤٩.

(٢) السابق، ص: ٥٠.

(٣) السابق، ص: ٩٥.

(٤) مدونة الشاعر، قصيدة عائشة أم المؤمنين، بنت الصديق http:

//ahmad44ashaer.arabblogs.com/categorie

(٥) ديوان قصائد إلى الفتاة المسلمة، أحمد الصديق، ط٢ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٥) ص: ١٥.

هي رمزُ الصديقِ والصبرِ المتين

فنرى ذاتَ النطاقين التي

كالرواسي في ثباتٍ لا تلين

ونرى الخنساءَ في إيمانها

كعقابٍ فوق رأسِ الكافرين

ونرى خولةً في إقدامها

ولا ينسى الشاعر أن يذكرنا بسماحة الإسلام ودوره في نشر العدل منذ بداية نزول الوحي في غار حراء^(١).

حي في الغار في ربى فاران

كيف كان الأنام قبل انبثاق الو

ويمضي بنا الشاعر إلى الفتوحات الإسلامية، ليس ببعيد حيث الانتصارات التي حققها صلاح الدين فيشيد بشخصية صلاح الدين القائد، ويرسل له سلام المحبين، ويصرخ بأعلى الصوت أننا بحاجة إلى مثل صلاح الدين في وقتنا الحالي ليحرر أقصانا السليب فيقول^(٢):

بأمجاده تـاجُ الفتوح تزينا

سلاماً صلاح الدين يا خير قائد

لمثلك من يعلي على الحق جرحنا

سلاماً صلاح الدين إنا بحاجة

أسيراً فجرّد دونه السيف والقنا

ألم تر بيت المقدس اليوم قد غدا

يظهر من استدعاء الشاعر لأحداث التاريخ الإسلامي وشخصياته، تصوره الكامل لمجرياته وأحداثه، وتحيزه للإسلام تاريخاً ونماذج وحضارة، حيث وظفه بما يخدم رؤيته وصوره الفنية، ويظهر ذلك من خلال إثرائه للنص الشعري، وإضفاء طابع قصصي عليه.

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٣.

(٢) نداء الحق، ص: ٢١٠.

الفصل الثاني

الاتجاهات الإسلامية في شعر أحمد الصديق

المبحث الأول: الاتجاه الديني والإسلامي.

المبحث الثاني: الاتجاه الوطني.

المبحث الثالث: الاتجاه الاجتماعي.

المبحث الرابع: الاتجاه السياسي والقومي.

تزداد أهمية الشعر بقدر ما تفاعله مع الأحداث التي يعيشها هذا الشعب أو ذاك، وبقدر ما يجيد تصوير مشاعر أبنائه وأفراحهم وأتراحهم وإبداعاتهم وآمالهم. ومما يجدر ذكره أن الشعر الفلسطيني شعر ملتزم بقضايا الشعب والوطن، ومميز بالاتجاهات الوطنية والدينية والقومية والاجتماعية، فضلاً عن القوة التعبيرية، والموضوعية، وعمق التجربة، وقد أطلّ من خلاله أدب ينبض بالحياة، مصوراً تلاحم الكلمة بالبندقية.

عاصر الشاعر الأحداث الكبرى التي مر بها الشعب الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى، وعانى من التبعات التي توالى على الأراضي الفلسطينية، من ثورات واحتجاجات، كثرة الـ٣٦، وما بعدها -حيث كان مولده في خضم هذه الأحداث- مروراً بالحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وما تلاها من انهيار لبعض الأنظمة، وظهور قوى عالمية سيطرت سياسياً على الساحة العربية والعالمية، وصولاً إلى عام ١٩٤٨م، وإعلان قيام كيان محتل على أرض فلسطين، وما تبعه من نزوح لآلاف الفلسطينيين عن أرضهم-، فكان لهذه الأحداث الدور الكبير في تقجير عاطفة الشاعر وإلهاب مشاعره، فصدر شعره حزيناً ممزوجاً بالألم مع الغضب، على ضياع الوطن بمقدساته وأمجاده وخيرة شبابه، وقد ظهر ذلك جلياً في شعره فتتوعت مضامين شعره من دينية وسياسية ووطنية وقومية واجتماعية.

المبحث الأول: الاتجاه الديني والإسلامي:

سنعالج هذا المضمون من خلال ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: الشعر المتصل بقضايا العقيدة الإسلامية.

المحور الثاني: استنكار الأنبياء والقادة المجاهدين وبطولاتهم.

المحور الثالث: الأدعية والابتهالات.

المحور الأول: الشعر المتصل بقضايا العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية جوهر الدين، وسلامة أقوال الإنسان وأفعاله وخلوصها من كل شوائب الشرك والإلحاد، والزيف والضلال، وقد عمّ الجهل بأصول العقيدة، وقل الدعاة إلى الحق، فتعلقت النفوس بالدنيا وانصرفت عن الحقيقة، وانغمست في مهاوي الردى والفساد، فبعدت بذلك عن جوهر العقيدة إلى ضروب من الضلالات، وتعلقت بأوهام لا تمت إلى أصول الإسلام بسبب من الأسباب، ولكن الله جل في علاه لم يكن ليذر المسلمين على ما هم عليه، حيث كان يلهم بعضاً من عباده ليوقظوا المسلمين من غفلتهم ويعيدوهم إلى عز الإسلام، وينبهوهم إلى الأخطار المحدقة بهم بسبب ضعف الاعتقاد والتعلق بالخرافات والأوهام، فدعوا إلى الاقتداء بالرسول الكريم، والتمسك بالعروة الوثقى، ونادوا بآداب القرآن، وأخلاق السنة النبوية، وقد كان للشاعر صولة قوية ومجلجلة في هذا الميدان، حيث لم يترك

مناسبة إلا وذكر الشباب بأهمية العودة إلى الدين الإسلامي والتمسك بقيمه والالتزام بهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - وحثهم على الطاعات والعبادات حتى يتحقق لهم الفوز في الدنيا والآخرة ومن أولى أدوات قواعد الإيمان بالله: التفكير والتدبر بآياته مصداقاً لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

فقد حث الشاعر الأجيال إلى التأمل في الكون للاهتمام إلى عظمة الخالق ليعبدوا الله عن قناعة تامة، وينهلوا من العلوم الكونية المختلفة^(٢):

كم دعانا إلى التأمل في الكون — ونوجني العلوم والعرفان

ويستنكر على الأمة الإسلامية هوانها وابتعادها عن دينها، ويدعوها إلى التفكير والتدبر بآيات الله وقراءة القرآن قراءة قلبية وليست بصرية أو سمعية فيقول^(٣):

وتساءلت كيف ضلت خطانا	أين منا هداية القرآن
كيف نهوي إلى الحضيض وشرع	الله أصل الرقي والعممران
يسمعون الآيات تتلى ولكن	أين من يفقهون سر المعاني

يزخر شعر الصديق بأثبات ولوعات وجدانية روحية تدل على نفس كبيرة في مرادها، ذات شفافية، صغيرة منكسرة أمام خالقها، فنراه يفتح قلبه الرقيق لنور الإيمان^(٤):

يا أبا الدين قم لمولائك واخشع	في يديه واطفر بأعلى الأماني
هل تأملت منهج الوحي فازددت	يقيناً وخضت بحر المعاني
وتلوت الآيات فارتعش القلب	وفاضت بالأدمع العينان

وهو ينكر على الذين يركنون للعالم - ويتركون نعيم الآخرة - حالهم، ويذكرهم بأن النعيم نعيم الآخرة، فيقول^(٥):

(١) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ١٥.

(٣) السابق، ص: ١٤.

(٤) السابق، ص: ٧ - ٨.

(٥) السابق، ص: ٦٢.

قضية الولاء جزء من العقيدة الصحيحة، فالمسلم يعلن ولاءه لله وبرأئه مما سواه مهما تعصف به المحن وتشتد به الخطوب^(١):

ومن العبادات الدالة على توجه الشاعر وجهة إسلامية في شعره:

عماد الدين وركنه الثاني بعد الشهادتين، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ صَلَوةٍ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ ^(٢)، بها يميز المسلم عن الكافر، وهي صلة العبد بربه، بها تغسل الخطايا، وتكفر الذنوب، يصلّيها المسلم منفردا أو في جماعة وقد حث الشاعر الشباب على أداء الصلاة في أوقاتها، وبين أثرها على العبد والمجتمع في أبيات كثيرة، نذكر منها ^(٣):

وأصاخ الليل في محراب أشواقى وأنسى

۱۹

وتهاوت دمعان، خشع القلب وألقى العبد في ظل الأمان

وبدت للروح آفاق ابتهالات.. وتسبيحٍ وقدسٍ

فتعري كل شيءٍ دون تمويهٍ ولبسٍ

فإذا الدنيا متاعٌ ذاهبٌ يلهي وينسي

وإذا كانت صلاة العبد منفردًا تحقق الخير الكثير لصاحبها، فكيف بصلاة الجماعة، التي تعادل سبعةً وعشرين صلاة، لا سيما إن كانت في المسجد، فبكل خطوة يخطوها المسلم إلى المسجد تكتب له حسنة وتحط عنه خطيئة لقوله - صلى الله عليه وسلم - "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"^(١). لذلك نجد حرص الشاعر على توجيه الأجيال لتلبية نداء المسجد والتوجه إليه للصلاة والتزود من العلوم الدينية، فيكون العبد في رعاية الله وحفظه، فيقول في قصيدة المسجد^(٢):

ها هو المسجدُ قد دَوَّى نِداءه

وسرَّتْ في الكونِ أنوارُ الصلاة

تتسامى حيثُ تعَنُّو أنفُسُ

خشعاً لله أو تهوَّى جباه

ها هنا تولدُ فــــينا أبدا

يقظةُ الروحِ وأشواقُ الحياة

ها هنا تشرقُ آياتُ الهدى

حيثُ ترعانا بها عــــينُ الإله

٢- الصيام:

وأي فضل للصيام والأحاديث بذلك كثيرة ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم: - "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"^(٣)، فقال الشاعر^(١):

(١) سنن ابن ماجه، ج ١، حديث رقم: ٧٨٩، ص: ٢٥٩.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٣.

(٣) سنن ابن ماجه، ج ١، حديث رقم: ١٦٤١، ص: ٥٢٦.

شهرُ الصيامِ غداً سيشهدُ عند رب العالمين
ويقولُ قولةً صادقاً: يا نعم أجرُ العاملين

٣- الحج:

به حياةُ النفوس والقلوب، وطهارةٌ للأجسادِ من أدران الذنوب، تكبيرٌ وتسبيحٌ وحمدٌ للرحمن، ذكْرٌ تشف عنه الأرواح المشوقة والمتعطشة للقاء الله، رحمةٌ وسكينة تحف جموع المنيبين التائبين في أطهر بقعةٍ على الأرض، وقبل كل ذلك كله ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد عبر الشاعر عن أشواقه للحبيبة مكة وهو يودعها عائداً، وقلبه معلقاً بها لا يستطيع فراقها فيقول في قصيدة عوداً^(٢):

عادتُ مطايا الركبِ من بطحاء مكةَ مسرعات
تطوي الوهادَ على جناحِ الشوقِ تسبحُ في الفلاة
أنقى وأطهرُ صفحةٍ وأجلُّ في نُبلِ الصِّفات
خشعتُ لبارئها فنالتُ منه أسمى المكرمات

ويقول أيضاً^(٣):

لبيكَ لبيكَ في سهلٍ وفي جبلٍ والركبُ يشدو وما ملَّت حناجرُه
وتطلعُ الكعبةُ الغراءُ مشرقةً والدمعُ لله كم فاضتُ محاجرُه
لبيكَ لبيكَ يا قدستُ من نغمٍ وقدستُ حيثُما لاحتُ مشاعرُه
من قال لبيكَ لبتُ كلَّ جارحةٍ منه وطارَ إلى العلياءِ طائرُه

وحين يمم جهة المدينة طار قلبه شوقاً وحنيناً إلى مسجدها النبوي، ومعالمها الإسلامية، حيث الرسول يرسى أولى دعائم الدولة الإسلامية فقال^(٤):

(١) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٧٩.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٣٩.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٣٢.

(٤) السابق، ص: ٢٠.

أيها الـركب الذي يـمم تـلقاء المـدينـة
خذ فـؤادي حـاديا للركب والعيس الظعينة
ينشد الأشعار في بـيدائها يـذكي شـجونـه
ويـواري في حياءٍ دـمعة الشوق السـخينة
فإذا لاحت على البـعد المنارات المـكينة
أمسكوا قلبي لنـلا يـسبق القلب حـنينه

الجنة بنعيمها من الأمور الغيبية التي دعا الإسلام إلى الإيمان بها، وقد ورد بعض الوصف لها في القرآن الكريم، فذكر القرآن جنة الفردوس والمأوى، والأنهار والثمار، والنعيم المقيم، للحث على العمل للفوز بها، وقد استفاد الشاعر من هذا الوصف، فيقول في وصف الجنة في قصيدة أعدي الزاد^(١):

ويبعثنا لننزل في ديارٍ مطهرة نطل بها حلولا
نرى فيها الفراديس العوالي وفي الغرفات نتخذ المقيلا
ونغترف اللذائذ طيباتٍ ونفرح بالنعيم فلن يزولا

...

وننظر في جمال الله إما تجلى وجهه الهادي جليلا

٣- الجهاد:

هو ركن أساسي في عقيدة كل مسلم، وذروة سنام الإسلام، وللجهاد مكانة عظيمة جدا في الإسلام، فقد جعل الله للمجاهدين في سبيله أجرا عظيما، ومن لا يلبي نداء الجهاد بنفسه وماله إنما هو في عداد المنافقين، الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا نغفل أن الله شرع الجهاد من أجل حماية الدين والأوطان، والجهاد فريضة، لقوله تعالى ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢)، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ "، وقد حث الشاعر الأجيال على الجهاد في تضاعيف قصائده، منها^(٢):

أخي أوشك الليل أن يهزما
فأقدم فقد فاز من أقدما
فداء العقيدة أرواحنا
وفي الله نستعذب العلقما
نقد أشرق النور ملء الصدور
يجلجل منتفضاً مضرم
طريق الدعاة طريق الجهاد
إلى الله مفروشة بالدماء

ويقول في موضع آخر إن الجهاد هو السبيل الوحيدة لنيل المنى والحصول على الكرامة^(٣):

فأين حمية الأحرار هــلا تمرد واستشاط لهم طماح
وليس سوى الجهاد لنا سبيل حصائده الكرامة والفلاح

كما نشط الشاعر في بعث الحمية في نفوس المسلمين واستنهاض همهم للجهاد واسترداد مقدساتهم، فيقول في قصيدة نداء الجهاد^(٤):

إلام يعيث الغزاة؟ ويطمع فينا العداة؟
أخي نحن جند الإله ونحن الهداة الأباة
ألا فاشمخي يا جباه
فإنا بصدق الجهاد سنطرد كل الأعادي
وقال أيضاً^(٥):

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٩.

(٢) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ١٨.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٦٧.

(٤) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٣٨.

(٥) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٦١.

فقاتلوا في سبيل الله واعتصموا بحبله يا حماة الحق والذم

والشاعر يوجه نداءه للأمة برفض الذل والخنوع، ويذكي فيهم روح الجهاد لتحرير البلاد والمقدسات.

والى جانب تحسره على أمتة، فهو يتألم ويتضجر من أصحاب النفوس الضعيفة، الذين يشغلهم متاع الدنيا عن التفكير في تحرير البلاد، وتخليصها من مأساتها، فيتوجه إلى الشباب في رسالة يشحذ بها العزائم، ويستنهض الهمم، ويشعل في نفوسهم روح الجهاد، ويطالبهم بالإعداد الروحي والجسدي^(١):

إن الجهاد هو الطريق فأقبلوا إن الجهاد هو الخيار الأفضل

وبه تعود لأمتي أمجادها ويسود من يرعى الحقوق ويعدل

الشاعر يتبنى الجهاد فكريا وعقيدة وممارسة - فلا عزة ولا كرامة لأي شعب بلا جهاد- لذلك أبدع الشاعر شعراً يحض على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، تتكرر فيه ألفاظ المقاومة والتضحية والشهادة^(٢):

مصباحنا في دياجي المحن

جهاداً يدك جدار الوهن

ويخلع عناء رداء الكفن

ونصحو لنملاً عين الزمن

دُم الشهداء مداد الكرامة

بإقدامهم سطور المعجزات

ويحطم قيد الخنوع الذميم

فتدرك من نحن ما حقنا

ويقول موسياً ذوي الشهداء^(٣):

ولكنهم يؤثرون الشهادة

واشحن فينا سلاح الإرادة

الحياة ويسلك طريق السيادة

تمرس في البذل حتى أجاده

أجل إنهم ثمرات القلبوب

ألا فادخرن الدموع العريزة

فمن يتقن الموت يملك زمام

وليس أخو المجد إلا فتى

يبرق بتحية إجلال لفلسطين، وأبنائها الشهداء^(٤):

(١) جراح وكلمات، ص: ٧٨.

(٢) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٥٧.

(٣) السابق، ص: ٥٦.

(٤) السابق، ص: ٥٨.

فلسطين تشرع للخلد بابا

يضم الشهيد وراء الشهيد

ويقول في صرخة حماسية بثَّ فيها توجهاته النضالية، النابعة من القرآن الكريم، ليس تجاه فلسطين فحسب بل تجاه كل البلاد الإسلامية المحتلة^(١):

أذن الله بالقتال فهبت
في يد مصحف وسيف بأخرى
واستعدت عساكر الإيمان
للهدى ساعد وللنوذ ثاني

المحور الثاني: استذكار الأنبياء والقادة المجاهدين وبطولاتهم:

أكثر الشاعر من ذكر قصص الأنبياء، والأمم السابقة، لما في ذلك من فائدة عظيمة للشباب المسلم، وربطه فكرياً وثقافياً بسادة الأمم، والتعرف على دعوة الأنبياء والرسل كافة، ولاستنباط العبر من قصصهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وخير الأنبياء وسيدهم "محمد -عليه أفضل الصلاة والتسليم - الرحمة المهداة لهذه البشرية جمعاء فيقول في ذكرى مولده^(٣):

ولد اليوم يا تبارك ربّي
ولد اليوم صفوة الأكوان
البيد تيهًا بالسيد العدناني
والنور اصدحي يا لهواة
وافرحي بالهدى العميم كما تف
رخ بالغيث مهجة الظمآن
هو ذا خاتم النبيين يستقبل الود
ي بشيرًا بخاتم الأديان

ويستذكر حادثة الذبح لسيدنا إسماعيل - عليه السلام - حين امتثل لأمر الله، وأمر والده سيدنا إبراهيم - عليه السلام - فكانت قصتهما رمزاً للتضحية والفداء والصبر، وطاعة الله والوالدين في قصيدة رمز الفداء^(٤):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ١٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ١٢.

(٤) السابق، ص: ٣٦.

و طَابَ مِنْهَا اللَّحْمُ وَالْأَعْظَمُ	ضَحِيَّتَ بِالشَّاةِ وَسَالَ الدَّمُ
مَنْ بَعْدَهُ نَبِينَا الْأَعْظَمُ	سَنَةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ سَنَّاهَا
زَالَتْ لِأَسْمَى غَايَةً تَلْهَمُ	فِدَاءُ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ وَمَا

وقد نبه الشاعر إلى المقصد من وجود هذا القصص القرآني، فكانت بمثابة النور الذي يهتدي به السائرون في الظلمة، فيقول في قصيدة إلى النور أيها الحائرون^(١):

وَعَجِيبٌ أَنْ يُؤْمِنَ الثَّقَلَانِ	أَمِنْ الْجَنِّ حِينَما سَمِعُوهُ
مَا جَرَى فِي الْقَدِيمِ مِنْ حَدَثَانِ	قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ كَانَ يَدْرِي
صَوْرًا قَدْ تَمَثَّلَتْ لِلْعِيَانِ	جَاءَ يَحْكِي الْقُرْآنَ عَنْهَا فَكَانَتْ

ويتجه بعد ذلك إلى ذكر القادة العظام الذين أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن المقدسات الإسلامية، ونشر الدين والذود عن حماه، فيربط بين شخصيتي صلاح الدين وخالد بن الوليد، لما بينهما من تشابه في إعداد الجيوش والتنظيم للحرب والتحلي بروح قتالية عالية، والشدة على أعداء الله^(٢):

هكذا يبرزُ فينا خالدٌ وصلاً ——— صلاح الدين الجيشُ اللّهام

وإن كان هناك خالد وصلاح فهنا أحمد ياسين، الجبل الصامد في وجه أعداء الله -اليهود وأتباعهم -مثالاً حياً للصمود والثبات واليقين في آن واحد^(٣):

أحمد ياسين..
معجزةٌ من صنع الإيمان..
ثباتٌ.. إقدامٌ.. ويقينٌ
مأساةُ الشعبِ يجسّدُها..
والوطنُ المغصوبُ المكلومُ

ولا يقل عنه شأنًا القائد الذي مرغ أنوف الروس في جبال الشيشان -علي عزت بيجوفيتش فيخصه بكلام في قصيدة شامة على جبين الدهر حين يقول^(٤):

(١) السابق، ص: ١٦.
(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٧٧.
(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٩٢.
(٤) يا سراييفو الحبيبة، ص: ٩١.

فريد أنت في دنيا الزعامة ومن ذا لا يُكن لك احترامه؟
"علي" قد حباك الله عزراً فأنت على جبين الدهر شامة

نشط الشاعر أيضاً في مدح القادة المجاهدين، أمثال صلاح الدين وخالد بن الوليد و سعد بن أبي وقاص وغيرهم، نشط في تسجيل الوقائع، والمعارك الإسلامية التي سطر المسلمون فيها أروع المثل، كبدر واليرموك وحطين والقادسية، ووصف أحداثها.

معركة بدر التي سطر فيها المسلمون أروع البطولات، كانت وما زالت مضمراً للأمثال في الصمود والتضحية وحسن الإدارة^(١):

بك نستجير ونحتمي بك يا إلهي نستعين
نفحات بدر إذ تهب وروعة الفتح المبين
تزهو حدائقنا العجاف ونرتقي دنيا ودين

ويقول أيضاً حيث يربط بين بدر البطولة وحطين النصر المؤزر، فالتاريخ يعيد نفسه بشخصيات جديدة^(٢):

وتعود ألوية الهدى خفاقة بدر تدار هناك أو حطين

ويضرب لنا أروع الأمثلة في الثبات والشجاعة اللذين يحققان النصر بإذنه تعالى في اليرموك^(٣):

راية اليرموك فينا ما انطوت فارفعوها ترتفع للمجد هام

ظهر الاتجاه الإسلامي عند الشاعر من خلال استدعاء ه للشخصيات والنماذج والأنماط الإسلامية، لأن هذا الاستدعاء إنما هو محبة وولاء واتباع والتزام.

المحور الثالث: الأدعية والابتهالات:

من كمال إيمان المسلم توجهه لربه بالدعاء، طالبا منه الرحمة والهداية والنجاة، وهذا دليل على رسوخ العقيدة، والدعاء هو الطلب إذا كان من شخص ما، أما إذا كان من رب الكون، فالدعاء هو الطلب مع الرجاء والخوف من الله-سبحانه وتعالى- والخضوع له والتذلل بين يديه، وعقيدة المسلم تحتم عليه

(١) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٧٩.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٧٨.

(٣) السابق، ص: ٢٨.

التوجه لربه بالدعاء وهو موقن بالإجابة لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١).

وقد امتلأت دواوين الشاعر بالأدعية والابتهالات نذكر منها قصيدة دعاء^(٢):

نور اللهم قلبي	بشاع من سنناك
يا إلهي أنت حسبي	أنا لا أرجو سواك
غايته وجهك ربي	منتهى سعي رضاك

ويقول أيضاً^(٣):

اجعل التوفيق زادي	حيث يمت المسير
في صلاح واجتهاد	أطلب العلم المنير
بين أهلي وبلادي	أنشر الخير الوفير

ومن حسن ظن العبد بربه توجهه إليه بالدعاء، وهو في أمس الحاجة وطلب العون، والرحمة، وأي حاجة أعظم من حاجته إلى المطر، وإلى نبات يزين الأرض، أيترك بلاده تذوب في بحار القانطين، والله تبارك في علاه يقول: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٤)، فنراه يتوجه لربه في صلاة الاستسقاء بالدعاء^(٥):

أنزل علينا الغيث يا ربي	وابعث فيوض الخير والخصب
أنت الغني وما سواك لنا	عون على اللأواء والكرب
دعواتنا يا رب خالصة	مُزجت بذوب الروح والقلب

ومن صور الدعاء التوسل لله تعالى بقبول العمل والعفو عن التقصير^(٦):

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٩٢.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٩٣.

(٤) سورة الحجر، الآية ٥٦.

(٥) جراح وكلمات، ص: ١٨.

(٦) السابق، ص: ١١.

رَبِّ رُحْمَاكَ كُلُّ نَبْضَةٍ عَرَقٍ من فؤادي تجيشٌ بالدعواتِ
قَصْرَتْ هَمَّتِي وَهَيْضَ جَنَاحِي أين مني النهوضُ بالواجباتِ
أَيْنَ بَذَلِي مِنْ أَجْلِكَ النَّفْسَ والمالَ ومعنى تجرُّدي وثباتي
طالما قد ظَلَمْتُ نَفْسِي فَعَفُوا وأعني ربي على الطاعاتِ

من الملاحظ من خلال النماذج السابقة أن الشاعر مزج بين الشعر الذاتي والوجداني وبين بعض القضايا التي تَورق وتشغل بال الأمة في شعر ممزوج بعاطفة دينية متقدمة.

ظهر التوجه الإسلامي عند الشاعر أحمد الصديق من خلال صدق العقيدة وتبنيه الفكر الإسلامي، عقيدة وعملا فجاء شعره نابضا بالصورة الحية للعبادة وطاعة الله، والتذلل والخضوع بين يديه، وفي استنكاره للأنبياء والقادة العظام- الذين حرصوا على زرع العقيدة الإسلامية في نفوس أبناء الأمة- يركز على إعادة بناء الجيل المسلم وفق منهج الإسلام، وإعادة تربيته في أحضان العقيدة الإسلامية، ويحث الجيل المؤمن على ضرورة الاقتداء بهم.

المبحث الثاني الاتجاه الوطني

الوطن : هو العلاقة العاطفية التي تربط الإنسان ببقعة من الأرض، والوطنية : هي ما يترتب على هذه العلاقة من واجبات وتكاليف؛ لذا تعد الوطنية قيمة من القيم الإنسانية التي حث الشعر على غرسها في نفوس الأجيال، وهي "أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، والتعصب له، أيا كانت أصولهم التي ينتمون إليها، وأجناسهم التي انحدروا منها"(١).

الأرض هي الوطن، والوطن هو الأرض، فإذا كانت الأرض للإنسان هي كل شيء، فهي لرب الأسرة البيت الذي يلمه ويدفنه مع أسرته، وهي للمزارع مزرعته التي تفيض بالغلال والجمال، وهي للمواطن مدينته التي أحب شوارعها، وميادينها وقضى فيها ساعات عمره، أو قريته التي عشق أشجارها وتزأب بساتينها، وهي للجندي الوطن الذي يدافع عنه ويحمي حدوده ويبذل من أجله روحه، وهي القبر الذي يوارى رفاتة، ولكنها للشاعر ليست ظرفاً أو بنية فحسب وإنما هي كل هذه الأشياء معاً وإذا كان الشاعر فلسطينياً ففوق كل ذلك هي الخيمة والشتات والمعتقل والذكريات وآلام الغربة.

والوطن عند الشاعر محض العقيدة، والدفاع عنه دفاع عن العقيدة الإسلامية، فهو مهبط الديانات، وأرض النبوات، فيه عاش ودفن معظم الأنبياء، مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم – فيقول(٢):

أليست هي أرض الأنبياء..

أرض المحشر والمنشر..

ملتقى الأنبياء..

ومهبط الملائكة..

ومدفن الأبرار والصالحين..

ومحضن الأقصى المبارك.. أولى القبلتين، وثالث الحرمين،

ومسرى رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه..

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، د. ط (جدة - دار الشروق ١٩٨٣)، ص: ٥٥٤.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٧.

ويقول في ديوان جراح وكلمات^(١):

ورثت كلَّ رسالات السما
في كتاب الله معراج الصعود

ويقول أيضاً^(٢):

هذي فلسطين أولى القبلتين لنا فيها طيوف الصبا والحب والذكر
فيها الأواصر إيماناً ومعتقداً والأصل والفرغ والألاء والغمر

إن الشعر حياة الشعراء، والأرض باعث الريحه، وموئل الشعر وحياته وهي البيئة التي تنمو فيها القصائد كما تنمو أشجار الليمون والبرتقال وتتفتح أزهارها فتنتشر طبيها في كل مكان، لذلك زواج بين الأرض وملكة الشعر فكل منهما بحاجة إلى رعاية واصطبار، حتى يأتي الحصاد مباركاً بإذنه، فيقول^(٣):

إذا امتزج الدم الموار بالوجدان والقلم
تنزى الحرف مثل الجرح يذكي النور في الظلم
ويسقي جنة الأحلام ذوب الفكر والقلب
فنرعاها كما نرعى غراس الروح والحب
ويوم حصادنا نمضي لنقطف زهرة النصر
ويشرق من مآذننا على الدنيا سنا الفجر

وطن الشاعر فلسطين، ذلك الجرح النازف في قلب هذا العالم، تسكنه وتوجعه بأهاتها وأنينها، وهي القضية الأولى لهذا العصر، أولاها الشاعر جل شعره، فيؤكد في أشعاره أن فلسطين إسلامية، ستبقى قوية شامخة بكبريائها، تستمد حيويتها وعوامل بقائها وجمالها من الشمس، مصدر الإشراق في هذا العالم، فيقول في مقدمة ديوان هكذا يقول الحجر^(٤):

(١) جراح وكلمات، ص: ١٥.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٨٦.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٥ - ٦.

(٤) هكذا يقول الحجر، ص: ٥ - ٦.

فلسطين..

ذلك الجبينُ الشامخُ الذي يعانقُ الشمسَ ولا يحترق..

لأنه من عنصر الشمس..

ويتحدى الأعاصير ولا ينحني..

لأنه أقوى من الأعاصير

ويقفأ عينَ النمرود..

الذي ينظر إليه شزراً أو

يتآمر على حرقه بلا اكتراث..

وقد نشأ الشاعر نشأة إسلامية، رضع حب الوطن وعزة النفس منذ الصغر^(١):

هكذا الإسلام قد علمني عزّة النفس وحبّ الوطن

وإلى درب العُلا أرشدني وحباني بالهدى والفطن

هكذا الإسلام قد علمني

إن الوطن، الجهة التي يشرق منها القمر، وهو ملهم الشاعر قوافيه، فلا غرو أن يكون الوطن هاجس الشاعر الذي طاف الدنيا فلم يجد في البلاد كنزاً يعدل وطنه^(٢):

من وجهك تطلع أقماري وجمالكَ مبعثُ أشعاري

يا وطني يا عينَ الدنيا يا هاجسَ ليلي ونهاري

فتتشت كنوزَ الأرض فما ألفتُ بديلاً عن داري

وهو محط أشواق الشاعر، التي عذبتَه في غربته^(٣):

وطني عبيرك يستفز جنابي وروى سناك تمورُ في وجداني

يا مهدَ أشواقي ورحتُ مودعاً فيك الصبا ومربعَ الخلانِ

وغرستُ في نجواك بين جوانحي وترا يجيش بأعذب الألحانِ

(١) أناشيد للصحوّة الإسلامية، ص: ٢٠.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٧١.

(٣) السابق، ص: ٦٦.

يا نسمةً من طيب عرفك حرة مشبوبةً بلواعج الأشجان

والأرض تتواتر بكل الألفاظ التي ذكرنا وبكل أحوالها من خصب وجذب وغنى وفقر وفرح وأسى فلو أمعنا النظر في قصائده لرأينا الأرض بكل صورها: فالأرض هي الوطن الذي رضع عشقه مع حليب الأم، تعلم في رحابها أسباب السمو والرفعة، امتزجت آلامه بآلامها، فأصبحت ميثاقاً يعلق في الرقاب كالتعويذة^(١):

عشقوا الأوطان نوراً وهدي	منذ أن شبوا صغاراً في المهود
رضعوا فيها المعالي مثملاً	رضعوا الآلام في عمر الورود
فهي في الأعماق حبّ راسخ	وهي في الأعناق ميثاق أكيد

لقد فارق شاعرنا بلدته (شفا عمرو) وهو في مقتبل العمر، على أمل العودة بعد زمن قصير، فإذا به تتقاذفه البلاد حتى شاب وشاخ دون أن يكحل عينيه برؤية بلده من جديد، فتفجر الحنين في قلبه قصائد تتلهب شوقاً إلى ترابه، حتى أصبحت الأرض قلبه الذي يخفق بين ضلوعه^(٢):

أرضنا هذه وفي كل شبرٍ	من تراها يهفو مشوقٌ وشائق
هي منا ونحن منها وفي الأعد	ماق تحيا بين الضلوع الخوافق

وشاعرنا راسخ رسوخ الجبال في أرضه رغم بعده عنها، جذوره ممتدة في أعماقها كجذور السنديان^(٣):

راسخ في صميم أرضي كأصل السد	نديان القديم صلب القوام
-----------------------------	-------------------------

وسيقى الشاعر اللاجئ المشتت عن أرضه كالبلبل الغريب يغني للأرض يصور الضياع والتشريد الذي حل بأبناء وطنه، فالشاعر الذي فارق وطناً محتلاً تعيث به شرادم الأرض فساداً، وتكّل بشعبه أي تنكيل، لا يستطيع تصوير المشهد إلا من خلال كلماته المتقطعة، الضائعة بين الركام^(٤):

وطني أنا.. وأنا الذبيح

ممزق شلوا.. فشلوا..

وطني.. متاهات الدروب.. وخيمة نصبت هناك..

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٧.

(٢) السابق، ص: ٥١.

(٣) السابق، ص: ٢٩.

(٤) جراح وكلمات، ص: ١٠٦ - ١٠٨.

وصارَ لي منفاي مأوى..

ويلاه..

أين فقدت أوطاني.. وأهلي.. والصحاب؟!!

ويظل العزم على العودة من خلال هواجس الشاعر حين غدت أشواقه أسراب من الطيور عائدة إلى الوطن، وليست العودة في جوِّ صحو بل تحت الأمطار، فالأمطار مصدر مشقة وعنت للطيور الطائر في السماء، ولكنها هي سبب عودة الربيع^(١):

أشواقي أسراب طيور	عائدة تحت الأمطار
وحنيني موقد أحزانٍ	حرى تتوهج كالنار
مهما تتقاذفني الأمواج	فأنت نهاية أسفاري

يفند أكلوبة اليهود بأنهم أصحاب حق بهذه الأرض، قلبه متعلق بها مشتاق لثراها الطيب^(٢):

نحنُ أهل الديار إن فارق الأحـ	بابُ يوما فالقلب غير مفارق
أرضنا هذه.. وفي كل شبرٍ	من ثراها يهفو مشوقٌ وشائق
وطيف الوطن لا يفارقه في الصحو أو النوم ^(٣) :	

وطيوف الوطن المغصوب أحلامٌ مثارة

إن شاعرنا الذي اشتعل رأسه شيباً ما زال مصرّاً على العودة إلى بلاده، والتّملي منها بلدًا ومن مسجدها الأقصى، وهو واثق من أن أحلامه لن تضيع سدى، وإنما هي أحلام محققة، لا شك من تحققها، وتحقق النصر الذي سيعيده إليها نهاية المطاف^(٤):

حيفاً واللُّد وبئر السبـ	ع وكلُّ سُفوح الأغـوارِ
والقدسُ ومسجدها الأقصى	وسيوفُ جُدودي الأخيـارِ
لن تذهبَ أحلامي أبـداً	بالنصرِ ستعقدُ أثمـاري

وهذه هي مهمة الشاعر أن يزرع الثقة في نفوس اليائسين، والأمل في عيون البائسين.

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٧١.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٥١.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٢٥.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ٧١ - ٧٢.

ويقول أيضاً موحداً بين شطري الوطن المغصوب ^(١):

في ظلال القدس في أكنافها في جمل غزة في رمل النجود
ويسير مع الشاطئ حيث المدن الفلسطينية المغتصبة فيصورها بحبات لؤلؤ متناثرة قائلاً ^(٢):

يافا وزهر البرتقال وكأئنه في جيدها العاجي عقد جمان
والشاطئ المسحور فوق جبينه حيفا تطل بلحظها الفتان

وتعود به الذكرى إلى الأيام الأليمة التي هاجم المغتصبون فيها بلدته تحت جناح الظلام
بوحشية اضطرت أهله إلى هجر بيوتهم مهدمة ومزارعهم مدمرة، إنه ما يزال يذكر حين تحجر الدمع
في عينيه من هول المنظر ^(٣):

وما زال يذكرها تلکم اللحظة الحاقدة..

تطایر عش الصبا.. كالهباءة..

صوح روض المنى الواعدة..

رآه تحجر في عينيه الدمع..

لقد صادروا منه سنبلة القمح..

زيتونة الحقل

والشاعر رغم كل الكوارث التي حلت بوطنه ما يزال على ثقة بقومه متيقن أنهم سيدحرون
أعداءهم وسيحرزون النصر وليس لديه أدنى شك في ذلك، فهو ما يزال يهتف بهم ويدعوهم ليهبوا
فيدحروا عدوهم ويمحوا جريمة الاحتلال ^(٤):

حطموا أسطورة البغي الأثيمة وامحقوا عن أرضنا تلك الجريمة

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٦.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٦٥.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٥٦.

(٤) جراح وكلمات، ص: ٢٨.

إن الذي يلزم لإزالة العدو ومسحه من الأرض المحتلة إنما هو شيء واحد هو أن توطن الأمة عزمته على سحقه ومحوه وتنطلق كالصاعقة لتقلب جنان الأرض المحتلة جحيما يحرق غاصبها^(١):

ليس للغاصب في أوطاننا موطين إن نحن وطينا العزيمة
اصعقوا الدنيا بزحف كاسح واجعلوا من جنة العادي جحيمة

ويبلغ مدى ثقته بشعبه وأمته أن يبرم موعداً للقدس بأنها ستري معركة أنصار الحق وهم ينشرون الموت والرعب بين فلول المحتلين، ويظهرون أرضها من أدران الاحتلال وعار الاغتصاب^(٢):

واشهدي يا قدس في يوم اللقاء جولة للحق غراء كريمة
تَقْدِفُ الموت لهيباً واريّاً تَنْشُرُ الرُّعبَ وتجتاح هشميه
ثم تَمحو عنك أرجاس العدا وبقايا العار والذكرى الأليمة

سيطرت محنة الوطن على الشاعر فهو يستذكر مأساة ومحنة وطنه كل لحظة حتى عندما يكتب عن شهر رمضان لا ينسى أن يختم قصيدته بما يشعر به من محنة وألم، فمشقة الصيام لا تعدل مشقة البعد عن الوطن^(٣):

أيا نفس إنّا نشق الطريق على شوك محنتنا المؤلم

فقد ظل الوطن هو البطل الحقيقي في معظم قصائد الشاعر الذي امتدت حياته من قبل النكبة وحتى سبعة عقود كاملة. ورغم أنه يصور لنا فرحته بمناسبة العيد، إلا أن المفارقة العجيبة أن ذكرى العيد قد ظلت تؤرق نفسه، وتجدد الحزن^(٤):

حلت يا عيد والعش الحبيب كما عهدته ظللاً تبكي هواجـرُه
والشمل كالريشة الحيرى يبعثره صرف النوى والعوادي لا تغادرُه

وهو يجمع بين قداسة العيد وقداسة القدس ليوحي لنا أن العيد الحقيقي هو يوم نثار لتحرير القدس، ولسان حاله يقول بأي حال عدت يا عيد^(٥):

(١) جراح وكلمات، ص: ٢٨ - ٢٩.

(٢) السابق، ص: ٢٨ - ٢٩.

(٣) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٧٤.

(٤) جراح وكلمات، ص: ٣٣.

(٥) السابق.

يا عيدُ والقدسُ آلامٌ مجلجلةٌ والثأرُ تنفثُ بركائنا زوافرُهُ

والأرضُ تجترُ في أحشائها حُمَمًا ما عاد للحرِّ فيها ما يحاذرُهُ
ولكن لا يضيع أمل الشاعر في زوال الماسي من أرض وطنه، فهذا الليل الذي يطل على
الأطفال المذعورين بالرعب لن يدوم، لأن الصباح لابد أن يأتي ويبدد هذا الظلام وعند ذلك ستنبت
الآمال المدفونة تحت التراب كجذور النبات وتخضر فتزدهر بها أرض الآباء^(١):

بعثوا الآمالَ في أرباعنا بعد محلٍ فنما حبُّ الحصيدِ

وقال أيضًا^(٢):

وحالكُ الليلِ أشباحٌ مروعةٌ لكنما الفجرُ مهما طال قاهرُهُ

ويفيض الحنين به حين يخاطب بلاده بأرقّ نداء، إنها موطن نور الهدى الذي يحيي القلوب
الميتة، ثم لا ينسى شاعرنا الرابط المتين بين أرض الهدى وبين دينه الإسلام الذي يعتز به، ويعلم
بأعلى صوته - وهو يعلم أن الأعداء إنما يبتغون استئصال الإسلام من الأرض - إن شعلة الإسلام لا
يمكن أن تطفئها أحقاد اليهود ومظالمهم^(٣):

يا بلادي يا حمى النورِ الذي لو مشى في ميّتٍ أحيّا رَمِيمَهُ
شُعلةُ الإسلامِ لن تُطفئَها نفخةُ العُدوانِ أو عصفُ السَّخيمِ

الشاعر رغم بعده عن وطنه، إلا أنه يواكب أحداث وطنه أولاً بأول من حصار ودمار فوق
رءوس الأبرياء، ولسان حاله يقول : إن أبعدته المنافي فقلبه معلق، يتمنى العودة إليها، وليس هناك
حلّ للتخلص من المحتل إلا بالمقاومة^(٤):

أبي قصّ لي عن ليالي الحصار

ومعنى الثباتِ وصدقِ الفداء

وعن صرخةِ الأمِّ تحت الركام

تهاوى عليها حطامُ البناء

وعن طفلةٍ مزقتها الحراب

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٩.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٣٤.

(٣) السابق، ص: ٢٩.

(٤) أناشيد للصحوّة الإسلامية، ص: ٤٤.

وعن مثخنٍ غارقٍ في الدماء

أبي يا أبي لستُ ألقى السلاح

وللنار يعلو بأرضي النداء

ويعود إلى التاريخ الإسلامي، إلى غزوة خيبر التي أذلت هؤلاء اليهود فبرسلها صيحة عالية بأن الأمة مازالت - على رغم ما تعرضت له من ظلم - مرتفعة الهامة، وعلى أبناء الذين هُزموا وذلّوا في خيبر أن يتذكروا تاريخ آبائهم ويتوقعوا جولة قادمة ستكون عقباها شديدة وخيمة عليهم رغم أحقادهم وضغائنهم^(١):

نَبِّؤُوا (خَيْبَرَ) أَنَا أَمَّةٌ	لَمْ تَزَلْ فِيهَا عَلَى الظُّلْمِ شَكِيمَةٌ
قَمَّةٌ رَغَمَ الْأَعَاصِيرِ التِّي	زَعَزَعَتْهَا وَالسِّيَاسَاتِ الْعَقِيمَةِ
اَذْكُرِي التَّارِيخَ ثُمَّ ارْتَقِبِي	فَجَرْنَا رَغَمَ دِيَاجِرِ الْهَزِيمَةِ
وَاكْبَحِي الْأَحْقَادَ عَنَّا وَاعْلَمِي	أَنَّ عُقْبَاهَا عَلَى الْبَاغِي وَخِيمَةِ

وقد استأثرت مدينة القدس الشريف باهتمام الشعراء منذ العصور الأولى للفتح الإسلامي نظرًا لمكانتها الدينية التي أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من آية، وأكدتها السنة النبوية الشريفة في عدد غير قليل من الأحاديث والأقوال المأثورة.

فالقدس رمز ديني ووطني، تغنى بها الشعراء الفلسطينيون وغيرهم حتى استحوذت على ألبابهم، وفدوها بالمهج والأرواح، وشاعرنا ابن فلسطين تشكل القدس لديه عاصمةً ورمزًا دينيًا وثقافيًا، وتواترت لديه بألفاظ عدة، كالقدس وبيت المقدس والبيت المقدس ومدينة الإسراء وغيرها^(٢):

القدسُ ومسجدُها الأقصى

مَهْدُ الْإِسْرَاءِ

وثرَاها الطاهرُ مجبُولٌ

بِدمِ الشَّهْدَاءِ

كيف لا وهو الشاعر المسلم الوطني، حيث محبة الوطن جزء من العقيدة، ومن تخلى عن القدس تخلى عن دينه ومعتقده، وحين قام سليمان خاطر بعمليته في سيناء يمسح الشاعر دموع الفرح، لفرحة القدس^(٣):

مسحتْ جراحَ القدسِ فارتعشَ الهوى

ففيها يغالبُه العذابُ الهون

(١) جراح وكلمات، ص: ٢٩ - ٣٠.

(٢) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٤٠.

(٣) السابق، ص: ٧٧.

ويعود ليؤكد أن القدس عربية إسلامية وأن تحريرها لن يكون بالمفاوضات والمساومات^(١):

القدسُ ليسَ طريقُها عبرَ العواصم
في فجاجِ الأرضِ والمدنِ البعيدة
القدسُ إسلاميةُ العينينِ والشفقتين
إسلاميةٌ حتى الأبد
القدسُ أولى القبلتين
ليست لهرطقةِ اليمين ولا اليسار
هي الحقيقة والنهار

لا يفتأ الشاعر يبث حممه، ونيران كلماته اللاهبة، مذكراً قومه بالجهاد، والمقاومة لدحر العدو^(٢):

اقرعُ الخصمَ بآياتِ الجهادِ
قلْ لهم هذي بلادي
مهذُ أجدادي...
وأحفادي
وتاريخي.. وزادي
رسختُ فيها جذوري.. وارتوى منها فؤادي

يحدد الطريق الصحيح لاستعادة الحق المسلوب، وهو الالتزام بالمنهج الرباني، والتوكل على الله فهو خير معين^(٣):

فلا شرقٌ ولا غربٌ ولكن نهجَ قرآن
فيا دنيا اشهدي بالحق أنا جندُ رحمن
وأن الله في وجه الأعداء خيرُ معوان

(١) جراح وكلمات، ص: ١١٢.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ١٣.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٥٩.

يحذر من التقاعس وترك البلاد دون الدفاع عنها^(١):

لا تدع زمرة القراصنة الأو غاد تلهو بروضك الفواح

يبين دور أطفال الحجارة في دحر العدو الغاشم، فالحجر يفعل فعل الصاعقة، لأنه محمل بالعزيمة والإصرار والتحدي، ويرمز هنا للعدو بجالوت لضعفه وهوانه^(٢):

حجر.. لكنه صاعقة
قلبت كل موازين الحشود
من رأى جالوت يهوي دونه
مُثخنا.. والحق يعلو.. ويسود؟!
وقال أيضًا^(٣):

تتلظى صخورنا ملء أيدينا
شواظ من غضبة وانتقام
شهباً تقذف الشياطين بالرعب
وتتنقض شعلة من ضرام

يصور تضحية الشعب الفلسطيني - في سبيل الوطن - بكل فئاته: الأب والأم وحتى العجائز والفتيات والصبيان، وصمودهم في وجه الأعداء^(٤):

رب أم صرعت علجاً وقد
جعلت من تحته الأرض تميد
وأب يدعو بنيهِ: اقتحموا
وهو بالنفس وبالمال يجود
وعجوز قاومت في نخوة
وصبي صال كالليث المريد
لوح المقلع وانقض به
كشهاب يجدغ الأنف العنيد
وفتاة سقطت في خدرها
برصاص الغدر أو طفل شهيد
أو جنين مزقوه حذراً
هكذا يخشون أشبال الأسود

الخيانة: يأتي مصطلح الخيانة كتنقيض للوطنية، ومن شدة حب الشاعر لوطنه، نجده قد أفرغ جزءاً من شعره عن الخيانة، وحذر منها فهي أول البلاء وآخره^(٥):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٧٣.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ١٩.

(٣) السابق، ص: ٣٠.

(٤) السابق، ص: ٢٠ - ٢١.

(٥) قادمون مع الفجر، ص: ٧٣.

هذه محنتي وتلك جراحی
كَبَلُوا ساعدي وفَلُّوا سلاحي
أخرجوني من خنْدقي دامي الكفين
باعوا دمي وخانوا كفاحي
عجبَ الشامتونَ يومَ رحيلي
وأنا في توثُّبي وجماحي

يتساءل الشاعر عن مدى ما وصل إليه الزعماء العرب في خيانة شعوبهم، وشحذ السلاح ضدهم، خوفا من صحتهم ومناصرتهم لفلسطين وأهلها^(١):
أيا كلُّ من خذلوني

أسائلكم حيث كنتم لمن تلکم الأسلحة؟!
كما جثث الميتين تكس في ظلمة الأضرحة؟!
لمن تلکم الطائرات؟!
وتلك الصواريخ والراجمات؟!
لمن كلها تشتري؟!
إذا لم تكنْ درع أوطاننا يا ترى!!
لماذا بوجه الشعوب تلعلع بالموت؟!
لكن بوجه العدو تلوذُ إلى الصمت؟!

يبين نتيجة الخيانة والتخاذل، التي يعتبرها البعض بطولة- كالبحت عن حلول سلمية لحل النزاع بيننا وبين اليهود- ويصورها بالزيف، فهؤلاء الذين يبحثون عن الحلول السلمية، ابتعدوا عن جوهر القضية بيننا وبين اليهود وزينوا الألفاظ، بحيث خرجت عن معناها الحقيقي للصراع بين شعب محتل وكيان غاصب^(٢):

إن البطولة في أراجيفِ العدى
زيفٌ تزيئُهُ البجاجةُ والخنا
لولا تخاذلنا لكانَ مصيرُهم
يُذري رمادًا في أعاصيرِ الفنا

ولا ينسى شاعرنا أن يشير إلى أمر من أهم الأمور، وهو أن ما جرى لفلسطين، لم يكن بسبب تخاذل أهلها في الدفاع عنها، بل كان مؤامرة كبيرة من مجرياتها أن تقدم للمدافعين عن البلاد أسلحة فاسدة، ترتد ناراها على الرامي فتقتله^(٣):

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٣٤.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٤٧.

(٣) نداء الحق، ص: ٧٥.

ويخِرُ جنديٌّ على الانقاص.. والَهْفي عليه !

عَدَرَتْ قَذيفَتُهُ فعادتُ عندما انطلقتُ إليه !

ويصور حالة الهزيمة الذاتية للقادة في معارك التحرير حين تركوا جيوشهم للموت ورضوا بالذل والهزيمة قبل الوصول لساح القتال^(١):

شُ وطابت وخامةُ الانهزام

أَمْ ترى في الحضيضِ لَدُّكَ العِي—

د وعاث الذناب في الأغنام

وتراخى الرعاة وانفرط العقـ

ذلٍ وعارِ الخنوع والإحجام

يا لخزي القعودِ في موقف البـ

منذ أن ارتبط الإنسان بالأرض وعمق علاقته بها، ازداد تعلقًا بالمكان والدفاع عنه، وترسخت هذه العلاقة وتجذرت واتحد الإنسان بالأرض، وأصبحت وطنًا، وأصبح الوطن أغلى من كل شيء، لأنه يحمل كل المعاني والدلالات، ويضم كل الأشياء، وأغلى ما فيه هو الإنسان..

من هنا كان الاعتداء على الوطن اعتداء على الإنسان وعلى كيانه ووجوده، فكان الدفاع عنه واجبًا والاستماتة في سبيله غير مستغربة، بل مرغوبة من أجل صيانة الأرض والدفاع عن العرض، لذلك لا غرابة أن يموت الناس في سبيل أرضهم وكرامتهم وكيانهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ووجودهم الإنساني والحضاري في بقعة معينة هي الوطن.

ومنذ أقدم العصور دافع الإنسان العربي عن أهله وكيانه السياسي والاجتماعي وقَدَم المدافعون الضحايا بالأنفس والممتلكات من أجل أن يبقى الوطن حرًا كريمًا.

فالشهداء تجاوزوا مرحلة الناس العاديين وتساموا إلى مرتبة الصفاء الروحي وإنكار الذات والترفع عن صغائر البشر، لأنهم أدركوا أن التضحية بالأنفس والأرواح هي الطريق إلى حرية الأوطان، لكنهم أدركوا أيضًا أن الشهادة حياة، وليس موت، هي حياة الخلود، في ضيافة الرحمن^(٢):

إنه حيٌّ سعيدٌ

لا تقل ماتَ الشهيدُ

مِثْواه الخلودُ

إنه في كنفِ الرحمن

وهو بالروحِ يَجُودُ

ودَّعَ الدنيا راضيًا

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٣١.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٥٥.

والشهيد ليس فقط من مات في أرض المعركة، بل هو أيضًا من استشهد في السجن، دفاعًا عن قضيته، تحت سياط التعذيب^(١):

ودمُ الشهيد على الرغام مجدلًا أنفاسه طويت بلا أكفانٍ
من كل من ذهبوا سياطُ الظلم في أعقابهم وسلاسلُ السجانِ

وقد برع الشاعر في تصوير مواقف عدة للشهيد ومنازله في الجنة، لكن من المفارقات العجيبة في الشعر أن يكتب الشاعر قصيدته في الثمانينات لكنها تحاكي الواقع المرير كل لحظة، ففي هذا المقطع من القصيدة تشم رائحة الحرب الأخيرة على غزة التي اندلعت عقب استشهاد الطفل محمد خضير، وغيره في ظل صمت عربي ودولي^(٢):

تركوا الطفل وحيدا
يتلقى الموتَ في غزة في الأقصى شهيدا
هكذا يولّد ميلادًا جديدًا
هكذا يزرعُ دنيانا شموسا وسنابل

هكذا يعتنق الفردوس بعد القهر والبلوى سعيدا
ويعقب الشاعر على ما سبق ويعلن تمسكه بمبادئه التي ورثها عن الآباء والأجداد، حتى آخر رفق له، في هذه الأبيات^(٣):

لو كان يزحف بي قبري على قدمٍ لجئتُ أعلن تأييدي وإقدامي
فطهروا كل شبر مسه دنس وسددوا الخطو نحو المنهج السامي

شكّل الوطن بالنسبة للشاعر الأرض والشتات والخيمة وألم الفراق ، و كل هموم الدنيا فوطنه المغصوب جعله في حالة من الثورة الدائمة على حال الأمة وحال شباب الإسلام فقذف حمم ثورته في نفوسهم، وعمل على زرع حب الوطن فيهم منذ الصغر، ونبه إلى المخاطر التي تحدق بهم إن لم يشحنوا العزم ويعملوا على تحريره، وهو قبل ذلك محضن العقيدة، وحصن المسلم؛ لذا استحق أن يكون ميدانا لبذل النفوس رخيصة فداءً له، والتضحية من أجله.

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٦٧.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٦٢.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٥٥.

المبحث الثالث

الاتجاه الاجتماعي

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، والشاعر الفلسطيني ابن المجتمع يهتم لقضاياها ويدافع عنها، يحارب الآفات الاجتماعية التي تفتت في عضد المجتمع، يدعو إلى الإصلاح، يحرص كل الحرص على توعية أفراد المجتمع بالمخاطر التي تحدق به، يغرس القيم ويعززها بسلاح الكلمة المدوية، وقد عالج الشاعر أحمد الصديق قضايا اجتماعية عدة، وأفرد لها مساحة واسعة، فتحدث عن دور المرأة في تنشئة الأجيال، والتربية الإسلامية الصحيحة، والمناسبات الاجتماعية كالأعياد والأفراح، وأولى قضية الزواج والطلاق وغلاء المهور عناية خاصة، إلى جانب قضايا أخرى سنتطرق إليها.

واهتم الشاعر بقضية الموت وذكرها كثيرا في شعره، فهو الحقيقة الكبرى التي قدرها الله سبحانه وتعالى منذ الأزل، ولا مجال للإنسان لرفض الموت أو منعه، وقد أفسح الإسلام للمسلم مساحة للتفريغ و البكاء على الميت، وذكر مناقبه، وطلب المغفرة له، والشاعر المسلم ينطلق في رثائه من تصوره لهذه الحقيقة وفق فلسفة الحياة والموت والبعث، ووفق النظرية الإسلامية لها، وقد رثى الشاعر أحمد الصديق الشهيد عبد الله عزام ذاكرا جهوده في الحث على جهاد الأعداء بكلمة الحق والسلاح^(١):

وملء جنبه أشجاناً وآلام

قضى شهيداً وفي جفنيه أحلام

وضجَّ بالمحنة النكراء إسلام

في قلبه الجرح مذ ضاعت مرابعه

تطوي على الجمر أيام وأعوام

قضى شهيداً وفي أحشاء غربته

ويقول أيضاً في رثاء شاعر الإسلام محمد إقبال^(٢):

لك يوم ذكرك المجيدة تُبذل

يا شاعر الإسلام تلك تحيتي

فالعذر يا إقبال عندك يُقبل

إن كان شعري دون هاتيك الذرى

ويقول في رثاء صديق العمر^(٣):

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٩٥.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٧٨ - ٧٩.

(٣) السابق، ص: ١٠٢.

فارق الدنيا فراقَ الزاهدين لم يخلف غيرُ ذكرى الصالحين
طيفُهُ ما زالَ حياً بيننا كخيالٍ يتراءى كلَّ حين
يستفزُّ الوجدَ في أعماقنا ويثيرُ الحزنَ والدمعَ السخين
إيه عبدَ الله يا من ذكرُهُ صارَ بعدَ الموتِ طيَّ الغابرين
كنتَ فينا طيبَ المحيا أختاً صادقَ الودِّ على الحقِّ المبين

وقد تناول أحمد الصديق في شعره الاجتماعي قضية الهجاء، ولكن النفس الإسلامية تترفع عن هجاء الأشخاص؛ لأن ذلك يتنافي مع تعاليم الإسلام لذلك لم نجد فيما توفر لدينا من دواوين الشاعر، أية صورة واضحة لهجاء الأشخاص، لكن هذا لا يمنع من ذم حال الأمة العربية والإسلامية السيء، دون ذكر فرد بعينه، فنجد الشاعر قد صور حال الأمة من تهالك أمام الشهوات، وتقاعس عن الوظيفة الربانية التي خلق لها الإنسان، ألا وهي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، والدعوة لدين الله، وتحرير الأوطان، ولكن هيهات^(١):

ولا شأن للقاعدين

لا همَّ إلا امتلاءةً بطنٍ، وشهوةً فرجٍ ونشوةً راحٍ

تبخر حتى الحياءُ ونبضُ الكرامة

وفارقهم في حضيضِ الهوانِ مذاقُ الشهامة

فصاروا نفايةً هذا الزمن

وقد علموا أن كلَّ ظنينٍ الذباب

وكل البجاعات

لا تستردُّ ولو ذرةً من ترابِ الوطن

ومنه أيضاً^(٢):

(١) جراح وكلمات، ص: ٣٧.

(٢) السابق، ص: ٧٨ - ٧٩.

عبيدُ الهوى عالةٌ أدعياءُ صغار

خفافيشُ يخشونَ ضوءَ النهار

ينامون في سررٍ من خنوعٍ وذلٍ وعار

متى سوف يستيقظون؟!

ألم تكفهم كلُّ تلك الزلازل؟؟

فتكشفُ عنهم ظلامَ المهازل

سكارى وفي لهوهم يمرحون

ومنه أيضاً ذم بعض الأمراض في الإنسان بشكل عام دون تحديد فرد بعينه، حيث ركز على جانب الإصلاح الاجتماعي^(١):

هو الإنسان لا يشبع.....إفساداً ولا جهلاً

وإن لم يخش عاقبةً طغى في الأرض واستعلى

وأولى الشاعر اهتمامه بالمرأة : ابنة وأم وزوجة وأخت ومربية، فقد أشاد الشاعر بدور المرأة العظيم في تحمل مشاق الإنجاب وتربية النشئ تربية قائمة على الدين والأخلاق، حتى إذا ما شبوا كانوا عماد الوطن، السائرون به إلى التحرير^(٢):

ويا منجباتِ البطولةِ أنتن دفءُ الحنانِ وريشُ الوطن

كما أشاد بدورها الكبير في النهوض بمجتمع حضاري مميز ذي قيم إنسانية وأخلاقية تمتلك أدوات النهوض والتقدم^(٣):

(١) جراح وكلمات، ص: ٤٣.

(٢) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٥٧.

(٣) السابق، ص: ٥٥.

أيا أمهاتِ فلسطينَ يا كلَّ	أرحامِ شعبٍ أعدى الرجالِ
وفي محضنِ الطهرِ صوغي العزائمَ	نخرَ الصمودِ ودرعَ النضالِ
ومنذ الطفولة كنز البراعم	علمنهم كيف يغزى المحالِ
جمالكِ ما عادَ في زينةِ الوجه	لكنه في ارتيادِ الكمالِ
لكي تبغي النورَ جيلاً فجيلاً	يطاردُ جيشَ الخنا والضلالِ

يحرص شاعرنا كل الحرص على فتياتنا المسلمات فنراه يؤكد على ضرورة أن تنشأ البنت محتشمة مصونة كالدرر، وألا تكون سلعة رخيصة بيد الشباب، وقد نظم قصائد كثيرة في هذا المجال تتضمن نصائح للفتيات وتبين أهمية الحجاب فيقول في قصيدة لا تراعي^(١):

احببي ذاك الجمالا	وامنعي عنا الوصالا
اسحبي الذيل على الط	هر اعتزازاً واعتدالا
لا تراعي فالحجاب الع	ف لا يخشى وبالا

ويقول أيضاً^(٢):

أنا الفتاة المسلمة	مصونة مكرمة
عفيفة محتشمة بين	الورى محترمة
بالدين والفضيلة	وعفتي الأصيله
وشيمتي النبيلة	أنال كل مكرمة

من المناسبات الاجتماعية الدينية العيد، التي يحرص الجميع على اغتنامها لزيارة الأقارب والأحباب، وللزيادة في الطاعات، وقد صور الشاعر فرحة العيد، بعد صيام شهر رمضان فيقول^(٣):

العيدُ روضُ المؤمنين	العيدُ بشرى المتقين
العيدُ جائزة السما	للصائمين القائمين

والعيد فيه تتهيج المشاعر بالمحبة والفرح^(٤):

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٣١.

(٢) السابق، ص: ٩.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٧٦.

(٤) جراح وكلمات، ص: ٣١.

قالوا: هو العيدُ قد هَلَّتْ بِشائِرُهُ وأشرقَتْ كالسَّنا الهادي شعائِرُهُ
فقلتُ: مرحى يَدُ الإسلامِ تجمَعُنا فيه وتربطنا حبا أو اصرَرُهُ
يمتد جسراً من الأفراحِ متصلاً كالروضِ فاحتْ على الدنيا أزاهرُهُ

ونشوةُ العيدِ بالتكبيرِ صادحةٌ والقلبُ من سحرِها طابتْ مشاعرُهُ

من القضايا التي أولاهها الشاعر اهتمامه: التكالب على الدنيا والانجرار وراء الأهواء وحب المال، فنظم مقطوعة تعد قمة في الحكمة^(١):

سقطتْ دنائيرُ على وجه الثرى متناثرة
مرَّ النسيمُ فظنَّها شيئاً فقالت ساخرَةً
إياكَ لا تخدعَنَّكْ أطيافُ السرابِ الماكرة

ويعود الشاعر إلى البيت ليأخذ قسطاً من الراحة، فيلتف حوله الصغار من رضيع بالٍ، إلى آخر ضاحكٍ طالبٍ للهو، فيمثل الشاعر دور الأب الحنون، فيحمل هذا ويلهو مع ذاك وقد رسم الشاعر صورة حية للمنزل بكل أفرادهِ في قصيدة في المنزل^(٢):

فهذا رضيعٌ طريُّ الجناح وذاك يدبُّ على الأرجلِ
يطيرُ لَحْفَتَه كالفراشِ بترحيبه الباهرِ الأمثلِ
ينادي "أبي" وهو يعدو إليّ سعيداً يغردُ كالبلبلِ
فمن ضحكةٍ تستدرُّ الحنانَ إلى قبلةٍ عذبةٍ المنهلِ

حياة الجد تولد التعب والإرهاق ولابد للإنسان من ساعة يروح بها عن نفسه، وينعش فكره بما لا يخالف أو يتجاوز الحدود، ويخالف شرع الله^(٣):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٦٢.

(٢) السابق، ص: ٩٥.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٦٥.

وإمّا شئتُ ترويحاً فعندي
وسائلُ في انتعاشِ الفكرِ تجدي
ولا أجتازُ في الترفيهِ حدّي
ويبدأ بعدها خوضُ الصعابِ

كما عالج الشاعر بعض الآفات الاجتماعية: كالتدخين، ورفقاء السوء، والحسد، ونظم أبياتاً ناصحة لمن يتغافلون عن مضارها:

١-التدخين آفة العصر مضاره أكثر من فوائده وقد نبه الشاعر إلى ذلك في قصيدة الرجل المدخنة^(١):

أتاني يوماً وفي شفتيه	لُفافته نارها لاهبة
يمجُّ الدخان إلى جوفه	فيزخرُ في شهقةٍ راعبه
وينفته من كوى منخريه	كمدخنةٍ في الفضاءِ لاهبة
ولكن إلى أين والسقم يسري	وينشرُ ألوانه الشاحبة
يقولُ أعالجُ ليلَ الهمومِ	وثورةَ أعصابي الفاضية
وهل كان تفريجُ كرب النفوس	بسيجارة العلة الواصبة

٢- الكبر من الأمراض النفسية الاجتماعية، التي يجهلها البعض، فترى الشخص يعجب بنفسه، يمشي متبخترا، لاهيا، يلهيه الأمل وطول الدهر^(٢):

تاه بين الأنام عجباً وكبرا	وتماذى في غيِّه مشمخرا
نفخةً دونها فراغٌ عقيمٌ	وغرورٌ عن زيفه قد تعرّا
ينفقُ العمرَ في الغواية عبداً	الهوى خاض فيه مداً وجزرا
عابثاً ينشدُ اللذّة مفتوناً	يظنُّ الحياةَ لهواً وسكرا
ساذراً في مراتع الطيش حتى	ضاقَ عنه ليلُ المجانةِ صدرا
والندامى حبالُ الشرِّ كـم	قا دوه للمنكراتِ سراً وجهـرا

أما حسد الآخرين على النعمة فهي البلاء الأعظم لذلك يحرص الشاعر على بيان أسباب السعادة في المال، وهو القناعة والكد والتعب و الكسب الحلال فيقول^(١):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٩٣.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٩٨.

الغنى فيها غني النفس	س كفاني فاكتفيت
ليس إلا من حلالٍ	حزت مالي واجتنت
من حبيبات جيني	من لآليه اغتديت
عزفت نفسي فإن	مالت إلى الدنيا أبيت

غلاء المهور من القضايا التي أرقت المجتمع، وجعلت الشباب يعزفون عن الزواج، مما ولد مشاكل وخيمة في المجتمع، لذلك أولى الشاعر هذه القضية اهتمامه، ووجه نصائحه إلى أولياء الأمور

في قضية المهور حيث يطالبهم بالتيسير على المقبلين على الزواج، وتخفيض المهور^(٢):

كم يُغالي بالمهر بعض أناسٍ	جهلوا حكمَ شرعنا الرباني
ليست البنتُ سلعةً ليت شعري	أبهذا سيسعدُ الزوجان؟

ويقول أيضاً^(٣):

فارسُ الحلمِ إذ أتى	يبتغي القربَ يا ربـاب
نثروا في طريقه	دامي الشوكِ والصعاب
كلما جاءَ أعرضوا	ليتهم أدركوا الصواب

حتى إذا تيسرت الأمور وتم الزواج همس في أذن الزوجة بهذه الكلمات^(٤):

إن للزوج حقوقاً مثلما	لك في ذمته أيضاً حقوق
أنتما في رحلة العمر معاً	تبنيان العش كالروض الأنيق
قد نما بينكما الوفا	صادقاً فالعهد في الله وثيق

ولا ينسى الشاعر أن يشارك في المناسبات الاجتماعية والأفراح، فيبرق بالتهاني للعروسين^(٥):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٤٥.

(٢) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٥٣.

(٣) السابق، ص: ٣٤.

(٤) السابق، ص: ٣٩.

(٥) السابق، ص: ٥١.

وصنعنا قلائدَ الریحانِ

للعروسینِ قد زفنا التهانی

أقبل السعدُ بالوجوه الحسانِ

ورفعنا الأكفَ لله ندعو

وتزكو فی روضةِ الإيمانِ

بارکتها السماءُ تشرقُ بالخیرِ

الشباب هم عماد المستقبل، وأمل الأمة معقود عليهم، ومرحلة الشباب من أخطر المراحل، لذلك أولاهم الشاعر عناية خاصة وأرسل إليهم بأرق الكلمات وأعذبها، حاضاً إياهم على التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، والابتعاد عن اللهو والطيش^(١):

يا معقدَ الأملِ المجنحِ والأمانِ الحسانِ

هيا إلى قِممِ السَّنا هيا إلى صدقِ التفاني

نبني حضارتنا على الإيمانِ راسخةً الكيانِ

نهجُ السماءِ هو السبيلُ لكلِّ أمجادِ الزمانِ

سدّد خطاك على الهدى ودع التواكلَ والتواني

تدعوك أمتك التي قد جرّعتْ غصصُ الهوانِ

الخلافات العائلية من الآفات التي تفت في عضد المجتمع، وقد انبرى الشاعر لمحاربتها وبيان مخاطرها على الفرد والمجتمع، فقال مصوراً حال الأشقياء التعساء الذين دبت الخلافات بينهما^(٢):

وبلونا الأيام ظلماً وجـــــــورا

وغدونا معدّبين كلانـــــــا

تناجـي وتساءلُ الله يســـــــرا

قالتِ الحبيسةُ في العـــــــشِّ

أوحش بيتاً غدا من الأُنسِ قفــــرا

وقضى العدلُ بالفراقِ فمــــا

وقال أيضاً^(٣):

(١) جراح وكلمات، ص: ٢٢.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠٠.

(٣) السابق.

شهد الليلُ بعدَ ذلكَ وجهاً هائماً في الدروب ذلاً وفقراً
فارقتهُ دنيا المسراتِ حتى تركته محطماً مكفهراً
تلكَ عقباهُ لا الندامةُ تجدي بعدَ هذا ولا تواسيه ذكرى

ومن منظوره الإسلامي يطل على المجتمع مصوراً أو ناقداً أو داعياً إلى الإصلاح، فيقول مصورا الصحافة العربية، وما وصلت إليه من انحراف عن الهدف الرئيس لها، ألا وهو تصوير المظالم، والوقوف في وجه الظلم، والعمل على إحقاق الحق^(١):

وتنبري صحافةً لسانها أجيرُ
تؤله المسخُ القمى تحرقُ البخورُ
فتزكم الأنوفُ تؤذي الله والضميرُ

عالج الشاعر العديد من القضايا الاجتماعية التي تؤرق المجتمع المسلم، فتحدث عن الموت وقام برثاء بعض أصدقائه، وتعرض لذم الآفات الاجتماعية التي تفت في عضد المجتمع وتضعف من وحدته وتماسكه كالدخان وغلاء المهور، وعالج بعض الأمور التي تسهم في بناء مجتمع قوي متماسك قضية تربية النشء والعلاقات الزوجية فكانت كلماته البلسم الشافي لأصحاب النفوس المريضة والقلوب الضعيفة.

(١) شبكة فلسطين للحوار، المحور الثقافي، <https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1099963>

المبحث الرابع

الاتجاه السياسي والقومي

أولاً: الاتجاه السياسي:

في هذا الاتجاه عبر الشاعر عن رؤيته لبعض الأحداث السياسية المتعلقة بوطنه فلسطين، إلى جانب بعض القضايا التي تخص العالم العربي والإسلامي، فنجد أنه قد تحدث عن القضية الفلسطينية، وعن نكبة فلسطين: أسبابها وتداعياتها، وحث على تحريرها، وبين السبل إلى ذلك، كما تحدث عن الأحداث السياسية التي تعصف بالعالم العربي من ثورات وانقلابات، وعن السلام العالمي المنشود.

القضية الفلسطينية في شعر أحمد الصديق:

لقد أثرت القضية الفلسطينية على الشعر الفلسطيني المعاصر بفيض غزير من القضايا والموضوعات الجديدة، وعليه فإن ديوان الشعر الفلسطيني قد تفاعل مع القضية الفلسطينية في مراحلها السياسية، حيث لم يدع مرحلة إلا وقد أفاض فيها وبين الموقف منه إيجاباً وسلباً، وهو بذلك يمثل دائرة واسعة من دوائر الرصد والمتابعة لأبعاد القضية الفلسطينية، وملابساتها وأحداثها وتطوراتها وتسلسلها التاريخي والزمني، منذ أن وطئت أقدام الإنجليز أرض فلسطين حتى اليوم، رصدًا متكاملًا لجميع الظروف والملابسات وألوان المعاناة التي مر بها الإنسان الفلسطيني.

وقد كان لفلسطين - وطن الشاعر - نصيبٌ كبير من شعره، وكان لضياح بيت المقدس، وضياح ما تبقى من فلسطين - الكثير من شعره، حيث كان قد واكب أحداث القضية حدثاً حدثاً، وعاش معها بأفكاره وأحاسيسه، وكان لتلك الأحداث والنكبات أثرٌ واضح في حياته الشعرية، فنجد شاعرنا يستحث شعبنا المكبل؛ ليفك قيوده، ويحرّر إرادته من عوامل الخوف والذل، فصور أحداث النكبة التي حلت بفلسطين، من خلال استرجاعه للأحداث التي حلت بقريته^(١).

وتروعي أشلاء قريتنا التي	نُكبت وقد حُرمت هناك المأمن
وحمامة ليست بذات سخيمة	قد مزقوها واستباحوا الموطنا
وظفولة ترمي البنادق بالحصى	ويطل وجه الصبح ينزف مُثخنا

(١) جراح وكلمات، ص: ٤٦.

تعرض الشعب الفلسطيني لنكبات متتالية جعلت منه أنموذجاً للصبر والتحدي، فمن نكبة الـ٤٨، إلى نكبة الـ٥٦ ثم نكبة الـ٦٧ - حرب الأيام الستة -، فأرسل الشاعر آهاته وصرخاته، منكرا حال الأمة، من ذلة وهوان، فقال إثر نكبة ١٩٦٧^(١):

من رعشة الجرح بل من وطأة الألم	يجيش بالشعر في ليل الأسى قلبي
ويرسل الصيحة النكراء محتدما	يصيب بين ضلوعي ثائر النقم
عجبت من أمة قد أسلمت يدها	للقيـد مذلولـة منكوسة العلم
ألا بقية إيمان تحركها	ونفخة من إباء الروح والشيم

إن قضية فلسطين لن تموت لأنها عقيدة في قلب كل مسلم، إنها عقيدة يحملها في قلبه ألف مليون وطني فلا يمكن أن تموت، بل إن الناس يموتون في سبيل العقيدة^(٢):

هذي فلسطين مهد الوحي من قدم	وضاءة كالضحي أيامها الغرر
حمى القداسة والتاريخ يعرفها	كم في صحائفه من رسمها صور

قضية اللاجئين:

كان من تداعيات النكبة تهجير أكثر من مليون فلسطيني، وهدم ما يقارب من خمسمائة منزل، فأصبح الفلسطينيون دون مأوى، وتشردوا في البلدان العربية المجاورة، بلا حقوق أو واجبات تذكر، فقال الشاعر في ذلك شعرا حشد فيه كل معاني التشرد والضياع^(٣):

سألوني جئت من أين؟ أجب قلت من أرض فلسطين السليبة
قيل ماذا تبتغي قلت: أنا لاجئ أبهرت من دون حقيبة

يستنكر تخاذل الأمة العربية والإسلامية، و التمسح بالغرب والتذلل له ونسيان قضيتنا المركزية للصراع فيقول^(٤):

ليس واشنطن أو موسكو لنا قبلة قبلتنا البيت الحرام

(١) شبكة فلسطين للحوار المحور الثقافي موضوع القرضاي في تقديم ديوان نداء الحق <https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1099963>

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٨٣.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٥٦.

(٤) السابق، ص: ٣٤.

إن الشاعر قد عرف الطريق، الطريق الذي يوصل إلى استعادة الحق المسلوب، والنصر
الضائع، التي لا يظفر فيها إلا من حمل سلاحين سلاح الإيمان في قلبه وسلاح البارود في يده،
فقال في قصيدة مهر القضية^(١):

إن الجهاد هو الطريقُ عرفته والمسجدُ الأقصى منارةُ رحلتي
وإذا الدمُ المهرأقُ سالَ فإنه في حومةِ الميدانِ مهرُ قضيتي
ويقول أيضاً^(٢):

فإلى متى يا مسلمون إلى متى يعدو علينا غاشم ومضلل
إن الجهاد هو الطريق فأقبلوا إن الجهاد هو الخيار الأفضل
وتعود لأمتي أمجادها ويسود من يرعى الحقوق ويعدل

وهو بهذا يؤكد أن قضية فلسطين لا تحل في أروقة هيئة الأمم ولكن تحل على سفوح الكرمل
وشواطئ يافا وهضاب القدس ولا تحل بالخطب والكلمات الزائفة، بل بالكلمات الصادقة وعزيمة
الأحرار وبالحديد والنار.

السلام:

يؤمن الشاعر المسلم بقضية السلام العالمي، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ
فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(٤) يؤمن بهذه القضية لأن غايته الكبرى أن ينتصر الخير وتسود
العدالة، وتحقق الدماء.

وشاعرنا يؤمن بالعدالة الإلهية، وبحق العيش بسلام لكل إنسان، سلام قائم على الحق، ومن
منطق قوة لا عن ضعف، واستسلام، وهذا هو السلام الذي يحلم به كل فلسطيني، ويتمنى أن يوفره له
المفاوض السياسي، لكن هيهات أن يتوفر له ذلك في ظل ضغط قوى عالمية تدّعي السلام ولا تؤمن

(١) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٥٤.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٧٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

به، لذلك نجد كل مفاوضات السلام عبارة عن مهزلة واستسلام، وقد تنبه الشاعر لخطورة الوضع وحذر المفاوض الفلسطيني من عواقب هذا السلام المزعوم فقال^(١):

أسلامٌ هذا أم استسلام بل هو العارُ والبلاءُ والعقامُ
نامَ في غمده الحسامُ فهل قرَّتْ عيونٌ على الصغارِ تنامُ
فتمرَّدُ يا شعبُ إن كنتَ حياً وأبياً ولتسقط الأصرامُ

فهو ينكر هوان الذين يتفاوضون مع اليهود - أملين بالحلول السلمية- فيبين لهم حال اليهود بأنهم نقضة العهد، فلا سبيل إلى التخلص منهم إلا بالجهاد فيقول^(٢):

العصاة اليهودُ كم أخلفوا العهدَ وغاصوا في بؤرة الطغيانِ

ويقول أيضاً^(٣):

قد بلونا طباعهم مذ ولدنا وعرفنا نذالة الأوخام

الانتفاضة:

من القضايا التي فرضت نفسها على الواقع السياسي العالمي - بما أنتجته من إرباك للكيان الاسرائيلي، والمجتمع الدولي - مما جعل العالم يعمل حثيثاً لإجهاض الانتفاضة، بما استطاع من سبل لذلك، وقد عاصر الشاعر أحداث الانتفاضة منذ بدايتها، وعاش معها حدثاً حدث، وكتب في ذلك شعراً يخلد ثورة أبطال الحجارة ويشيد بالأبطال الذين حملوا هم فلسطين، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تحريرها، فكانت الصحوة الإسلامية سبباً في تراجع العدو أمام قوة وصمود الشباب المسلم^(٤) :

ها هي الصحوة التي أفزعتهم قد أصابت نهارهم بالمحاق
تتهاوى على الثرى جيفُ الأوغادِ رجساً مدنسَ الأرماقِ
وقريباً تأتي نهايةُ ليلٍ يتمطى بالظلم والإرهاقِ

(١) الإيمان والتحدى، ص: ٨٨.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٩.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٣٠.

(٤) السابق، ص: ٤٤.

يقول في قصيدة من بعد أربعين مشيراً إلى انتفاضة الحجارة، التي حدثت بعد أربعين سنة من النكبة^(١):

من بعد أربعين
بحثت لم أجد سوى الحجر
فلتشهدي بالحق يا سماء
يا أرض يا دنيا الأنام يا مآذن السحر

وقد نبّه الشاعر الجماهير إلى المؤامرات والمخاطر، ودعا إلى التصدي لها والصمود والصبر. ورفض الرضوخ والإذعان والمساومات والاستسلام، واستنهض الهمم للوحدة والتعاون، لإفشال محاولات إجهاضها، وإعداد العدة للقتال والفداء وتحرير الوطن^(٢):

يا إخوتي تلك انتفاضة أمتي حلم على أرض الحقيقة يزهر

من عمق هذا الشعب من إيمانه بالله آيات البطولة تصدر

وقد بين الشاعر السبب لما نحن فيه، وذلك بسبب تفرقنا وكثرة الأحزاب والطوائف^(٣):

يا طالما حسراتي سوف تصحبنى	وقد رماني بسهم الفرقة الدامي
كنا ملوكاً وكان الخلف ديدنا	وأرضنا ذات أوزاع وأقسام
حتى أتتنا من الجبار قارعة	وزال ما كان من عز وإنعام
تلك الطوائف ما أغنت شراذمها	في دحر ظلم ولا في كبت إجرام

ومن تداعيات النكبة تلك المجازر التي حلت بالمسلمين في الشتات، منها مجزرة صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢، حيث كتب الشاعر عنها وقلبه يعتصر ألماً لما حل بأبناء شعبه^(٤):

صبرا وشاتيلا يا عطشاً	للثأر تراه متى يسقى
شهداء المذبحة الكبرى	والخطب يزيد بهم عمقا
بيروت بهم صارت معنى	تتلظى أحرفه برقاً

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٦٩.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٥٢.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٥٣.

(٤) الإيمان والتحدي، ص: ١١٥.

يا لحنَ المأساة الدامي والصدغ تجاوزنا فتقا

يبين الحال المزري للأمة العربية تحت قيادة الزعماء المتواطئين مع الغرب الذين يجاهدون في سبيل الكراسي والمناصب، و يضحون بثروات الأوطان ومقدساتها^(١):

كذلك أنتم تريدون منا

فنحن الرعايا

وأنتم حماة الديار

وها نحن من خلفكم في انحدار

ورايأتنا في انتكاس

وأحلامنا في انهيار

هنيئا لكم فافرحوا وامرحوا

سلامتكم في الكراسي خير انتصار

ثم يؤكد بأن إحقاق الحق لا بد له من قوة، فلو توفرت هذه القوة لدعاة الإسلام اليوم، لساروا بالأمة نحو المجد والعلواء، ولكن يحول دون تحقيق هذا الأمل العزيز عصابة ضالة، كأنهم خشب مسندة، تحكمت بمصير البلاد والعباد^(٢):

تتقلد الأصنام هالات القداسة

ونباغ ثم نباغ في سوق النخاسة

وتصفق الأيدي بلا معنى وتلتهب المجامر

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٨٦.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠٨.

حق العودة:

حق العودة من القضايا السياسية التي عالجها الشاعر وهو " حق غير قابل للتصرف، مستمد من القانون الدولي المعترف به عالمياً. فحق العودة مكفول بمواد الميثاق العالمي لحقوق الإنسان "(١)، وهو بذلك يؤكد أن هذا الحق غير قابل للنسيان(٢):

يا بلادي.....!

وجهك المصبوغ بالنرجس والعطر وألوان الربيع

والهوى المغروسُ جمرًا في الضلوع

سوف لا يخبو وإن طال ابتعادي

من دم القلب

ومن روعي

وحزني واتقادي

أبدأ أنسج أحلام الرجوع

السجن:

من تداعيات النكبة والانتفاضة بناء السجون والزج بآلاف الفلسطينيين المجاهدين فيها سواءً أكان في البلدان العربية أو في كيان الاحتلال، وقد عانى الشاعر من أزمة السجون وذاق ويلاتها فكتب(٣):

قلتُ من سجنٍ إلى سجنٍ فما

فرق ما بين العذاباتِ الرهيبة

ومن الرمضاءِ للنار تـرى

أين مصداقك يا دنيا العروبة

وهكذا فقد عبّر هذا الشعر عن القضية الفلسطينية عمومًا وعن الانتفاضة خصوصًا أجمل تعبير، ويات بشكل مدرسة في الوطنية، حيث انبرى الشاعر للذود عن الفلسطينيين، وعن الوطن والانتفاضة، وتمترس مع المواطنين في الفداء والتضحية، فكان شعره كالمولود في أرض المعركة، وراحت كلماته تفعل فعل الرصاص.

(١) ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٢) جراح وكلمات، ص: ٢٦ - ٢٧.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٥٧.

ثانياً: الاتجاه القومي:

القومية "معناها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً، وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم، وإن كان معناها أيضاً السعي في النهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوباً بالولاء للأرض ولكن الولاء للقومية يظل هو الأصل ولو لم تتحقق وحدة الأرض"^(١).

والقومية لو تأملناها جلياً لوجدناها تحد عالم الإنسان وتحدد أفقه وتضييق عليه محيطه فيصبح اهتمامه بقضايا أبناء لغته فقط، ولكن الشاعر الإسلامي يتجاوز حدود الوطن العربي إلى عالم أرحب وأوسع لغته القرآن، وليس لغة القرآن، ألا وهو العالم الإسلامي الواسع المترامي الحدود، فقومية الشاعر الإسلامي تشمل أرض الإسلام كلها، وهذا ما لاحظناه في شعر أحمد الصديق حين يقول^(٢):

سأروي محنة الإسلام	أرويها إلى الأبد
سأنفثها إلى الأسفار	ناراً حرقاً كبدى
وأقسم أنني باقٍ	على ديني ومعتدي
وأن غداً ثمار النصر	سوف تكون ملء يدي

ويقول أيضاً^(٣):

وأوطننا جسد واحد
تعززه وحدة المؤمنين

يرى الشاعر أن العروبة أو القومية والإسلام أمران لا ينفصلان، فالعروبة هي قالب الإسلام على حد تعبيره^(٤):

قالوا العروبة: قلت دين محمد	فيه عروبتنا المجيدة تهتدي
هي قالب الإسلام إما أفرغت	منه فقد صارت مطية ملحد

والقومية أيضاً هي العيش في سبيل الجماعة والموت أيضاً في سبيلها، وفي سبيل المبادئ التي تنادي بها تلك الجماعة، فإن استبد الجوع والعطش ببلد عربي أو إسلامي، كان من واجب كل

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص: ٥٥٤.

(٢) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ١٠٤.

(٣) جراح وكلمات، ص: ٦٤.

(٤) الإيمان والتحدى، ص: ٦٠.

المسلمين التصدي لهذه المجاعات، وحشد كل الطاقات للقضاء عليها ومساعدة المنكوبين، وها هو شاعرنا يرسل صرخة مدوية لنجدة جياع الصومال وجنوب أفريقيا^(١):

هذه أفريقيا لا تعجبوا تتهاوى كهشيمٍ بددا
صرخةُ الجوع التي تذكي الغوث وترجو المَددا
ويحُها كم ظالمٍ مستهترٍ ورثت منه المصيرَ الأكددا

أما بيروت التي شكلت المأوى الأول للفلسطينيين بعد نكبتها، فقد حظيت بمشاطرة الشاعر لها في محنتها^(٢):

بيروتُ نار
بيروتُ نائمةٌ على البارود
تلتحفُ الجريدة
بيروتُ أشلاءٌ مبعثرة
دخانٌ خندقٌ وروى دمار
بيروتُ صار الموت لعبتها
وفي أحشائها تربو المكيدة
ارحل ودعها إن عمرك للرحيل
هذي مشينتهم

صورة أخرى تدل على تمسك الشاعر بقضايا أمته، من مصر أرض العروبة، مع البطل سليمان خاطر، فالقضية هي القضية والعدو واحد وإن امتدت الأرض تحته^(٣):

سلمت يدك في اعتراكِ حنون كلا ولا حامت عليكِ ظنون
أرضُ الكِنانةِ أنجبتك مبرأ ما مسَّكَ التطبيعُ والتوهينُ

ويقول عن معركة طرابلس^(٤):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٨٩.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١١٣.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٧٧.

(٤) السابق، ص: ٧٥.

هل تستباح للعدو الغاشم؟

وقلعة الأسود الضراغم

أفديك يا ذخر الغد الثمين

أفدي طرابلس عرين الدين

وشاعرنا معاش لأحداث الأمة يوما بيوم، إنه يرقب الثورات التي انطلقت لتزيل الطواغيت الذين استبدوا بالأمة وأذاقوها الويلات فهو يتابع أحداث الثورة في تونس ومصر وليبيا ويعتقد أن هذه الثورات إنما هي روح تسري في جسد الأمة^(١):

بل ذاك بركان شعب ثائر الحمم	أنحن في يقظة أم نحن في حلم
كالبعث يوم يقوم الناس من عدم	الروح تسري حياة في جوانحه
إلى النهوض لدحر الظلم والظلم	الله أكبر.. هذا الفتح بارقة
تعود ركضا إلى الأمجاد من أمم	تبلى الصبح مرهوا بأمتنا
مقامها الصدر لا الأطراف في الأمم	في وحدة ترفع الرايات شامخة
من بعد تونس مصر العز والكرم	وأول الغيث وافانا بصيبه
تجتاح كل قميء الوجه متهم	وفي حمى عمر المختار عاصفة
كبيرا ويختال كالتاوس في شمم	في صدره نفخة الشيطان تملؤه
ويشمخر بأنف العجب والعظم	يغلو على شعبه المنكوب، يحقره

ويلتفت إلى الحكام مبكّتا معنفاً فيضع يده على الجرح، ويعبر عن السبب الحقيقي لانتفاضات الشعوب ضدهم، إنه بلا شك يعتقدون بأن البلاد والعباد ملك لهم ولأبنائهم^(٢):

هل البلاد لكم إرث ومزرعة	والشعب طوع لكم في جملة الخدم؟
أغرب وخلفك من خلفت من كسف	منسوخة عنك في الإجرام والسخم

الشاعر يوحد مصائب الأمة الإسلامية، فهو يرى المصيبة واحدة في الشرق والغرب، والعدو واحد وإن اختلفت أسماؤه، لأنه عدو الله ولدينه الحنيف^(٣):

(١) مدونة الشاعر.

(٢) السابق.

(٣) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٦٠.

لهيبُ الجرحِ في أفغان ينزفُ في فلسطينِ
وصوتُ الحربِ في هارات يُصدي في القلبينِ
عدوُ شعبنا أبدا عدو الله والدينِ
لنا الحسنَى وللطاعين عقبى الخزي والهونِ

ويقول أيضاً^(١):

ومرابعُ الإسراءِ دنسها العدى والمسجدُ الأقصى هناك مكبّلُ
ويسيلُ في "الأفغان" نهرُ دماننا ويصابُ منّا كلُّ يومٍ مقتلُ

وقال أيضاً^(٢):

وفي خوست وهي تذوقُ لهيبَ الحصارِ
وفي بكتيا في متونِ السحابِ وفي قندهارِ
وفي كل شبرٍ مثارِ

فالشاعر يألّم لما حل ببلاد الإسلام من خوست المحاصرة إلى بكتيا وقندهار يرى العدو الغاشم المتغطرس يذيق أهل البلاد الوليات من جوعٍ وتدمير فيستحث الهمم ويذكي شعلة الجهاد ويستنهض العزائم للثورة على العدو فيقول^(٣):

عروقُ الأرض بالعزيمات كالبركان تستعُرُ
ومن أعماقنا يا قندهارُ تفجّرُ الشررُ
ويا كابولُ معجزةُ الجهادِ يخطها القدرُ

تناول الشاعر العديد من القضايا السياسية التي تعصف بالوطن العربي بشكل عام وأولى فلسطين اهتماماً خاصاً فتحدث عن القضية الفلسطينية وما نتج عنها من تشرد لملايين الفلسطينيين على مدار أربعة عقود، وتحدث عن اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، وحيّا انتفاضة الشعب المباركة، وتحدث عن مفاوضات السلام وحق العودة رافضاً بذلك الرضوخ والإذعان لمؤامرات إجهاض ثورة شعبه الحر الأبي، والالتفاف حول حقوقه والنيل منها ، كما تحدث في المضمون القومي عن الأحداث التي ألمت بالوطن العربي والإسلامي فتحدث عن معارك بيروت وقندهار وكابول وعن الثورات العربية المؤخرة ضد الحكام الطغاة في الوطن العربي.

(١) جراح وكلمات، ص: ٧٨.

(٢) السابق، ص: ٧٠.

(٣) أناشيد للصحوّة الإسلامية، ص: ٥٨.

وبذلك يعد الشاعر أحمد الصديق من الشعراء الملتزمين بالإسلام، المحبين لأوطانهم، يستمد شعره من تصوره الإسلامي، وحبّه للوطن، وقد ظهرت الاتجاهات الإسلامية في شعره ظهوراً ملحوظاً، حيث جعل جل شعره حول الوطن والقضية الفلسطينية، وقضايا أمتة الإسلامية والعربية، وحذر من الخيانة وبيع الأوطان، وهو يستهوي القارئ بتصوراته وانفعالاته، التي لا تستسلم لليأس بل تستثير الإيمان وتشحن الهمم وتجسم الأمل، فجاءت أشعاره عبارة عن حمم يقذف بها القلب المؤمن ليحيل الضعف قوة واليأس رجاء.

كما عالج الشاعر بكلماته الصادقة، الكثير من القضايا التي تهم المجتمع، وبعث برسائله إلى كل فئات المجتمع، الشباب والفتيات والأمهات والآباء والأطفال، محذراً إياهم من خطورة تردي القيم في المجتمع الإسلامي.

وعلى المستوى السياسي و القومي، تناول الشاعر نكبات و هزائم الأمة العربية، ومآسي فلسطين ولبنان، وصراع الأفغان ضد الروس، وقضية البوسنة و الهرسك، وقضية كشمير، وما يتعرض له الشيشان من اعتداء، بالإضافة إلى الثورات العربية ضد الزعماء الظالمين.

وبهذا يقف الشاعر في الصف المميز لشعراء الأصالة الذين وظفوا الشعر والأدب في الصحوّة الإسلامية، فكانت كلماته مجلجلة لإعلاء مبادئ الإسلام الصحيح.

الفصل الثالث

اللغة عند أحمد الصديق

المبحث الأول: اللغة الشعرية.

المبحث الثاني: المعجم الشعري - الألفاظ والتراكيب.

المبحث الثالث: الأساليب اللغوية: الأمر - الاستفهام - التعجب - النداء - النفي.

المبحث الأول

مفهوم اللغة الشعرية

اللسن هي "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، أصلها لُغوة ككرة وُقْلة وُثْبَة، كلها لاماتها واوات وقيل: أصلها لُغَيٌّ أو لُغَوٌّ، والهاء عوض، وجمعها لُغَيٌّ، مثل برة وبرى، وفي المحكم: الجمع لغات ولغون"^(١).

اللغة هي وسيلة من وسائل التفاهم بين الناس، ووسيلة من وسائل نقل المعلومات والأفكار من شخص إلى آخر، وقد عرفها ابن جني بقوله: "هي أصول يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(٢) كما عرفها صاحب سر الفصاحة بأنها "عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام، أو يكون توفيقاً"^(٣).

وتختلف اللغة من عصر إلى عصر، ومن شخص لآخر، حتى أنها تختلف من شاعر إلى آخر، وكل كلمة لها جمالٌ خاص يجعلها تختلف عن غيرها، فاللغة بتفاعلها مع التجربة تجعل لكل كلمة كياناً متفرداً عن كل ما عداها، وتختلف اللغة الأدبية عن لغة الكلام المحكية والدارجة، وذلك أن اللغة الأدبية والشاعرية مشحونة بالعواطف والشعور "وذلك ناشئ عن قوة الشعور التي تتطلب لغة أسمى من هذه اللغة العادية، حتى تكون كفاء ما في النفس من عاطفة قوية صادقة"^(٤)، فاللغة الأدبية تتميز عن لغة الحياة اليومية بأنها تنتشع بأحاسيس المبدع وانفعالاته وتجربته، فينتجها لغة راقية جذابة، ففي "حالات توهج لحظات الإبداع يتبدى ألق اللغة، وتلفها هالات إيحائية مضيئة، فنتشر عطاء سحرياً"^(٥)، هذه اللغة الأدبية تخلق في الآفاق، وتسعى لتحقيق التمايز و الجمال، وترنو لتحقيق الرفعة والكمال، تتفقت من عقال اللغة التخاطبية للوصول إلى اللامحدود، كما يقول الدكتور رجاء عيد "اللغة النصية - إن جاز القول - اختراق للمحدود إلى اللامحدود، وانفلات من نطاق اللغة التخاطبية في نمطها التراتبي التقليدي"^(٦) وقد اهتم النقاد والأدباء قديماً باللغة الشعرية فابن خلدون يجعل

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة لغو.

(٢) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، (دار الهدى، بيروت (د.ت.) ، ج ١، ص: ٣٣.

(٣) سر الفصاحة، أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٤٦هـ، ط١ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٢)، ص: ٤٨.

(٤) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ط٧ (مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٤)، ص: ٢٤٩.

(٥) شفرات النص، صلاح فضل، د. ط (عين للدراسات والبحوث الإنسانية القاهرة - ١٩٩٥ م)، ص: ٢٧.

(٦) القول الشعري - منظورات معاصرة -، رجاء عيد، د. ط (منشأة المعارف، الإسكندرية. د.ت.)، ص: ١٧٣.

"صناعة الشعر في ألفاظ اللغة لا في المعاني، فالمعاني تأتي تبعا للألفاظ، والألفاظ هي القوالب التي تفرغ فيه المعاني"^(١)، أما أبو هلال العسكري فقد اعتبر أن "الألفاظ أجساد و المعاني أرواح"^(٢).

أما في البناء الشعري فلا تتوقف وظيفة الألفاظ عند هذا الحد، حيث يمكن أن تتجاوز مدلولها المعجمي إلى مدلولات أكثر اتساعا، وذلك لأنها عنصر أساسي من عناصر الإبداع الشعري، وقد جعل قدامة بن جعفر عناصر الإبداع الشعري أربع حينما عرف الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"^(٣)، كما اهتم النقاد حديثاً باللغة الشعرية، وجعلوها من أساسيات الإبداع الشعري فالدكتور محمد زغلول سلام يقول: "يجمع النقاد على أن للشعر لغة تختلف عن لغة الكلام والحديث العادي، وقد يكون هذا الاختلاف ناشئا من أن الشعر يحرص على لغة أسمى وأرفع، وأفصح، لغة مختارة لا ابتذال فيها ولا عامية ولا حوشية ولا غريبة ولا اشتراك في المعاني"^(٤)، فاللغة الشعرية عبارة عن "رموز اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة"^(٥).

وإن كانت اللغة هي وسيلة التعبير بين الأشخاص، فهي وسيلة الشاعر للتعبير عن التجربة الذاتية وعن الموقف الانفعالي في صورة فنية، وهي ظاهرة جمالية وخالصة تجارب الشاعر، تعكس رؤيته للمجتمع وتصوره للكون، تبرز ما يعتل بداخله، في قالب فني يوضح المستوى الثقافي للشاعر، وهي أيضا انتماء الشاعر إلى نفسه أولا ثم مجتمعه ثانيا، ولغة الشعر ينبغي أن تكون أرقى لغة أدبية، فإن كانت اللغة الأدبية تتفاضل عن لغة التخاطب اليومي، لأن لغة الشعر تنبئ فخرًا على لغة الفنون الأخرى، فإن " الشعر لغة فوقية لا بالمعنى الماركسي للكلمة، وإنما بالمعنى الألسني والدلالي، إنه لغة فوقية لأنه لغة ما وراء اللغة، فهو لغة على اللغة"^(٦). وقد تحدث الدكتور عز الدين إسماعيل عن خصوصية اللغة الشعرية في قوله: " أما اللغة في الشعر فلها شأن آخر، إن لها شخصية كاملة تتأثر وتتوثر، وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلاً أميناً...، والكلمة الشعرية يجب أن تكون أحسن كلمة تتوافر فيها عناصر ثلاثة: المحتوى العقلي، والإيحاء عن طريق المخيلة والصوت الخالص، ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالاً إيقاعياً بحيث يؤدي هذا التلوين الإيقاعي إلى

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، د.ط(دار النهضة - القاهرة - د.ت)، ص: ٤٧٨.

(٢) الصنائع، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢(دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٤)، ص: ١٦٧.

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق محمد خفاجي، ط١(مكتبة الكليلا الأزهرية، القاهرة ١٩٧٩م)، ص: ٦٤.

(٤) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، محمد زغلول سلام، د.ط(منشأة المعارف بالاسكندرية، (د، ت))، ص: ٥٩.

(٥) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، د.ط(دار الثقافة - بيروت ١٩٧٣)، ص: ٤١٨.

(٦) "لغة الشعر في زهرة. الكيمياء بين تحولات المعنى ومعنى التحولات"، مجلة فصول، عبد الكريم حسن، المجلد

الثامن، العددان ٢١ و٢٢، مايو ١٩٨٩، ص: ١١.

الغاية المطلوبة^(١)، وهي حسب تعريف السعيد الورقي: "اللغة الشعرية وسيلة التعبير والخلق، موسيقاه وألوانه وفكره ومادته التي سوى منها كائنا ذا ملامح وسمات، كائنا ذا نبض وحركة وحياء، لغة الشعر إذن الإطار العام الشعري للقصيدة من حيث صور هذا الإطار وطريقة بنائه، وتجربته البشرية وهو ما تؤديه اللغة الشعرية من خلال الصور الشعرية والصور الموسيقية والموقف الخاص بالشاعر في تجربته البشرية"^(٢).

وهو نفس المعنى الذي أكده علي الغريب حين قال: "وهي لغة الانفعال والوجدان، لذلك هي لغة إيحائية جمالية، إيحائية لأنها تثير فينا الإحساس بالصور، جمالية لأنها تستخدم الألفاظ استخداماً مجازياً في نسق خاص، تصبح فيه الكلمة مغايرة لمعناها المعجمي"^(٣).

وقد حذر النقاد من الخلط بين أساليب الشعر والنثر، فالشعر "له أساليب تخصه لا تكون للنثر، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب، فلا يكون شعراً"^(٤)، وتختلف اللغة من شاعر لآخر وفق الحالة الشعورية التي تنتظم العمل الشعري، لكنها تبقى الجوهر العام الذي يميز به النص الشعري عن غيره "ويمكن اعتبار اللغة بأنها جوهر النص الشعري، وهي نتاج مراحل من الاكتناز للألفاظ داخل النفس، ومن ثم يقوم الشاعر بعرضها من خلال النص الشعري فتتولد الألفاظ من خلال الأفكار، والمعاني من خلال المضمون، والكتابة بعد ذلك هي حصيلة تلك المعاني فتبرز لغة حية نابضة، ولا يعني هذا أن تكون اللغة قائمة على مضامين متشابهة، أو متساوية في القيمة المعنوية، ولكن في حصيلة لمعطيات خاصة وعامة"^(٥).

فاللغة ليست وسيلة في ذاتها بقدر كونها غاية، ومهمة الشاعر البحث عن المعنى وتوظيفه في قالب شعري، وبذلك يعطي اللغة قيمتها الجمالية، "فاللغة الشعرية ليست لغة وظيفية بل لغة إيحائية تحمل أكثر من معنى، في نسق جمالي يتفاوت تبعاً لعاطفة الشاعر وأحاسيسه، وقد تأثرت لغة الشعر الحديث بتطور الحياة وتراكم الخبرات، واختلفت لغة شاعر عن آخر في استعمال كلمات نادرة أو

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين اسماعيل، د.ط(دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) لغة الشعر الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، السعيد الورقي، ط٣(دار النهضة العربية - بيروت - لبنان ١٩٨٤)، ص: ٦٥.

(٣) الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، علي الغريب محمد شناوي، ط١(مكتبة الآداب - القاهرة ٢٠٠٣)، ص: ٣٠.

(٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ج٣، ص: ١٣٠٥ - ١٣٠٦.

(٥) جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر، يحيى زكريا الآغا، ط١(دار الثقافة للطباعة والنشر - الدوحة - قطر ١٩٩٦)، ص: ٢٨٦.

مهجورة أو لهجات محلية، وأحرزت الكلمات الشائعة أجمل الانتصارات في الشعر، وذلك بسبب قدرتها على تنشيط المعنى^(١)، والشعر الفلسطيني الحديث تطورت لغته تطوراً كبيراً، واكبت تطور لغة الشعر العربي، فأصبحت لغته أكثر دقة وإيحاء، وابتعدت عن الألفاظ التقليدية الجافة، وباتت تعبر عن روح العصر، وصارت "تمتلك طاقات تعبيرية عالية، تتكثف فيها دلالات الألفاظ، وتتفرد الكلمات بالإحياءات الخاصة"^(٢)، لذا نجد الشعراء الفلسطينيين قد طوروا معجمهم الشعري، فأدخلوا العديد من الألفاظ والتعبيرات والجمل الدارجة إلى شعرهم، واستخدموا مفردات الحياة اليومية ولغة الشعب ومزجوها بتجربتهم والظروف المحيطة بهم، وأصبح الشعر الفلسطيني "أكثر استيعاباً لمتطلبات المرحلة جمالياً وموضوعياً، وفنياً وسياقياً، فحرص على تحديث تراكيبه اللغوية، وتكثيف رموزه"^(٣)، وكان للقضية الفلسطينية والأحداث المتصلة بها دور في التأثير على الشعر الفلسطيني، هذا الدور جعله ذا طابع خاص، كما يقول الدكتور إحسان عباس عن تأثير الحالة الفلسطينية والأحداث التي مرت بها في الشعر الفلسطيني "ولست أعني هنا كيف أصبحت القضية الفلسطينية والأحداث المتصلة موضوعاً للشعر، وإنما أعني ما الذي خلّقه من مواقف وأساليب شعرية ووعي شعري، وإلى أي حد غيرت العطاء الشعري، وبلورت المفهومات والمنطلقات الشعرية"^(٤)، يقول الدكتور محمود الربيعي: "لقد تطورت لغة الشعر العربي تطوراً هائلاً في العصر الحديث، فأصبحت اللغة أكثر دقة وإيحاء، وابتعدت في كثير من جوانبها عن مفهوم الألفاظ التقليدية"^(٥) وباتت تعبر عن روح العصر، وتفصح عن حجم الانفعالات النفسية والتجارب الذاتية. ولم يختلف شعراء فلسطين عامة وشعراء الاتجاه الإسلامي خاصة عن روح العصر، فكان التطور في لغتهم متزامناً مع التطور الحاصل في لغة غيرهم من الشعراء، وقد أضافوا من خصوصية واقعهم وتجاربهم - إبان النكبة وما تبعها من أحداث مروّراً بالانتفاضة - الكثير من الألفاظ والتعبيرات التي تمثل الواقع المرير الذي يحيط بالفلسطيني سواء بالداخل أم الخارج.

و"الألفاظ هي الوسيلة الطبيعية التي يبيت بها الشاعر رؤاه وعواطفه وأفكاره، والشاعر المبدع يختار مفرداته بطريقة خاصة، ويضعها في علاقات جديدة، ويجعل كلماته ذات دلالات جديدة من خلال السياق العام وتآزر الصور وإيقاع الموسيقى وتجاوب ذلك مع المعنى والعاطفة...، في سبيل

(١) مشكلة المعنى في النقد الحديث، مصطفى ناصف، د.ط (مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٦٥)، ص: ١٣٤.

(٢) التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، د. عبد الخالق العف، ط ١ (مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية - ٢٠٠٠)، ص: ٤٨.

(٣) السابق، ص: ٤٥.

(٤) اتجاهات الشعر العربي، إحسان عباس (سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٧)، ص: ٤٩ - ٥٠.

(٥) مقالات نقدية، محمود الربيعي، د.ط (مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٣)، ص ٢٣.

ذلك يأخذ النص الشعري دلالات الكلمة إلى آفاق أرحب وأوسع فيجعل لها من الظلال والإيحاءات ما يجعلها تبدو وكأنها جديدة طريفة، لذلك كان حتمًا على الشاعر المبدع أن يبحث للفظ عن أبعاد جديدة هي في الواقع انعكاسات هذا اللفظ على نفسية الشاعر^(١). والألفاظ في الاستخدام الشعري ليست وسائل لتوضيح الحقائق، فحسب بل هي ثورة على قيود اللغة وحدودها الضيقة، وخروج إلى عالم فسيح مليء بالإيحاء، فإذا وضعت الكلمات في مواضعها الإيحائية الحق، وصدرت في إيقاعها وموسيقاها عن استجابة خالصة لأعماق النفس، وعن حميا فنية، فإنها تشف عن أجواء روحية رحيبة، والشاعر المجيد هو الذي "يختار كلماته في سياق خاص - خالقًا ذلك علائق لغوية لم تكن نألفها أو نتوقعها- فإنه ينأى بها بعيد عن حرفيتها الحسية المحدودة، وهذه العلاقات الناجمة عن وضع اللفظة في سياق خاص بأسلوب بعينه يجب أن يتمخض عنها صور تتآزر بدورها في علاقات متفاعلة نشطة"^(٢) مما يحدث وظيفة جمالية رائعة ، كما أن الكلمة أمانة، يحاسب عليها الإنسان كما يحاسب على الفعل، لقوله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٣)، وقد صان الشاعر أحمد الصديق هذه الأمانة واختار كلماته من عمق تجربته وحفها كما تحف الجوهرة، وأضفى عليها من معاني الحركة والحياة، وسقاها من معين مشاعره الفياضة، ملتزمًا النهج الإسلامي القويم، فنبتت وأزهرت وتألقت في سماء الإبداع.

(١) النقد الأدبي الحديث، حماد أبو شاويش، ٢٠١٠، ص: ٢٣١.

(٢) أبو فراس الحمداني- الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، د.ط(القاهرة - دار التوفيق ودار

الثقافة ١٩٨٢)، ص: ٣٩٦.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

المبحث الثاني

المعجم الشعري

المعجم الشعري هو المذاق الخاص والمؤثر الفني لشاعرية الشاعر، والممثل لجوهر الإبداع الشعري على مستوى التجربة والتشكيل، على نحو يمنح الأسلوب بصمته الخاصة، ويشكل ذاكرة لغوية قوية الصدى في الأعمال الشعرية، ويسهم في إقامة دعائم عالم شعري خاص، وهو نتاج قراءاته المتعددة، وثقافته، التي يصوغها بموهبته، فليس المعجم الشعري مجرد كلمات تتردد في دواوين الشعراء للتعبير عن أحاسيسهم ورؤيتهم لحدث ما، بل هي انسجام تجربتهم مع الحياة اليومية، لذلك تبرز مفردات الواقع المعيش والبيئة المحيطة في أشعارهم، والشاعر أحمد الصديق ابن المجتمع الفلسطيني، عاش في بيئة فلسطينية محافظة على موروثها الديني، وقد ظهر ذلك جلياً في شعره، فقد اعتمد الشاعر على ألفاظ القرآن في التشكيل اللغوي لشعره، فكانت ألفاظه مستمدة من القرآن، وتراكيبه مستوحاة من التراكيب القرآنية، حيث وظفها مباشرة، كما وظف معاني القرآن الكريم، وظهر الاتجاه الإسلامي جلياً في معجمه الشعري، وستكون الدراسة وفقاً لذلك في ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: للألفاظ والتراكيب القرآنية المباشرة.

والمحور الثاني: لمعاني الآيات القرآنية.

والمحور الثالث: للألفاظ المقتبسة من البيئة الفلسطينية.

المحور الأول: الألفاظ والتراكيب القرآنية المباشرة: حيث وظف الشاعر أحمد الصديق ألفاظ القرآن توظيفاً مباشراً في شعره، ومنه قول الشاعر^(١):

يا إلهي ويا عظيم الصفات	لك محياي خالصاً ومماتي
ونجاوى ضراعتي وصلاتي	لك سعيي وفيك غاية حبي
وعقلي وانعتاقي ولذتي وحياتي	وسجودي معراج رحي

ففي هذه الأبيات توظيف للألفاظ القرآنية من الآية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) جراح وكلمات، ص: ١٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

وحين يحث الشاعر أبناء أمته على القتال، ويستنهض الهمم، يذكرهم بالتمسك بالدين والاتحاد في وجه العدو لإحراز النصر^(١):

فقاتلوا في سبيل الله واعتصموا بحبله يا حماة الحق والذمم

وفي هذا توظيف شعري للفظة القرآنية اعتصموا من الآية ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢). وحين يخاطب المرأة بأرق الكلمات وأعذبها، ويبين دورها في الإصلاح الاجتماعي، لا ينسى أن يهمس في أذنها ببعض النصائح الأخلاقية القيمة كي تتحلى بها إيماناً منه بدورها في بناء الجيل ورفع شأن الأمة^(٣):

كل أم قدوة في أمة قانتات قاصرات الطرف عين
محصات في خدور زودت بالتقى والخلق البر الأمين

ففي الشطر الثاني من البيت الأول توظيف للآية التي وردت في وصف الحور العين في الجنة ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ عَيْنٌ﴾^(٤).

أما لفظة محصات فهي لفظة قرآنية مقتبسة من قوله تعالى ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مَتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ﴾^(٥) وفيه وصف للمسلمات العفيفات.

ومن الألفاظ القرآنية التي تردت كثيراً في شعره: (الصابرون - هادياً)^(٦) - (اصدع - سكرة)^(٧). وفي قول الشاعر^(٨):

إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ولا تخافوا حشود الناس كلهم

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ١٦.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٤٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٦) جراح وكلمات، ص: ٤٥ - ٦٢.

(٧) هكذا يقول الحجر، ص: ١٥ - ١٦.

(٨) نداء الحق، ص: ٢٢٥.

واضح أن الشطر الأول مقتبس من الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١)، وفي هذا تثبيت لقومه وأمر لهم بإعداد العدة لملاقاة العدو، مع التوكل على الله.
أما قوله^(٢):

وَأَتَى فِيمَا أَتَى مِنْ كِبَرِهِ إِحْدَى الْكِبَرِ أَيْنَ مِنْ يَدْفَعُ عَنْهُ الْمَوْتَ كَلَّا لَا وَزَرَ

ففيه توظيف للألفاظ القرآنية في الآيات من سورتي المدثر والقيامة ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾^(٣)، والآية

﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكِبَرِ﴾^(٤) وفيه بيان للعقاب الذي ينتظر المتكبر بعد موته.

فقد بين أنه لا مفر من عذاب جهنم للذين يخرطون في وجوه الفساد، ويدعون الناس إلى الاقتداء بهم ولا يحضون على منفعة المسلمين.
وحين يصف الصحة الإسلامية وتوجه الناس إلى التدين والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي كما كانوا في العهد الأول للدعوة يقول^(٥):

وَإِذَا النَّاسُ يَدْخُلُونَ بِدِينِ اللَّهِ طَوْعًا مِنْ كُلِّ قَاصٍ وَدَانٍ

فجملة يدخلون بدين الله توظيف لقوله تعالى ﴿وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٦).

وهو بذلك يبرز دور هذه الصحة في دعوة الناس إلى الدين كما كان الرعيل الأول، في خطوة توحيد الدور والهدف.

وحين يصف مرحلة الشباب بما فيها من قوة وعنفوان - فهي مرحلة النضج التي تحدد المستقبل - يشبهها بالجنة التي طاب غراسها فطاب تبعاً لذلك نتائجها فقال^(٧):

أَيْنَعَتْ زَهْرَةُ الشَّبَابِ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ طَابَ

وفيه توظيف للتركيب القرآني من الآية ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٨).

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) الإيمان والتحدي، ص: ٩٦.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١١.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٣٥.

(٥) قادمون مع الفجر، ص: ١٣.

(٦) سورة النصر، الآية: ٢.

(٧) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٣٣.

(٨) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

يحرص الشاعر على بث الأمل في نفوس أبناء شعبه، ويؤكد أن السنوات القادمة ستشهد انفراجاً على أيديهم^(١):

بعثوا الآمال في أرباعنا بعد محلٍ فما حبُّ الحصيد

وهو توظيف لقوله تعالى: ﴿جَدَّتْ وَحَبَّ الْحَصِيدُ﴾^(٢).

المحور الثاني: توظيف معاني القرآن الكريم:

وهو من الدلائل على توجه الشاعر وجهة إسلامية، وتبنيه المنهج الإسلامي فكراً ومعتقداً، بما يحقق الخير لأبناء شعبه، وفق تصوره للكون والإنسان، وكان أثر ذلك واضحاً في تشكيل المعجم الشعري.

يتساءل كيف للإنسان أن يحيد عن الفطرة التي فطره الله عليها^(٣):

كيف؟ والمؤمنُ يأبى ذلّةً ولغيرِ الله لا يرضى السُّجود !

فطبيعة النفس الإنسانية المؤمنة جبلت على طاعة الله وعدم السجود لغيره، وفيه توظيف لمعنى الآية القرآنية ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

وفي تحقق العبودية لله من كل ما خلق الله - عز وجل - قال الشاعر^(٥):

كلُّ شيءٍ ضارعٌ لله تقديساً وذكرًا
تصدحُ الأطيّارُ في أعشاشِها حدّاً وشكراً
والرياضُ الخضراءُ تكسوها يدُ الإِشراقِ سِحراً
وثغورُ الزهرِ فيها تنفُحُ الأجواءُ عطراً

تمثل الشاعر في هذه الأبيات معنى الآية القرآنية: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٦) و معنى قوله

تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾^(٧).

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٩.

(٢) سورة ق، الآية: ٩.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ١٨.

(٤) سورة يس، الآية: ٢٢.

(٥) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٨١.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٧) سورة النور، الآية: ٤١.

ومن الأبيات الدالة على تذلل الشاعر لربه انطلاقًا من الآية القرآنية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾^(١) فيقول^(٢):

لوجهك يعنو كلُّ شئٍ ويسجدُ وإياك يا ربَّ السماواتِ أعبدُ
فأنت ملاذي في الحياة وموئلي ووجهك في الدارين يُرجى ويقصدُ

ويقول أيضًا^(٣):

لنا الحسنى وللطاعين عقبى الخزي والهون

وفيه يوظف الشاعر معنى الآية ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(٤).

وللتأكيد على معجزة القرآن، وردًا على من ينكر ذلك يقول^(٥):

آمن الجنُّ حينما سمعوه وعجيبٌ أن يؤمنَ الثقلانُ

وفي هذه الأبيات توظيف لمعنى الآيات الكريمة من سورة الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ

مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝﴾^(٦).

وظف الشاعر أحمد الصديق ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه ذات الدلالات المختلفة، فكان لها
الأثر الكبير في إضفاء الطابع الإسلامي على شعره، وإظهار توجهه الإسلامي، كما استطاع
استخدام تقنية توظيف معاني القرآن الكريم في شعره، توظيفًا يبرز القيمة الجمالية لشعره، ويبين
مدى تأثره بالقرآن الكريم .

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) نداء الحق، ص: ٣٢.

(٣) الإيمان والتحدي، ص: ٨٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٥) قادمون مع الفجر، ص: ١٦.

(٦) سورة الجن، الآية ١ - ٢.

المحور الثالث: الألفاظ المقتبسة من البيئة الفلسطينية:

أسهمت الألفاظ والتراكيب الفلسطينية الخاصة في تشكيل المعجم الشعري للشاعر بما يحتويه من رموز ودلالات مختلفة، فقد وظف الشاعر في دواوينه بعض الألفاظ الفلسطينية كالغربة، التي اختزل فيها مآسي شعبه، وصور حالة التشرد التي عاشها الفلسطيني في الشتات، وما سببته من قلق حول المصير، حيث بات يبحث عن وطن يستقر فيه^(١):

ويرشُحُ الغبارُ والعرق
ملحاً يسيلُ في مضاجعِ الأرق
ولا مفر
تركضُ الرياحُ في لحاقي
تلتفُّ قبضةً على خناقي
وغربةُ الضياعِ في دوامةِ القلق
تبحثُ عن جزائر

حيث تظهر بعض الألفاظ التي يكثر سماعها في البيئة الفلسطينية مثل: يرشح - الأرق - العرق - تركض - تلتف - لحاقي - خناقي - الغربة - دوامة، وهذه الألفاظ وإن كانت متداولة بكثرة إلا أنها ألفاظ معجمية.

فحين استقر في البلاد العربية، ظلت الغربة هاجسه، ولم تسعفه الرسائل ولم تطفئ شوقه وحنينه لبلاده، فالغربة هي الغربة^(٢):

لا ولا رسائلُ الأشواقِ في غربةِ الديار

تمثل الخيمة بعداً آخر من أبعاد المنفى الفلسطيني، فيها يختزل الهجرة والفقر والتشرد وتقاوس العرب عن النصر، حتى أصبح المنفى هو المأوى^(٣):

وطني متاهات دروب...
وخيمةٌ نصبتُ هناك
وصارَ لي منفاي مأوى

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٢١.

(٢) السابق، ص: ١٩.

(٣) جراح وكلمات، ص: ١٠٦.

كما تظهر الألفاظ التي تصف أسلوب الحياة وطريقة العيش التي حرم منها الفلسطيني فأصبح العيش تحت سقف القرميد حلم له^(١):

سقف من القرميد
مدخنة تمجّ الليل
فلسفة تسمى الكفر فناً

إلى جانب ذلك يظهر تأثر الشاعر بالتركيب الفلسطينية، فمصطلح "شرقت وغربت" من التراكيب الخاصة بالبيئة الفلسطينية وتأتي هنا للدلالة على التنقل في جميع أنحاء البلاد دون جدوى^(٢)
فشرقت وغربت رسالة محقة
ورفرت حضارة على الوجود مشرقة

تشكّل المعجم الشعري للشاعر من خلال انتقائه للألفاظ التي تبرز توجهه الإسلامي المستوحاة من القرآن الكريم، إلى جانب استعانتة بمعجم الألفاظ الفلسطينية ذات الإيحاءات الكثيرة، كما أن اللغة التي استخدمها الشاعر قريبة من جموع المتلقين، واستطاع بهذه اللغة أن يحافظ على الموروث الديني المقدس، ولم يستعمل الألفاظ العامية ولا الغريبة، وكانت ألفاظه رقيقة سمحة مستمدة من القرآن الكريم، والواقع المعيش.

(١) جراح وكلمات، ص: ١٠٧.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٢٢.

المبحث الثالث

الأساليب البلاغية

الأسلوب في اللغة: السطر من النخيل وكل طريق ممتد، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، والجمع أساليب^(١).

أما في الاصطلاح: فقد عرّفه عبد القاهر الجرجاني: بأنه "الضرب من النظم و الطريقة فيه"^(٢)، أما عند حازم القرطاجني فإن مصطلح الأسلوب يُطلق على التناسب في التأليفات المعنوية، فهو "يمثل صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية تواليها و استمرارها، و ما في ذلك من حسن الطراد و التناسب و التلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة، و الصيرورة من مقصد إلى مقصد"^(٣)، كما عرّفه ابن خلدون بأنه "المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي تُفرغ فيه"^(٤).

وفقاً للتعريفات السابقة، فالأسلوب هو: النهج اللغوي الذي يشتقه الأديب لنفسه في خضم المادة اللغوية المترakمة، وقد يعتمد الشعراء إلى الانتقال من الطريقة السردية في الشعر، بتوظيف تقنيات جديدة تضيف على الشعر رونقاً وجمالاً، وتبرز المعاني في ثوب شعري أقرب إلى الفهم والإدراك، من خلال توظيف الأساليب البلاغية والظواهر الأسلوبية، ليكون الخطاب قادراً على إبراز القيم الجمالية، وتحقيق الإقناع والإمتاع لدى المتلقي، كما تعمل على إثراء النص الشعري بكم زاهر من المعاني المخبأة، والأسلوب هو المعنى المصاغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأُفعل في نفوس سامعيه ، وإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم نجده حافلاً بالأساليب التي تجعل منه أنموذجاً يحتذى به، وقد وظف الشاعر أحمد الصديق أساليب متعددة ضمن إطار اللغة، منتقلاً من الخبر إلى الإنشاء، منوعاً بين أغراضه، مبرزاً القيم الفنية لشعره، وتوجهه الإسلامي، محققاً المشاركة الوجدانية، فالتنوع في الأسلوب بين الخبر والإنشاء يجذب السامع ويحرك ذهنه وفكره، ويدعوه إلى المشاركة بوجدانه وأحاسيسه، وسيتم الحديث عن عدد من الأساليب البلاغية هي: الأمر والاستفهام والتعجب والنداء والنفي، كأتمثلة للإثراء اللغوي وتنوع الأساليب عند الصديق، موضحة الاتجاه الإسلامي من خلال توظيفه للأساليب السابقة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة سلب.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة و تعليق: محمود شاكر، د.ط(مكتبة الخانجي و مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٤ هـ) ، ص: ٤٦٩.

(٣) منهاج البلغاء و سراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، ط٢(دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م) ، ص: ٣٦٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، ص: ٥٧٠.

أولاً: أسلوب الأمر:

الأمر في اللغة: "نقيض النهي، أمره به" ^(١)، وفي اصطلاح البلاغيين: "هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء" ^(٢)، أي "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام فينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه له الأمر" ^(٣)، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ ^(٤)، يظهر التوجه الإسلامي في توظيف الشاعر لأسلوب الأمر في تضمين معاني شعره أي القرآن الكريم ويؤكد دعوته، فيستخدم أسلوب الأمر لتوجيه الأجيال إلى التمسك بكتاب الله - عز وجل - ويدعوهم إلى الوحدة التي تحقق القوة، وفي هذا تأكيد على دعوة القرآن في الاعتصام بحبل الله فيقول ^(٥):

أَنْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَانْشَقَّ الدُّجَى عَنْ جَبِينِ الْحَقِّ هُبُّوا لَا تَنَامُوا
وَانْهَضُوا فِي اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا تَنْطِقُ الْأَفْعَالُ مِنْكُمْ لَا الْكَلَامُ

وحين يوجه ندائه لكل مسلم بالتوجه إلى الله بالعبادة وإخلاص النية والتزود بالتقوى مصداقاً

لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ^(٦) فيقول ^(٧):

يَا أَخَا الْإِسْلَامِ قُمْ لِمَوْلَاكَ وَاخْشَعْ فِي يَدَيْهِ وَاظْفَرْ بِأَعْلَى الْأَمَانِي
زُودَ الرُّوحَ وَاقْتَبَسْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَهَذِي مَوَائِدُ الرَّحْمَنِ

والموقف هنا يحتاج الخطاب المباشر، ليحقق الفائدة، ولدفع الإنسان إلى اتخاذ مواقف سلوكية دالة على الإيمان لينال رضا الله - عز وجل - ويظفر بالجنان.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة أمر.

(٢) الكافي في علوم البلاغة، عيسى علي الكالوب وعلي سعد الشتيوي، ط١ (بنغازي-دار الكتب الوطنية ١٩٩٣)، ص: ٢٥١.

(٣) من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، د.ط (الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٤)، ص: ٤٠.

وينظر أيضاً: معجم الاصطلاحات البلاغية، ص: ٣١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤١.

(٥) قادمون مع الفجر، ص: ٢٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٧) قادمون مع الفجر، ص: ٧-٨.

وفي موضع آخر يستخدم أسلوب الأمر استخدامًا وظيفيًا متضمنًا معنى الآية ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١).

حين يوجه نصائحه للأجيال الصاعدة من الشباب في الأبيات^(٢):

فترسّموا نهجَ التقى غرُّ الوجوه محجّليْن
وتنافسوا في طاعةِ الرحمنِ غيرِ مذممينِ

ويستخدم اسم الفعل للأمر "هلمي" للتذكير بذكرى المولد النبوي ويدعو للاحتفاء بمولده - صلى الله عليه وسلم - فيقول^(٣):

أطلَّ على الناسِ فجرُ الهدى
فبشراكِ بالوافدِ المكرمِ
هلمِّي هلمِّي به نحتفي
ونعلنُ عن فرحةِ المقدمِ

فقد بث من خلال توظيفه لأسلوب الأمر شحنة عاطفية مكثفة قائمة على الحب والتقدير لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم -.

وإذا ما ابتعدت الأمة عن نهج الإسلام يرسل لها الشاعر ببرقية عاجلة لتذكيرها بضرورة العودة إلى حصن الإسلام المنيع والتمسك بأمجاد الأمة الإسلامية، لتحقيق سيادة العنصر الإسلامي^(٤):

أمتي عودي إلى الإسلام عودي
وانهضي من كبوةِ الذلِ الكنودِ
وحدي الشملَ على النهجِ الرشيدِ
وصلي يومك بالماضي المجيدِ
فاسلكي يا أمتي دربَ الصعودِ
وارفعي راياتك الغليا وسودي

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٧٦ - ٧٧.

(٣) السابق، ص: ٧٣.

(٤) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٦٢ - ٦٣.

من القيم الإسلامية التي حث الإسلام على التحلي بها طهارة النفس من الأدران والأحقاد، لتتعم بالطمأنينة ويشع نور الإيمان منها، فوضع الشاعر هذه المعاني في أسلوب الاستفهام حاثاً على ضرورة التمسك بالمنهج القويم للدعوة الإسلامية^(١):

طهّري النفس طهّريها وسيري	في طريقٍ نحو الصباح النضير
أدركي النور وهو غضّ جنّي	في كؤوس الندى وثغر الزهور
وارتقي في معارج الروح إيماناً	زكياً مشعشعاً في الضمير
وارفعي منهج الهداية دستور	حياة وعزة في الصدور

وحين يوظف أسلوب الأمر متضمناً معنى الحديث "تَزَوَّجُوا تَوَالِدُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمَ"^(٢) يكون قد أرسل دعوة لإحياء سنة رسولنا الكريم قائلاً^(٣):

فهلّموا واستكثروا النسل في	الأرض وشدّوا عزائم الأوطان
والرسول الكريم سوف يباهي	بكمو يوم يبعث الثقلان

حب الوطن وتمني الموت في سبيله جزء من عقيدتنا الإسلامية لذلك نجد الشاعر أحمد الصديق قد زين دواوينه بقصائد الثأر للوطن السليب وأرسل صرخاته مدوية لإيقاظ الهمم وشدّ العزائم وبعث الأمل في النفوس والعمل على تحريره موظفاً فعل الأمر الذي يحث على القيام بفعل كي يثبت الإنسان بقاءه وكيّنونته، فإذا أردت الحياة عليك صناعتها وولادتها، اخترع أملاً لتبقى ثائراً رافضاً الهزيمة والانكسار فيقول^(٤):

لم تمت في يدك أنشودة الثأر	ر فأيقظ بها عيون الصباح
ليس هدراً تلك الدماء ولكن	هي لمحّ السنا وعطر الأقاحي

وقال أيضاً^(٥):

أتراك بعد البين تعرف ما الذي	يشجي الفتى في غربة الأوطان
------------------------------	----------------------------

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٢١.

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد المتوفي ٥٣٨هـ، ط٣ (دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ)، ج ٣، ص: ٢٣٤.

والحديث بهذه الرواية ضعيف وفي رواية أخرى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " تزوجوا الودود الولود فإنني مباهٍ بكم الأمم" سنن أبي داود حديث رقم ٢٠٥٠، ورواية صحيحة أخرى قوله - صلى الله عليه وسلم - "تزوجوا الودود الولود فإنني مكاتّر الأنبياء يوم القيامة" صحيح ابن حبان، حديث رقم ٤٠٢٨.

(٣) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٥٤.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ٧٣.

(٥) السابق، ص: ٦٨.

فالحياة لن تأتي إليك وأنت منكفى على نفسك مستسلم ضعيف قم بالفعل، انتفض في الحاضر والمستقبل حتى تحقق الغد المشرق.

من الملاحظ من خلال توالي أفعال الأمر في شعر الصديق أنه يحث القارئ ويستدعيه إلى التغيير وعدم الركون لحالة العجز والأسف، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، فتكثيف حضور فعل الأمر في الأبيات يفضي عن رغبة ملحة وتحذٍ حقيقي بالتغيير للأفضل، كما يجعل القارئ خاضعاً منتشياً بإيقاع تأثيره القوي، حين يلتحم التحاماً قويا باللغة فتصبح لغة شعرية هادفة.

ثانياً: أسلوب الاستفهام:

الاستفهام في اللغة: " الفهم: معرفتك الشيء بالقلب... وفهمت الشيء: عقلته وعرفته"^(٢)، أما معناه الاشتقاقي هو: طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول، وفي الاصطلاح: "استعلام ما في ضمير المخاطب"^(٣)، وللاستفهام أدوات متعددة، وهي: "الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان بفتح الهمزة وكسرها"^(٤)، وهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة"^(٥)، والاستفهام نوعان: حقيقي ومجازي أو بلاغي، وقد تحدث عنه ابن جني بقوله: "واعلم أنه ليس شيء يخرج عن بابيه إلى غيره إلا لأمرٍ قد كان، وهو على بابيه ملاحظاً له، وعلى صدد من الهجوم عليه، وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء"^(٦)، فالاستفهام يخرج إلى معانٍ أخرى غير المعنى الحقيقي له وهو طلب الفهم، ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة فهم.

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط١ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٣)، ص: ١٨.

(٤) مفتاح العلوم، ابن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي متوفى سنة ٦٢٦هـ، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٧) ص: ٣٠٨.

(٥) من بلاغة القرآن، ص: ٥١. وينظر أيضاً: معجم الاصطلاحات البلاغية، ج ١، ص: ١٨١.

(٦) الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص: ٤٦٦.

١- الاستفهام التقريري: وفيه يطلب السائل من المسئول الإقرار والاعتراف مع علم السائل بالإجابة، ومثاله في القرآن ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا بُرْهِيمُ﴾^(١).

زخرت دواوين الشاعر بأساليب الاستفهام التي تفصح عن حالة من القلق والتوتر اللاإرادي، الذي يولد في النفس رغبة ملحة للتنفيس والبحث عن البدائل، ومعالجة بعض القضايا الهامة، ومنه قول الشاعر^(٢):

أين كسرى؟ وأين قيصر؟ مالت
وتهافت معاقل الطغيان

والاستفهام هنا ليس بحاجة إلى إجابة بقدر الحاجة إلى الاتعاض والتسليم لقدر الله، فالظلم وإن طال زائل، وتقتضي مشيئة الله محاربة الظالمين، كما حدث لفرعون مصر من قبل وكسرى وقيصر الروم، فالاستفهام "بأين يكثّر استعماله في الموضوعات التي تحتاج إلى تأمل وتدبر، فلا تكتفي هذه الأداة بوظيفتها الأساسية، وهي الاستفهام عن المكان، بل تتعدى ذلك وتخترق عناصر المكان والزمان؛ لتستشف ما وراء ذلك من دلالات وعبر وحكم"^(٣).

وقوله أيضاً^(٤):

رحمة للناس كانت في الدنى
أين منها نحن في أوضارنا
حيث ذاق الأمن والسعد الأنام
نكتوي نشقى نعاني ونسأم
من سكير الغيظ نازّ واحتدام
نلعق الجرح وفي أحشائنا

بث الشاعر دفقة شعورية مكثفة حين أعرب عن أسفه لابتعاد الناس عن دينهم وانجرارهم وراء الدنيا ومتاعها الزائل فذاقوا وبال أمرهم، وتكالبت عليهم الأمم فيبين السبب في صيغة الاستفهام بأداة الاستفهام أين لأخذ العبرة والاتعاض من أخطائنا.

استخدم الشاعر الاستفهام التقريري استخداماً وظيفياً حين يقر بأننا أحفاد عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي الذين ساروا على نهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونشروا العدل بين الناس موظفاً الاستفهام بالهمزة فيقول^(٥):

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ١٣.

(٣) مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة تيم، رسالة دكتوراة، د. ط (جامعة أم القرى - السعودية د. ت)، ص ٤٤٣.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ٣٣.

(٥) هكذا يقول الحجر، ص: ٣٠.

أولسنا أحفاد من فتحوا الدنيا وسادوا بالعدل في الأقوام؟؟

ولكننا نكتنأ العهود التي قطعناها على أنفسنا فضللنا وأضللنا وغدونا مزقا تلوكنا الأمم،
وتتكالب علينا قوى الشر ليس لقوتهم بل لضعفنا وهواننا على أنفسنا^(١):

أولم نكتُ موثيقَ الهدى حين أغضينا.. فأغوانا اللئام؟

أوما ضلت عن النهج الخطى واحتوانا الظلم وارتد الطغام؟

وتولت عن مغائنا المنى وهي حيرى ونأى عنا المرام؟

أولم نعرض عن الدين الذي هو مفتاح المعالي والزمائم؟

أولم تعبث بنا أهواؤنا.. أولم تغرق ليالينا المدام؟

وغدونا مزقا لا ينقضي بيننا رغم مآسينا الخصام

فيض من الأسئلة المتكررة المتولدة من رحم اللاشعور، والمعاناة التي تولد الكبت، تنهال في فكر الشاعر، فيسكبها في ثنايا النص لتخلق لدينا الاستثارة والحيرة والإقرار، والفضول للبحث عن الحلول، فيتساءل لنقر بأن سبب تعاستنا وهزيمتنا أمام أنفسنا وأمام عدونا، هو بعدنا عن ديننا، وانجرارنا وراء ملذات الحياة، والشاعر يدرك عمق هذه الأسئلة وشدة وقعها على النفس المؤمنة، لكن هل يستسلم للواقع ويترك العباد والبلاد في ضياع، وقد استخدم الشاعر الحذف في دلالة على عمق المأساة وحيرة الكلمات في التعبير عنها، فكانت وظيفة الاستفهام أن كشفت السبب أو العلة الغامضة في صورة واضحة مكشوفة.

٢- الاستفهام الإنكاري كقوله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٢)، وقد وظف

الشاعر الاستفهام الإنكاري موظفا أداة الاستفهام "لماذا" و"ما" في قوله^(٣):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

(٣) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ١٠٢.

لماذا القيدُ للأطهارِ بينما يُتركُ الجاني؟

وما الذنبُ الذي اقترفوا سوى تحريرِ أوطان؟

وتهذيبُ لأخلاقٍ وإصلاحٍ و عمرانٍ

ونشرِ العدلِ دستورًا ليسعدَ كلَّ إنسانٍ

وما اعتصموا بغيرِ الله في صدقٍ وإيمانٍ

وفيه يخرج الشاعر عن المعنى الحقيقي للاستفهام إلى الإنكار الذي يتضمن معنى التوبيخ، فقد أنكر الشاعر حال الأمة التي تفرض القبود على الأحرار، الذين يسعون لتحرير البلاد ويدعون إلى العدل ونشر الأخلاق الإسلامية الكريمة، بينما يرتع المفسدون وينعمون بالحرية مما يؤدي إلى تماديهم في ظلمهم، ويقول أيضًا موجهاً استفهامه للعرب مستفهما "بهل"^(١):

هل هذه الشيمُ التي ندعى لها ليظلَّ أمرُ الظالمينَ مجابا؟

منكرًا عليهم نشر الرذيلة والفساد بين الشباب المسلم، وأخذ كل ما هو ضار بأممتنا من الحضارات الغربية الضالة فتظل أعناقنا مطأطأة لهم. ثم يوجه استفهاماته إلى الغرب فيحدثهم بأسلوب العارف للإجابة فلا يترك مجالاً للإنكار^(٢):

أبغيطُكم إسلامنا؟ أدري بكم ولسوف أسردُها هنا الأسبابا

هل تنقمون لأن دينَ محمدٍ أعطاكم النهجَ القويمَ لأبأ؟

وهو في استفهامه يوجه لهم رسالة تهديد بأن دين محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الذي سيسود في الأمم مهما يحاولون القضاء عليه. ويوظف أسلوب الاستفهام بمتى لإظهار التحسر على ما أصاب الأمة الإسلامية من فتور وابتعاد عن الدين، ومنكرًا على المتخاذلين والضالين حالهم المزري فيقول^(٣):

فمتى نسدد سيرنا وطريقنا نحو الرشاد وتهتدي الأهواء؟

ويقول أيضًا مستخدمًا أداة الاستفهام ما للدلالة على عمق المأساة التي حلت بالوطن^(٤):

(١) قصيدة موتوا بغيطكم، جريدة الشرق، العدد ٨٨٨٤، الجمعة، ١٢ أكتوبر ٢٠١٢، زاوية متابعات، ص: ٢٥.

(٢) السابق.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٢٦.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ٣٠.

صَوِّحِ الرُّوضُ فَمَا يَبْعَثُهُ؟ مَا الَّذِي تَحْيَا بِهِ تِلْكَ الرَّمَامُ؟

وقال (١):

متى...متى سيطلعُ الصُّبَاحُ؟ يا طائري متى ستطلقُ الجناحُ؟!

الاستفهامُ بما ومتى في الأبيات السابقة يُفيدُ التَّحَسُّرَ والتَّوَجُّعَ وإظهارَ الأسى والحزن، فالشاعر مُتَوَثِّرٌ تُسيطرُ عليها نوباتُ الغضبِ والحزن، ويتمنى أن يؤوب الإنسان إلى رشده ويتمسك بدينه، ليلتئم الشتات ويعود للوطن فيقول معبراً عن ذلك (٢):

فمتى سيلئمُ الشتاتُ متى يا ربُّ جرحُ القلبِ يندملُ؟

ويؤوب بعدَ البينِ غائبهم وبعودةِ الأحبابِ نحتفلُ؟

أي يجب أن يطلع الصُّبَاحُ، ويلتئم الشتات ويعود الأحباب إلى أوطانهم.

وحين يوظف كم الاستفهامية يخرج بها عن معنى الاستفهام الحقيقي لإفادة الكثرة وإظهار الحسرة، فالاستفهام بكم يخلق استنارة واضحة في ذهن القارئ (٣):

كم أزهقت روحَ وروعَ آمنٍ أو مزقتُ تحتَ الركامِ بطونُ؟

ويقول أيضاً (٤):

ماذا؟ أيلزمُني السكوتُ مذمِّمٌ ويرومُ قهري ساقطُ ملعونُ؟

كم دنسوا حرماً وكم ذا أفسدوا ذمِّمٌ وما عهدٌ هناك مصونُ؟

يورد الشاعر مآسيه عبر استفهامات متعددة: ماذا التي أفادت الاستنكار و عدم الانصياع لأمر العدو الغاشم، بينما كم التي تفيد شدة التحسر وكثرة الألم، وحين يوظف الشاعر أكثر من أداة يلجأ إلى إفراغ ما بداخله من شحنات التوتر والقلق.

أما كيف فيوظفها الشاعر لبيان حال المسلم الذي تعرض للاضطهاد والظلم وتعرض لصنوف العذاب، لكنه رغم ذلك ظل صابراً مرابطاً على أرضه متمسكاً بعقيدته، لم يثنه تخاذلهم عن عزمه (٥):

(١) السابق، ص: ١٩.

(٢) السابق، ص: ٦٤.

(٣) السابق، ص: ٨٠.

(٤) السابق، ص: ٨١.

(٥) يا سراييفو الحبيبة، ص: ٣٦.

كيف ينسى ليلة العدوان من مرق جلدُه؟

كيف ينسى طعنة الغدار في الظهر وكيدِه؟

الشاعر هنا يحدث اضطراباً في نفسية المتلقي حين ينقل له حالته الشعورية من خلال أسئلته الحائرة التي يعترّيها الاستنكار والألم والحسرة، والتي لا ينتظر الإجابة عليها، وإنما يطلقها في جسد النص الشعري؛ ليترك للمتلقي حيزاً تأملياً يعانق فيه حاضره ويعايشه، ويلتقي فيه مع الشاعر في ألمه وقلقه من خلال النص.

تحرير الأوطان والصبر على الشدائد، من الأمور التي حث عليها الدين الإسلامي كي يستطيع المسلم تأدية الشعائر الإسلامية، وينعم بالأمن والأمان وقد أرسل الشاعر نداه للشباب للقيام بهذا الدور العظيم الذي يستحق المجاهدة وبذل الأرواح رخيصة في سبيله، ومن سواهم يستطيع تحمل مشاق الجهاد فيقول^(١):

مَنْ يَنْصُرُ الْوَطْنَ؟ وَيَقْهَرُ الْمُحْنَ؟ مَنْ يَبْذُلُ الثَّمَنَ؟

من جهده المذاب.. سواك يا شباب

يبث الشاعر أزمته الفكرية والنفسية من خلال الاستفهام الموجه للشباب، باعتباره هنا معادلاً موضوعياً للهوية الفلسطينية المهددة بالضياح، فهو كما يرى الشاعر من يستطيع نصر الوطن، وإثبات الحق، وقهر المحن، وبذل الجهد وتحقيق الهدف.

حظي أسلوب الاستفهام على قدر كبير من الاهتمام عند الشاعر مقارنةً بغيره من الأساليب ، هذا وإن دل على شيء إنما يدل على مدى القلق الذي يعترّي أحاسيس الشاعر ، وقد نوع الشاعر في أدواته وفقاً للحالة الشعورية، وكان لذلك أثر كبير في النصوص الشعرية، فالتعبير بأسلوب الاستفهام يعطي غنى وخصوصية وأصالة للنص الشعري؛ لما له من فاعلية في توجيه الأفكار وتعميق الرؤية الفنية وإثراء النص وتخصيبه، كما تكمن جماليات الأسلوب الاستفهامي في التكتيف اللغوي الذي يمثله هذا الأسلوب، فنجد الشاعر قد شحن كم من الانفعالات النفسية، بما يحيل القارئ إلى الانسجام والمشاركة الوجدانية مع الشاعر في آهاته وآلامه، ولا يخفى على المتلقي المتمعن أن لأسلوب الاستفهام قيمة جمالية أخرى تتجلى في السمات التي يضيفها على النص؛ لما يتميز به من غزارة في الشحنة الانفعالية، وتلوين في الصوت، ولما فيه من خصوصية، حيث استطاع أن يخاطب العقل والوجدان في آن معاً، وكان له القدرة على حمل المتلقي على المشاركة في تفعيل

(١) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٣٠.

الموقف بما يبثّه من معانٍ إسلامية وآداب رفيعة، فنشّط الخيال، وحرك الأذهان، ومنح النص ثراءً ورونقاً.

ثالثاً: أسلوب التعجب:

تعبير كلامي يدل على الدهشة والاستغراب ويفصح عن الشعور الداخلي للإنسان حين يستعظم أمراً ما، والتعجب كما هو معروف في علم اللغة قياسي وسماعي، فأما القياسي فله صيغتان: ما أفعل، وأفعل ب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١)، ولأسلوب التعجب قيمة جمالية في النص الشعري، فهو يلفت الانتباه إلى القيمة المنشودة من خلاله.

تزخر دواوين الشاعر بأسلوب التعجب القياسي، فحين يظهر إعجابه بشباب الدعوة الذين حملوا هم الأمة الإسلامية وأخذوا على أنفسهم العهد لإعادتها إلى المنهج الصحيح، سائرين على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، يوظف التعجب بصيغة أكرم ب مع تكرارها للدلالة على عظم الأمر الذي يقومون به مما استدعى الشاعر إلى التعجب من صنيعهم فيقول^(٢):

أكرم بهم أكرم بنبت الحمى كم أذهلوا الدنيا وكم أبدعوا !!

وقوله عن الرسول الكريم ودعوته الغراء التي جاءت بالنور والهداية لهذه الأمة^(٣):

فرسالة الإسلام مبعثُ عزةٍ ومنازلُ إصلاحٍ وحصنُ أمان

أكرم به من دعوةٍ قدسيةٍ بالبرِ مشرقيةٍ وبالعرفان !

فتمثلها في الحياة فإنما خيرُ الحصادِ هدايةُ الإنسان

فالشاعر يتعجب بصيغة "أكرم به" في الأبيات ليلفت الانتباه إلى القيمة المنشودة من رسالة الإسلام، وما امتازت به على مر العصور.

أما ما جاء على صيغة ما أفعل، فقد وظفه الشاعر متغنياً بجمال خلق الله وبيان ملامح قدرته في شق الصباح، حاضاً الأجيال الصاعدة على اغتنام لحظات النشاط والحيوية في اكتساب العلم، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤) فيقول^(٥):

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٤٨.

(٣) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٢٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٥) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٦٦.

ألا ما أروع الصبح الجميلا
أتابع نحو مدرستي السبيلا
هناك أحقق الغرض النبيل
وارجع بالطريف من اكتسابي

وقد وظف الشاعر أحمد الصديق التعجب السماعي غير خاضع لقاعدة ما ، مستعملا أداة
النفي ليس، مفرغاً فيه كماً من الشحنات والانفعالات، معرباً عن أسفه واستغرابه مما يحدث في
الأوطان العربية من دعوات باطلة، تسهم في تضييع الأجيال فيقول^(١):

ليس إلا اللهو واللغو وصيحات مثارة
وذئاب تنهش الأوطان والعرض وقد تطلب رأسك
حينما ترهب بأسك!

وظف الشاعر التعجب غير المباشر فتعجب، من حال الأمة الإسلامية وما وصلت إليه من
هوان، في أسلوب خبري صريح، والملاحظ أن دواوين الشاعر قد زخرت بهذا النوع من التعجب ومنها
أيضاً^(٢):

تتقلد الأصنام هالات القداسة ...
ونباع ثم نباع في سوق النخاسة!..
وتصفق الأيدي بلا معنى ..وتلتهب المجامر ..
وعجبت كيف تلوثت حتى المشاعر!!

تعجب الشاعر من هوان أمة الإسلام، فزعماءهم كالأصنام بل هم أضل، والشعوب كالعبيد تباع بلا
ثمن، وعبيد السلاطين يعيشون بلا هدف يصفقون بلا معنى أو سبب، اختلطت عليهم المثل والمبادئ
فأصبحوا لا يفرقون بين الغث والسمين.
ويؤكد المعاني السابقة في أكثر من موضع فيستخدم أسلوب الاستفهام لإظهار دهشته مما حل بديار
الإسلام وأبنائه، فأصبحت أمة بلا حاضر ولا ماضي تعتر به فقال^(٣):

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٥.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠٨.

(٣) السابق، ص: ٩٦.

من قاصمات الليالي؟!

مبتورة الأوصال

يا بحر ماذا دهانا

قد فارقتنا الأمانى

ومنه أيضاً قوله^(١):

كأنها فتنة تمشي على قدم

فيها الغرور فيا للريم كيف رُمي!!

ستر الحياء؟! أما للنفس من لجم

من كل كاسية في الناس عارية

والعابثون ذوو الأهواء قد نفخوا

ماذا تبقى لزوج بعد أن خلعت

فيتعجب من أمر الفتيات المسلمات اللاتي انجررن وراء المبادئ الهدامة، التي تنادي بخلع الحجاب والسير في الطرقات أمام ضعاف النفوس شبه كاسيات، وهو بذلك يبعث برسالة إلى أولياء الأمور بالانتباه والתיقظ لفتياتهم وزوجاتهم من الانحلال والفساد.

رابعاً: أسلوب النداء :

النداء في اللغة : "الصوت وناداه مناداة ونداء صاح به"^(٢)، أما في الاصطلاح فهو: "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمان: الهمزة، آ، أي، أي، يا، أي، هيا، وا"^(٣)، وهو "التصويت بالمنادى لإقباله عليك، هذا هو الأصل في النداء، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المراد منها غير الإقبال"^(٤)، وقد استخدم الشاعر أحمد الصديق أسلوب النداء في مواضع كثيرة، للتنبيه إلى المخاطر المحدقة، أو للحث على التمسك بالعقيدة والعمل على تحرير الأوطان فهو "أكثر ما يجري ... في الموضوعات التي تحتاج إلى لفت نظر انتباه وتيقظ لما يعقبها من أخطاء وأخطار بتناسيها، أو منافع ومصالح بتداركها"^(٥)، فكانت نداءاته بمثابة الصيحة التي توقظ الضمائر وتحفزهم للعمل، ومن ذلك قوله^(٦):

أشبابُ يا لحنَ الحياةِ ويا نشيدَ العفوانِ

يا وثبةَ الروحِ الأبِّيِّ إلى الغُلا طلقَ العنانِ

يا معقدَ الأملِ المجنحِ والأمانِيَّ الحسانِ

(١) جراح وكلمات، ص: ٨٦.

(٢) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى ٦٦٦هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥ (بيروت-صيدا-المكتبة العصرية ١٩٩٩م)، ص: ٣٠٧.

(٣) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين بن هشام المتوفى ٧٦١هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط٥ (بيروت-دار الفكر د.ت)، ج ٤، ص ٤.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي المتوفى ٧٤٥هـ، ط١ (بيروت-المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ)، ج ٣، ص: ١٦١.

(٥) مفهوم الأخلاق في الشعر العربي، محمد تيم، ص: ٤٤٠.

(٦) جراح وكلمات، ص: ٢٢-٢٣.

...

يا من يشقُّ الليلَ تُذكي نارَ عزمته الصدورا

فالشاعر يوجه صيحة عامة للشباب بوصفهم مصدر القوة لهذه الأمة، ويرفع من مكانتهم فهم الأمل والتفاؤل وهم رمز الحيوية، وبهم تعقد الأمان، موظفا النداء بـ "الهمزة- يا" للتنبيه على هذه المكانة العالية فلا يضيعوا أمل الأمة بهم في الانجرار وراء الملذات ويتركوا المهمة المنوطة بهم، ويظهر من خلال ندائه للشباب التوجه الإسلامي عند الشاعر، فالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قد أولت مرحلة الشباب عناية خاصة، وبينت دورهم في حمل الأمانة. ومنه أيضاً^(١):

يا أحبائي ويا من أوقدوا جمرة الإيمان في قلب الجليد

من بيوت الله هُبُوا مثلما تطلع الشمس حياة في الوجود

جاء النداء ليؤكد الرسالة التي يحملها الشباب ، وتوجيههم إلى المساجد لينهلوا من نور الهداية، ويتربوا التربية الصحيحة، داخل المساجد كما كان الرعيل الأول ومن النداء بأي قول الشاعر^(٢):

أيها الراحل في برّ الفلا... يطوي حُزونه

يوجه الشاعر نداءه للحزين الذي يهيم على وجهه في الأرض، ويحثه على ضرورة الإسراع إلى المدينة والتكحل بأنوار الهداية هناك.

ومن النداء الذي يوجهه الشاعر إلى الصابرين المرابطين على أرض فلسطين قوله^(٣):

يا أبي الجرح كم عانيت

كم ضحيت كم ذا تتألم

...

يا أخي في الوطن المحتل قد آن الأوان

ارفع الراية رغم القهر واصدع بالأذان

جاء النداء في المقطع بعموم اللفظ لرفع الهمم، وشحن العزائم لمواصلة الصبر، والعمل الفعلي على تحرير الوطن دون تسويف أو تأجيل فقد آن الأوان.

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٩.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٢١.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ١٤-١٥.

ومنه استخدام فعل النداء "ناديت" للدلالة على عمق المأساة في قول الشاعر^(١):

ناديت أختاه... والمعتدي في كل أرجاء الحمى يرتع

ناديت لكن لا مجيب ولا معتصم ولا صلاح الدين ولا خالد، فقد عاث المعتدون فساداً في الأرض، ولا حامٍ يحمي الحمى.

وقد وظف الشاعر أسلوب النداء محملاً إياه شحنة من العواطف الهياجة التي تحمل نصائح هامة للشباب والفتيات بضرورة الالتزام بالنهج القويم والعمل على توعية الأجيال بالمخاطر المحدقة.

خامساً: أسلوب النفي:

يعد أسلوب النفي من الأساليب الخبرية ذات الشأن في العربية؛ لما له من تأثير في الكلام ووقع في النفوس، والنفي في اللغة: "ضد الإيجاب، نفيته نفيًا، وأهل المنطق يسمونه سلبًا، وصاحب العين: الجحود: نقيض الإقرار جحده يجحده جحداً"^(٢)، أما في الاصطلاح فهو: "الإخبار عن ترك الفعل"^(٣)، وحروفه متعددة لكن "أصل هذه الأدوات "لاوما"؛ لأن النفي إما في الماضي، وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي"^(٤)، ثم أضيفت لهما باقي الأدوات لتعطي دلالات متعددة أكثر، مثل دلالة النفي في الحال، ودلالة النفي المطلق في المستقبل، وقد وظف أحمد الصديق أسلوب النفي في قصائده؛ ليدلل على نفيه لبعض القضايا، أو لإظهار المفارقة بين الحاضر والماضي، في إشارة منه لإنكار ما قد حصل، ليثبت بذلك عكس الحاصل، ومن ذلك قوله^(٥):

لا ليس من معتصم بينهم وسيفهم أختاه لا يقطع

وظف الشاعر أسلوب النفي مستخدماً أداتي النفي "لا وليس" للدلالة القطعية على عدم وجود عزيمة المعتصم في هذا الزمان، وهو إذ ينفي وجود هذه العزيمة إلا أنه يحتثنا على أن نتجدد فينا هذه العزيمة فهي سبيل النصر والتحرير، ويبعث فينا الأمل للسعي والعمل على تحقيق وإيجاد المعتصم في القريب العاجل لينتصر للمسلمين. ومنه قوله^(٦):

(١) السابق، ص: ٤٧.

(٢) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المروسي المتوفى ٤٥٨هـ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١ (بيروت- دار إحياء التراث العربي ١٩٩٦)، ج٤، ص: ١٦٦.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص: ٢٤٥.

(٤) البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي، ط١ (دمشق- دار القلم ١٩٩٦)، ص: ٢٠٩.

(٥) هكذا يقول الحجر، ص: ٤٧.

(٦) السابق، ص: ٤٦.

لا القبلَةُ الأولى ولا خطْبُها ولا الجراحاتُ ولا الأدمعُ
ولا اليتامى والأيتامى ولا ما يكسرُ القلبَ وما يفجعُ

النفى هنا جاء ليؤكد المعاني السابقة فما حدث لقبله المسلمين الأولى واليتامى والأيتامى لم يحرك ساكناً لعدم وجود من ينتصر لدماء المسلمين وجراحاتهم وآهاتهم، فإرادة التحرير قد ماتت في نفوس المسلمين حتى سقوط القبله الأولى في أيدي اليهود وما فعلوه من جرائم لم تحرك فيهم نخوة المعتصم، وفيه تحريكٌ للنفوس وإيقاظٌ للضمائر للعمل على تحرير المقدسات وأهلها من ظلم المحتل الغاصب. ومن النفى أيضاً^(١):

لا أبالي الردى... وإن عرِبَ اللي لُ وضجت عواصفُ الآلام

والنفى هنا على حقيقته فالمؤمن لا يخشى المحن ويصبر على المصائب والابتلاءات، صبراً نابعاً من عقيدة صحيحة، زاده التقوى والإيمان، فالشاعر من خلال النفى يريد أن ينشئ إرادة التحدي التي هي جزء من الموقف الأخلاقي الجميل. ومن النفى بأداة النفى "ما" قوله^(٢):

وما عادَ يلعبُ كالأخرين بدراجة... أو كرة
ولا يتغنى بليلاء في الليلة المُقمرة
هوايته أصبحت غير هذا وذاك

يصف الشاعر حال أطفال فلسطين الذين حملوا الحجر وألقوا به في وجه المحتل الغاصب، فغدت لعبتهم حجارة وليس أي لعبة كباقي أطفال العالم، حتى المراهق حمل الأمانة وترك مجونه وانبرى للدفاع عن حياض الإسلام. ويؤكد على حق الشعب الفلسطيني بأرضه وينفي مزاعم اليهود بحقهم في الجدار وهيكلي سليمان، فيقول^(٣):

ما كان للمعتدي في أرضنا أبداً حق ولا هيكل يبنى ولا جذر

فالأرض أرضنا وسنعمل على تحريرها بكل السبل.
ومنه أيضاً^(٤):

لا يبالون بشيءٍ والدماء في سبيلِ الله نورٌ ووقودٌ

...

لم يغد للحرٍّ ما يخسرُه شدّدوا قبضتكم لا لن نحيدُ

(١) السابق، ص: ٢٩.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٥٥.

(٣) السابق، ص: ٨٧.

(٤) السابق، ص: ٢٠.

فوظف أداتي النفي لا ولم ليؤكد عل القيم التي يتحلى بها الإنسان المؤمن الأبى الذي لا يخاف إلا الله، ويعمل على الدفاع عن الأوطان بقوة وعزيمة، ولإثبات الحق الفلسطيني في الأرض والوطن وبناء إرادة الفعل المقاوم، لأن في النفي نفي للمفردات السالبة والعوارض المانعة.

لقد استدعى الشاعر لغة إنشائية تراوحت بين أساليب تعبيرية متباينة، أساليب مشحونة بالانفعال، تعكس توتر المشاعر وتباينها حين وظف أساليب الأمر والاستفهام والتعجب والنداء والنفي، مع توظيف تقنيات متعددة كالحذف والإضمار والترميز حين تعجز الكلمات عن التعبير، وهذا انعكاس لعمق التجربة الشعرية، والثقافة الواسعة والتزامه بقواعد اللغة، إلى جانب التزامه بالمنهج الصحيح للشريعة الغراء، حيث وظف أساليب اللغة العربية بما يخدم الهدف الرئيس لشعره، وهو حث الأجيال على التمسك بالدين الإسلامي الصحيح وترك الانجرار وراء الملذات والأهواء الزائفة.

الفصل الرابع

الصورة في شعر أحمد الصديق

المبحث الأول: مفهوم الصورة الشعرية.

المبحث الثاني: أنماط الصورة:

صورة جزئية.

صورة كلية.

المبحث الثالث: وسائل تشكيل الصورة

تجسيم - تشخيص - تراسل الحواس - رمز.

المبحث الأول

مفهوم الصورة الشعرية

تعتبر الصورة الشعرية سمة بارزة في العمل الأدبي ومكونا مهما في بنائه^(١)، والصورة في اللغة: المصور من أسماء الله الحسنى، وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها، وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته^(٢).

وقد استحوذ مفهوم الصورة على اهتمام الفلاسفة منذ القدم، كما عالج نقدنا القديم قضية الصورة الفنية معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية، فاهتم بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية وتمييز أنواعها وأنماطها المجازية، وركز على دراسة الصور الشعرية عند الشعراء، ونبه إلى الإثارة اللافتة التي تحدثها الصورة في المتلقي، وتحدث عن الصلة بين الصورة والشعر باعتبارها إحدى خصائصه النوعية التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية، وقد اعتبر الجاحظ "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير"^(٣) فالصورة إذن حسب نظرية النظم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصياغة، وهي تشكيل لغوي يُكوِّنُها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، لأن أغلب الصور مستمدّة من الحواس على جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وقد أطلق عليه القدامى مصطلح الخيال، فالخيال مرادف للصورة: "الخيال هو القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس"^(٤)، وهي "تعبّر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيله، وقد لا تسعفه الألفاظ في اللغة العادية، فيرى نفسه مدفوعا بثورة خيالية إلى تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله

(١) محمد العدناني شاعرًا، يوسف شحدة الكحلوت، رسالة ماجستير، إشراف د: بشير عباس بشير، (السودان - جامعة أم درمان ١٩٨٧)، ص: ٣٢٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة صور.

(٣) الحيوان، الجاحظ: عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، د. ط (مكتبة الخانجي - القاهرة - د. ت) ج ٣، ص: ١٣٢.

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ط ٣ (المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٢)، ص: ١٣.

المبدع ليعبر عن رؤية خاصة به^(١)، وهي أيضًا "صيغة جزئية ينسجها العقل ليخزن فيها تمثيل الذات لشذرة من شذرات الموضوع، ومنسوجة صغيرة يودعها انفعال الداخل أمام الخارج"^(٢).

أما في العصر الحديث فقد توسّع مفهوم الصورة في العصر الحديث إلى حد أنه أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تَعَوَّدنا على دراسته ضمن علم البيان و البديع و المعاني و العروض والقافية والسرد وغيرها من وسائل التعبير الفنيّ "فالصورة في الأدب هي الصوغ اللساني المخصوص، الذي بواسطته يجري تمثّل المعاني، تمثلاً جديداً ومبتكراً، بما يحيلها إلى صور مرئية معبرة"^(٣).

وقد عرفها عبد القادر القط: "الشكل الفني الذي تتّخذهُ الألفاظ و العبارات يَنْظِمُها الشاعر في سياق بياني خاص لِيُعَبِّرَ عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس و غيرها من وسائل التعبير الفني... والألفاظ و العبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يَصُوغُ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية"^(٤)، فلم يعد مفهوم الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ضيقاً أو قاصراً على الجانب البلاغي فقط بل اتسع مفهومها، و امتد إلى الجانب الشعوري الوجداني غير أن مصطلح الصورة الشعرية لم يُستعمل بهذا المعنى إلا حديثاً، فقد كانت تطلق مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، فيقول مصطفى ناصف: "إن لفظ الاستعارة إذا أُحسن إدراكه قد يكون أَهْدَى من لفظ الصورة"^(٥)، ويُعَقَّب الأستاذ أحمد علي دهمان على تعريف الدكتور مصطفى ناصف للصورة قائلاً: "أنه قَصَرَ الدلالة على الاستعمال المجازي، مع أن كثيراً من الصور لا نصيب للمجاز فيها، وهي مع ذلك صور رائعة، خِصبة الخيال، ثَرَّة العاطفة، وتدل على قدرة الأديب على الخلق أيضاً"^(٦).

(١) الصورة الفنية في شعر دعل بن علي الخزاعي، علي إبراهيم أبو زيد، ط١ (القاهرة- دار المعارف ١٩٨٧)، ص: ٢٤١.

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ط٣ (الجزائر- دار الحقائق ١٩٨٣)، ص: ٢٩٨.

(٣) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى موسى صالح، ط١ (المركز الثقافي العربي- بيروت ١٩٩٤)، ص: ٣.

(٤) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، ط٢ (دار النهضة العربية- بيروت ١٩٨١)، ص: ٣٩١.

(٥) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ط٣ (دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٣)، ص: ٥.

(٦) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، أحمد علي دهمان، ط٢ (القاهرة- العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠٠)، ص: ٢٦٩ - ٢٧٠.

أما الدكتور نعيم اليافي فقد عرفها بأنها: "واسطة الشعر وجوهره، وكل قصيدة من القصائد وحدة كاملة، تَنَتَّظُ في داخلها وحدات متعددة هي لَبَنَات بنائها العام، وكل لَبَنَة من هذه اللبانات تشكّل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه"^(١)، الصورة هي السبيل لتشكيل المادة وصوغها شأنها في ذلك شأن غيرها من الصناعات، وقد عرفها عز الدين إسماعيل بأنها "تركيبية وجدانية تنتمي إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"^(٢)، فالصورة الشعرية تفاعل بين عمليتين إدراكية ولغوية ينتهي إلى تطابق جزئي أو كلي بينهما في النسيج التصويري.

بعد هذه التعريفات دعونا نتساءل عن وظيفة الصورة وأهميتها:

"الصورة في الشعر ليست إلا تعبيراً عن حالة نفسية معينة، يعانيتها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه في الحياة"^(٣) فالصورة إذن عبارة عن كم من الشحنات الانفعالية التي يقوم الشاعر بتفريغها عبر اللغة مكوناً العمل الفني، وهي "أداة تعبيرية تزيينية من تركيب الذهن والمعادلات التشبيهية التي يقوم بها العقل بين المحسوسات"^(٤) وقد تتربط الصور الفنية وتتحد داخل العمل الفني معطية بذلك قيمة إضافية له من خلال ما تبعته في المتلقي من إحساس بالمتعة والمشاركة الوجدانية، وقد تتجاوز الصور أو تتشابه لكن يبقى لكل منها تأثيره، فأى صورة داخل العمل الفني إنما تحل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤدي الصورة الأخرى المجاورة لها، كما أن للصورة الشعرية أهميتها في إحداث الانتباه والتأثير للمتلقي، يقول الدكتور جابر عصفور في ذلك: "وتتمثل أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به....، وبهذه الطريقة تفرض الصورة على المتلقي نوعاً من الانتباه واليقظة، ذلك أنها تبطل إيقاع التقائه بالمعنى، وتنحرف به إلى إشارات فرعية غير مباشرة....، وعلى قدر الجهد المبذول في هذه العملية، وعلى قدر قيمة المعنى الذي يتوصل إليه المتلقي، وتتاسبه مع ما بذل فيه من جهد لتحديد المتعة الذهنية التي يستشعرها المتلقي، وتحدد بالتالي قيمة الصورة الفنية وأهميتها"^(٥)، فالصورة الفنية هي خلاصة تجارب وخبرات وانفعالات الشاعر إزاء موقف ما يصبه في قالب اللغة محدثاً بذلك المتعة والمشاركة للمتلقي، والصورة الشعرية تزداد تألقاً وتأثيراً كلما كانت أكثر خفاءً وتشابكاً وتعددًا، فالصورة الشعرية بوتقة تتصهر فيها الرؤى والأفكار والمدرجات الحسية فتشكل

(١) مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٢)، ص ٣٩-٤٠.

(٢) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ط ٣ (دار الفكر - بيروت ١٩٩١)، ص: ١٢٧.

(٣) قضايا النقد الأدبي المعاصر، محمد زكي العشماوي، ط ١ (مصر- دار النهضة العربية ١٩٧٩)، ص: ١٠٨-١٠٩.

(٤) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، ط ١ (بيروت- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٢)، ص: ٤٣.

(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ص: ٣٢٧-٣٢٨.

بنى تصويرية متتابعة ينظم الشعور علاقاتها الجديدة فالنص الشعري عبارة عن "غابة من التشكيلات الدلالية والرموز الإيحائية، وإن الألفاظ وهي مرتبطة بسياقها ومتضامة في نسقها النحوي تتكاثف إحياءاتها في مزن لا وعي المبدع ثم تنهمر على تربة القارئ فتفتح فيها براعم المعاني"^(١).

ولا يخفى ارتباط التشكيل اللغوي وما يحمل من إحياءات بالمعاناة التي يحس بها الشاعر أثناء عملية الخلق الفني "والشاعر لا يقصد من وراء تقديمه الحسي لأشكال الواقع أن يقدم انعكاسا له وإنما هي رموز وإحياءات تتجمع في بؤرة وعي المتلقي وحسه وتنداح في ذاكرته حتى تتقاطع شفرات النص في نقطة انفعالية هي محور الإحساس بقيمته الجمالية وآثاره المعنوية"^(٢).

فالصورة الشعرية هي الجوهر الذي يميز بين اللغة الشعرية واللغة الموضوعية وهي التي تفجر اللغة من الداخل "وتقطع الخط المستقيم الذي يخطه الكلام العادي بين المرسل والمرسل إليه ويضطرب بالتالي المفهوم المعجمي للغة"^(٣)، وقد قسمها بعض الباحثين إلى نوعين: الصورة النقلية، وتكون "مهمة الشاعر في مثل هذا الوصف أن يلتقط وجه الشبه الحسي بين أمرين مختلفين فيصور الأشياء جامدة ومتحركة في إطارها المكاني والزمني"^(٤)، والصورة الرؤيوية وهي التي يتخطى بها الشاعر "حدود الرؤية المباشرة إلى أفق كلي رؤيوي يسجل فيه بالصورة والرمز خلاصة موقف موحد من جزئيات المشاهدة والأحاسيس التفصيلية والمشاعر الآنية المحددة"^(٥).

والصورة في المنظور الإسلامي: هي "المعين الذي يصب فيه الشاعر فكره وإحساسه ومشاعره تجاه الناس والكون والحياة، دون التهويم في عالم الخيال اللامعقول، ودون استخدام الرمز المغرق والمبالغة المجافية للواقع؛ لذا تأتي الصورة معبرة عن الواقع البشري أو الكوني أو الحياتي مستخدمة اللغة الجميلة والخيال المعتدل والمبالغة المعقولة؛ لتخدم بذلك الغرض الذي وجدت من أجله"^(٦).

(١) التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، الدكتور عبد الخالق محمد العف، ص: ٤٦.

(٢) السابق، ص: ٤٧.

(٣) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، ط١ (دار الفكر اللبناني - بيروت ١٩٨٦)، ص: ٣١.

(٤) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، ص: ٢٣.

(٥) السابق، ص: ٢٤.

(٦) الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، يوسف شحدة الكحلوت، رسالة دكتوراة، إشراف د: عباس محبوب، السودان ١٩٩٩م، ص: ٤٦٣.

المبحث الثاني أنماط الصورة

تعد الصورة الفنية عنصراً أصيلاً في البناء الشعري؛ لأنها من الوسائل الهامة في نقل رسالة الشعر، وهي مؤثر فني له دوره في إكساب الشعر دلالات بعيدة، والشعر في الاتجاه الإسلامي غني بالمتأثرات الفنية ذات الدلالات المختلفة، وقد اهتم النقاد بها وقسموها إلى صور جزئية وصور كلية.

أولاً: الصورة الجزئية:

وهي أصغر جزء تعبيرية في كيان القصيدة، حيث تبنى عن طريق تبادل المدركات الحسية، وهي الصورة المفردة أيضاً، وهي عبارة عن ومضة حسية تسطع في وجدان الشاعر فيحيل الألفاظ من ألفاظ مجردة إلى ألفاظ مشحونة بالتوتر، ناتجة عن عاطفة متقدة، وهي تشبه إلى حد ما اللقطة الفوتوغرافية التي تختزل بداخلها كماً هائلاً من المعلومات، وهي أيضاً خلاصة تجارب الشاعر، ويمكننا القول بأن الصورة لها مكونات ثلاثة وهي التجربة والفكرة والإيحاء، فتلمع الصورة وتتكون في الوجدان، ويتم من خلالها استنطاق الجماد، وتحويل القبح إلى جمال، في ثوب لغوي مكتنز بالإيحاء، والصورة الجيدة هي التي تعبر عن تجارب الشاعر تعبيراً صادقاً نابعاً من وجدانه، إلى جانب تعبيرها عن الواقع وترجمته إلى صور حية ناطقة، فالشاعر جزء من المجتمع يتفاعل معه ويتأثر به ويستمد تجربته من الواقع الذي يعيش فيه، ولهذه المكونات أثر كبير في تكوين وتلوين الصورة الشعرية، وتبنى الصورة الجزئية أو المفردة عن طريق تبادل المدركات الحسية "ويتم بناء الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات أو صفات الماديات للمعنويات أو صفات المعنويات للماديات بالتجسيد أو التشخيص أو التجريد، وتبادل الحواس أو تبادل المحسوسات البصرية والسمعية والشمية"^(١).

الشاعر أحمد الصديق نشأ وترى في بيئة محافظة، وكان فرداً من أسرة ملتزمة متدينة مما جعل لشعره طابعاً خاصاً يتميز به، وبرزت الصور الشعرية المستمدة من عقيدة صادقة وشعور مرهف، ويمكن دراسة الصورة الجزئية في شعره من خلال، تسليط الضوء على التشبيه والاستعارة والكناية كأمثلة لرصد التوجه الإسلامي في صورته.

التشبيه:

التشبيه لغة: الشَّبه والشَّبه والتشبيه: المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء ماثله^(٢).

(١) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ٩١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة شبه.

التشبيه اصطلاحًا: علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال^(١)، وهو "بيان أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"^(٢)، وقد عرفه الجاحظ بقوله "إن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه فمن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة"^(٣)، حيث "يعتبر التشبيه من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة"^(٤)، وللتشبيه أركان أربعة هي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه "والتشابه أن يتساوى الطرفان المشبه والمشبه به في جهة التشبيه، فيترك التشبيه إلى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبهًا ومشبهًا به تقاديا من ترجيح أحد المتساويين"^(٥)، وهو من الصور الشعرية التي تسعى إلى خلق علاقة جديدة بين شيئين مختلفين علي سبيل كشف بعض الغموض في إحداهما "التشبيه صورة شعرية، والنظر إليه يكون من خلال مفهومها، فهو يقرب بين حقيقتين مختلفتين، فلا ينظر إليه فقط من خلال طبيعة كل حقيقة، إذا كانت مجردة أو حسية، وإنما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها، ومع وقع هذا الجمع داخل السياق العام، وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة بين طرفي التشبيه أن تولد من إحياءات ومدلولات"^(٦)، كما عرفه الخطيب القزويني بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"^(٧)، واعتبر أن "البليغ من التشبيه البعيد لغرابته"^(٨)، وشرطه اشتراك الشئيين أو الحقيقتين في بعض الصفات حيث تتم "إحداث علاقات جديدة بين شيئين يشتركان في بعض الأمور والصفات ويختلفان في البعض الآخر"^(٩)، وهذا ما وضعه قدامة بن جعفر "لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشئيين إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحدًا، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معاني تعمهما، ويوصفان بها وافترق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتهما"^(١٠).

-
- (١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ص: ١٧٢.
 - (٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، د.ط(دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٤)، ص: ٦٢.
 - (٣) الحيوان، الجاحظ، ج ٤، ص: ٣٧٣.
 - (٤) نقد النثر، قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، د.ط(القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣)، ص: ٤٩.
 - (٥) مفتاح العلوم، السكاكي، ص: ١٦٤.
 - (٦) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، ص: ١١٥.
 - (٧) الإيضاح، الخطيب القزويني، تحقيق: نعيم زرزور، ط١(دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥)، ص: ٢١٧.
 - (٨) السابق، ص: ٢٦٤.
 - (٩) محمد العدناني شاعرًا، يوسف الكحلوت، ص: ٣٢٣.
 - (١٠) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: ١٢٤.

استمد الشاعر تشبيهاته من فيض القرآن الكريم فجاءت تشبيهاته صريحة واضحة^(١):

أَيُّ نَجْوَى مَعْسُولَةِ الْأَلْحَانِ أَلْهَبْتُ خَاطِرِي وَهَزَّتْ كِيَانِي
تِلْكَ آيُ الْكِتَابِ تَنْسَابُ نُورًا فِي حَنَايَا الضُّلُوعِ وَالْوَجْدَانِ
أَشْرَقَتْ بِالْهُدَى عَلَى الْكَوْنِ طَرًّا أَيْقَظْتَنَا مِنْ غَفْلَةٍ وَهَوَانِ

فَآيَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَدَعْوَتِهِ كَالْمَاءِ الرِّقَاقِ الْمُنْسَابِ بِكُلِّ سَهْوَةٍ وَيَسْرٍ، يَشْرَبُ مِنْهُ الظَّمَانُ فَتَرْتَوِي الْأَبْدَانُ، وَتَبْتَلُ الْعُرُوقُ مِنْ فَيْضِ عَطَائِهِ، وَلَا غَنَى لِلْإِنْسَانِ عَنْهُ فَهُوَ يَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ مِنَ الْإِنْسَانِ، يَنْبِرُ طَرِيقَهُ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.
وَفِي تَشْبِيهِهِ آخَرٍ يَشْبَهُ هَوَانَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمَقْدَسَاتِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِهَوَانِ الثَّوْبِ الرَّثِ فَلَا قِيَمَةَ لَهُ، وَهُوَ يَشْبَهُ هَوَانَ الْقُدْسِ فِي نَفُوسِ الْعَرَبِ بِهَوَانِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ، فَإِذَا كَانَ قَدْ ضَعُفَتْ فِيهِمُ الْحُمِيَّةُ الدِّينِيَّةُ فَإِنَّ حُبَّ الْقُدْسِ قَدْ وَهِنَ فِي قُلُوبِهِمْ فَيَقُولُ^(٢):

هَانَتْ الْقُدْسُ عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا رَثَّ حَبْلُ الدِّينِ وَانْبَتَّ الدُّمَامُ

صورة جزئية أخرى تعتمد على التشبيه تصور الوعود الكاذبة بالعودة بنسج العنكبوت في ضعفه وهوانه مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَيَبُتَّ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فيقول في وصف ذلك^(٤):

وَحْدَهُ عَرَى الْأَكَاذِيبِ الَّتِي نُسَجَّتْ مِنْهُنَّ أَوْهَامُ الْوَعُودِ

كما برزت الصور الشعرية التي تعكس الحياة الفلسطينية ب أشكالها كافة فهذه صورة الملثم تستهوي الشاعر فيشبهها بالشمس في السطوع والإشراق والتشبيه ليس تشبيها حقيقيا فوجه الملثم ملفع بسواد اللثام ولكنه يخفي وراءه أملا ونورا ساطعا كنور الشمس لا يستطيع أحد إخفاءه، ويزاوج بين التشبيه والكناية والصور البصرية والسمعية، فالسبب في إشراق الوجه القلب المشتعل بنار الثأر للوطن الجريح، وهو تعبير يوحى بالحيوية والحركة والعمل الدؤوب لتحرير الأوطان^(٥):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٧.

(٢) السابق، ص: ٣١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٤) هكذا يقول الحجر، ص: ١٨.

(٥) هكذا يقول الحجر، ص: ١٥.

والوجه المثلث ساطع كالشمس والموقد في الأحشاء مضم

ما فتى الشاعر يبيت نداء الجهاد فتحرير الوطن همه الأول والأخير، ويشبه صيحة الجهاد في علوها بالبحر في عنفوانه وهديره فيقول^(١):

كرامة الأجداد وحرمة الأمجاد
وصيحة الجهاد
كالهادر الصخاب تدعوك يا شباب

والتشبيه أضاف قيمة جديدة للجهاد، فحين يشبهه بالبحر الهادر يجعله يموج بالحياة والحيوية، ويضفي عليه من معاني القوة. ومن جميل تشبيهات الشاعر قوله^(٢):

وجهك المصبوغ بالنرجس والعطر وألوان الربيع
والهوى المغروس جمرًا في الضلوع
سوف لا يخبو وإن طال ابتعادي

شبه الهوى بالجمر في حرارته وانتقاده، فالشوق إلى الوطن مغروس بين الضلوع يلتهب كالجمر لشدته.

أضفت التشبيهات في شعر أحمد الصديق وضوحاً وجمالاً للصورة حينما وضعت المشبهات في علائق جديدة مع المشبهات بها فولدت تزاوجاً بينهما، وبذلك جعلت شعره يموج بالحركة والحياة ويمور في وجدان المتلقي للبحث عن سر جمال هذه المتزاوجات، كما كان للصورة الجزئية المعتمدة على التشبيه دور في إبراز التوجه الإسلامي في شعر الصديق.

(١) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٣١.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٢٦.

الاستعارة:

للاستعارة دور في تشكيل الصور الفنية والبلاغية عند الشاعر، والاستعارة في اللغة: مأخوذ من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه^(١)، أما في الاصطلاح: فقد عرفها القزويني بقوله "الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له"^(٢)، وهي من أوائل الفنون التي عني بها القدماء، حيث اعتبروها ضرباً من المجاز، وبينها ابن المعتز بقوله "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها"^(٣)، وقال ثعلب: هي "أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه"^(٤)، في حين بين قيمتها الجمالية الجرجاني بقوله: "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ... وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعهما يستحق وصف البراعة... فإنك لترى بها الجمال حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً. والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليلة"^(٥)، وقد فرق ابن مالك بين الصور الاستعارية والصور التشبيهية فقال: هي "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به مع سد طريق التشبيه ونصب القرينة، ولهذا سميت استعارة"^(٦)، فالاستعارة إذن هي إضفاء صفات حسية للموصوف على سبيل التخيل، وهي "خروج عن المألوف وتحطيم للمعيار، وهي بذلك لغة ضد اللغة... فالشاعر ثائر على اللغة وأداته هي الصورة الشعرية، لذلك فهو يسعى إلى تحرير اللغة من قيودها المعجمية، والوصول بها إلى عالم السحر والجمال"^(٧)، والشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بأنواعها شتى لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد من المحسوسات، بل الحقيقة يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيمه الشعرية"^(٨)، وللاستعارة أهميتها في استكشاف المقصد من وراء وضع الكلمات في علائق متشابهة، تبرز إيحائيتها ودلالاتها "فالصورة تستكشف شيئاً بمساعدة شيء آخر، فالمهم فيها هو ذلك الاستكشاف ذاته، أي معرفة غير المعروف لا المزيد من معرفة المعروف"^(٩).

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة عور.

(٢) الإيضاح، الخطيب القزويني، ص: ٢٧٨. وينظر معجم الاصطلاحات البلاغية، ص: ٨٥.

(٣) البديع، ابن المعتز، د، ط (طبعة كراتشوفسكي ١٩٣٥)، ص: ٢.

(٤) قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف ثعلب، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، د، ط (القاهرة ١٩٤٨م)، ص: ٤٧.

(٥) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا د. ط (دار إحياء العلوم - بيروت ١٩٩٢)، ص: ١٦٨.

(٦) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، د. ط (القاهرة ١٤٤١هـ)، ص: ٦١.

(٧) الصورة الفنية في شعر درويش، عاطف أبو حمادة، د. ط (الاتحاد العام للمراكز الثقافية - غزة ١٩٩٨)، ص: ١٤٧.

(٨) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص: ١٣٢.

(٩) السابق، ص: ١٣٤.

كما أن للاستعارة قيمة فنية كبيرة تتمثل في إضفاء سمات جمالية على العمل الفني تجعله مقرباً للأذهان، تستسيغه الأسماع، وتستطيب حسنه الألسنة.

ظهرت الاستعارة في معظم دواوين الشاعر أحمد الصديق، مما يدل على حسه المرفه وغزارة علمه، ولو تتبعناها لأصبحت عبئاً على البحث، لكن تكتفي الباحثة بذكر بعض منها، فالهلال يبكي لهول المصيبة التي حلت بديار الإسلام، والصخرة تعاني كمن تعاني آلام المخاض^(١):

وتصدعت مما تعاني صخرة وبكى الهلال وزلزلت أسوار

والرياح عقلت فلا تلد ولا تأتي بخير^(٢):

والريخ العقيم تهب من أرض الصقيع

والباطل يكشر عن أنيابه حقداً، ويبث حممه ونيرانه على بلاد الإسلام^(٣):

كشّر الباطل عن أنيابه حمى الإسلام في البلوى يضام

ويضفي على الموقد صفات حسية، فقد أصابه الأرق، وشجيرة الزيتون مطرقة، في انتظار أن يكسر حاجز الصمت والخوف، والبيت الذي شرد أهله يسأل الله أن يعود أصحابه وقد تجلت هذه المعاني بقوله^(٤):

الموقد الوسنان سهد

طول النوى والصمت والوجل

وشجيرة الزيتون مطرقة

والمقعد المهجور يبتهل

وحين يشبه التقوى بشروق الشمس ويحذف المشبه به ويستعير صفة لازمة له وهو فعل الشروق يكون قد وضع التقوى في صورة استعارية تبين فائدة التقوى حين تشرق في نفوس الضعفاء فتحيلهم من حالة اليأس إلى الأمل والحياة فيقول^(٥):

والتقى تشرق أرواحنا وينجلي من فجرنا المبسم

جاءت استعارات الشاعر مشحونة بعاطفة جياشة ثائرة على الواقع المرير، يغلب عليها طابع التوتر والقلق، الناجم عن ضياع البلاد والمقدسات، لكن الشاعر لا يلبث أن يعطي بريقاً للأمل حين يشرق التقى في نفوس المسلمين، ويهبوا لنجدة مقدساتهم، وطرد المحتل الغاصب، فمزال حزنه متلفعاً بريق الأمل، والفجر لا بد وأن يتسم يوماً ما للمكومين، واستعارات الشاعر أضفت صفات جديدة على الموصوفات حين وضعها في علاقة المشابهة بغيرها، وجعلتها حية ناطقة مفصحة عن

(١) نداء الحق، ص: ٢٢٧.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠٧.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٢٨.

(٤) السابق، ص: ٦٤.

(٥) السابق، ص: ٣٨.

المشاعر والأحاسيس الدفينة في أعماقه، كما أن الصور الاستعارية وضحت المعاني وعملت على تقوية المعاني فالشاعر يسبح في عالم الخيال ليشكل لنا صوره الاستعارية المعبرة.

الكناية:

الكناية صورة جزئية قائمة على الجمع بين الأمرين فتريد الآخر مع جواز إرادة معني الأول فيهما والكناية في اللغة: من "أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، يعني إذا تكلم بغيره، وتكنى تستر من كنى عنه إذا ورى أو من الكنية"^(١)، أما في الاصطلاح فهي: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك"^(٢)، وقال القزويني: "الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"^(٣)، وهي من العناصر التشكيلية المهمة التي توسل بها الشعراء في تصويرهم الشعري، وهي كما عرفها ابن الأثير "كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز ... والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره"^(٤)، وعرفه الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيوحي به إليه، ويجعله دليلاً عليه"^(٥)، وإن كانت الكناية "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي"^(٦) فهي صورة "تقدم لنا رمزاً لا تلغي دلالاته الحافة دلالاته المرجعية"^(٧)، وقد وظف الشاعر كنايات متعددة ذات دلالات متباينة، وكانت عبارة عن صور متنافرة تجمع بين المتضادين في آن واحد، مما يعرف بالصورة المتنافرة "وهي صورة تقوم على أساس من التناظر بين عناصرها، الأمر الذي يدخل هذه البنية بسبب اختلاف هذه العناصر اختلافاً يبلغ الدرجة القصوى في ميدان الإغراب"^(٨)

نجد هذه الصورة وغيرها في شعر أحمد الصديق حين جمع بين الألفاظ: "عائراً - كايياً وطائراً" ومعروف أن الطائر يحلق في السماء ويرمز به إلى التحرر والانطلاق فكيف به عائراً بين الأشواك،

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة كنى.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي، ص: ١٨٩.

(٣) الإيضاح، الخطيب القزويني، ص: ٣١٨.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن أبي المكرم بن الأثير الجزري) تحقيق: كامل محمد عويضة، ط ١ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٩٨م) ٢، ص: ١٧٢.

(٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: ٦٧.

(٦) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص: ٢٠١.

(٧) بنية الصورة في شعر أبي تمام، فهد عكام، دار التراث العربي، عدد ١١-١٢، نيسان - تموز ١٩٨٣، ص: ٢٥٨.

(٨) السابق.

ملوثا بالغبار مكبلا بالقيود، فالشاعر يعاني من بعض الاضطرابات في تحديد هوية الجيل القادم الذي يحمل هم الأمة وقدرته على تحقيق الهدف المنشود^(١):

يا عاثراً ودربه الأشواك والصخور

يا كابياً مغفراً الجبين

يا طائراً مكبلاً في زحمة الرياح

وفيه كناية عن الجيل المؤمن الذي يحمل هم الأمة الإسلامية على عاتقه ويحاول جهده إصلاح حالها لكنه يصطدم بالواقع فدربه صعب تحفه المخاطر وتحيط به الأشواك، واستخدام صيغة المفرد: عاثراً -كابياً -طائراً، للدلالة على قلة هذا العنصر بالمقارنة مع غيره. أفرغ الشاعر حزنه وبؤسه بعد الهزيمة النكراء التي مُني بها العرب أمام عدوهم، فقد خاضوا جولاتٍ عدة، كانت الهزيمة نتيجتها^(٢):

روجوها وهي أحلام عقام

ودهاننا البؤس والسقام

جفنها أطياف ذلٍ وانهمام

سقطت كلُّ الشعارات التي

ما جنينا غير أشواك الردى

أينما وجهت عيناً قرحت

والصورة هنا تتمثل في مشوارِ الفلسطينيِّ الطَّويلِ، المُكلَّلِ بأكاليلِ الشَّقَاءِ والغربةِ والضَّياعِ، منذُ النُّكبةِ إلى اليومِ، وخاصَّةً في المخيماتِ والمطاراتِ بلا أرض ولا وطن، والوطنُ يَشْتاقُ إليه، لكنَّهُ مُحَرَّمٌ عليه، كنايةً عن أنَّ الفلسطينيَّ لم يَشْهَدْ نكبةً كهذه النكبة، ولا مدلَّةً كذلك التي يُواجهها في مخيماتِ النِّيهِ والغربةِ والضَّياعِ واللَّجوءِ، ومنه أيضاً^(٣):

ونبَّشتُ في الأعماقِ

في جذوعِ الحروفِ

نقوشنا ممحوةٌ وهويتي

ضاعتْ ملامحها التليدة

حيث يسعى الشاعر لاستنطاق الحروف والنقوش والبحث في أعماقها عن معالم الحياة والهوية الفلسطينية الضائعة في المنافي، وجعل للحروف جذوعاً كجذوع الشجرة، ولكن المفارقة أن الشجرة تؤتي أكلها بينما الحروف هنا عقيمة، حتى النقوش القديمة المحفورة في الصخر ممحوة، ويبحث

(١) قادمون مع الفجر، ص: ١٧.

(٢) السابق، ص: ٣٣.

(٣) جراح وكلمات، ص: ١٠٦.

الشاعر بين الحروف عن ذاته وكيانه الذي يتمثل بوجود الوطن في كناية عن حالة الضياع التي يعاني منها الفلسطيني المشرّد بين البلدان.

لكنه لا يلبث يزرع الأمل، فلا بد وأن يأتي الربيع ويعم الخصب بعد الجذب، في كناية عن بزوغ جيل مؤمن قادر على حمل الرسالة^(١):

يا ربيع الصحراء يا موسم الخصب و يا فوح جنة الرضوان

فهو حين يبني هذه الصورة المفعمّة بالحيوية والصدق، يعبر فيها عن كل ما يعتل بداخله و ذلك عن طريق التقابل الإيحائي المؤثر في "ربيع وصحراء".

وقال مؤكّداً على ما سبق مع استعمال الفعل الماضي الذي يفيد حدوث الفعل، فهو يؤكد على ميلاد هذا الجيل^(٢):

وتفتقت خُضرُ البراعم في الضحى وتألقت شهباً بكل مكان

والصورة هنا ناتجة من عمق إحساس الشاعر بأن الجيل القادم سيكون جيل الصحوة واستعمل التعبير بالضحى في كناية عن قرب ميلاده.

جاءت الصورة الكنائية عند الشاعر نابضة بالحياة ومفعمة بالأمل بعد اليأس في إشارة منه ببزوغ جيل يحمل هم دينه ووطنه، حريص على نشر الفضيلة بين البشر.

ثانياً: الصورة الكلية:

وهي التي تنشأ من ترابط الصور الجزئية داخل العمل الفني بحيث يظهر العمل الفني كلوحة فنية متكاملة، هي الصورة "التي تتكون من مجموع الجزئيات المترابطة والتي تمثل في النهاية القصيدة"^(٣)، وتنتج من تزاوج الصور الجزئية وتلاحمها، وبمعنى آخر تلاحم اللفظ مع المعنى، والذي هو نتاج تجربة، وعلى هذا الأساس فالقصيدة ربما تكون مكونة من مقطوعات ووكل مقطوعة تمثل صورة جزئية، وبالتالي مجموع هذه المقطوعات أو الجزئيات يمثل الصورة الكلية، فالصور الجزئية تنوب في جسد النص لإظهار الصور الكلية، تقول نازك الملائكة في هذا السياق "تتابع الصور يجعل القصيدة كأمواج البحر يمحو بعضها البعض"^(٤)، وينبغي أن تكون "الصورة نابعة من أرضية صلبة، تكونت من خلالها تجربة أفرزها الواقع، فيستطيع الشاعر نقل هذه التجربة عن طريق جزئيات متصلة بعضها

(١) قادمون مع الفجر، ص: ١١.

(٢) السابق، ص: ٦٩.

(٣) الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، يحيى زكريا الاغا ط١ (دار الحكمة للنشر والتوزيع - غزة ١٩٩٨)، ص: ١٠٥.

(٤) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط٦ (دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١) ص: ١٨٣.

البعض لتتكون في النهاية الصورة الكلية^(١)، فالصورة تسمو بالعمل الأدبي كلما كانت صادقة مترابطة ناقلة للتجربة الناضجة في أصالة وعمق، وقد تكون الصورة متمثلة في قصيدة بأكملها أحيانا، وقد تكون في مقطع قصير مكتنز بالانفعالات والصور الجزئية أحيانا أخرى وسوف نعرض بعض النماذج في كلا الحالتين.

وقد رسم الشاعر أحمد الصديق صورة للجنة والنعيم الدائم فيها، وصور حال المؤمنين في غرفاتها وبين أنهارها يتنعمون بخيراتها، ويتمنون دوام النعيم لهم ولإخوانهم^(٢):

وموعدنا غداة غدٍ قريبٍ	سيطلع فجره الزاهي جميلا
ويبعثنا لننزل في ديارٍ	مطهرة نظل بها حلولا
نرى فيها الفرديس العوالي	وفي الغرفات نتخذ المقيلا
ونغترف اللذائذ طيباتٍ	ونفرح بالنعيم فلن يزولا
ونسرح حيث شئنا في جنانٍ	تمد رواقها ظلًا ظليلا
وتشملنا بخيرات حسانٍ	تطالعنا فتبهرنا عقولا
ونعجب من صنيع الله فيها	ونذكر فضله الجمّ الجزيلا

هذا ما أعد الله لعباده المخلصين مصداقاً لقوله ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

ثم ينتقل لوصف الحور العين انطلاقاً من قوله تعالى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾^(٤) فيقول^(٥):

هناك الحور عطرة الثنايا	تريك الجيد والخذ الأسيلا
يلوح النور في القسمات غضا	فريد الحسن قد عدم المثيلا
إذا نظرت إليك أصبت منها	بما يحيي ولا يردي قتيلا
أتتك وأنت في لهف إليها تثني	القد والخصر النحيلا
وتُصفي ودّها ملكا حلّالا	إليك وعنك لا ترضى بديلا

(١) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص: ١٤٣.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٤١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

(٥) قادمون مع الفجر، ص: ٤٣.

فوصف الحور العين أيما وصف، وجعل منها مبتغى المتقين الزاهدين، ويصف الكرم الإلهي غير المتناهي حيث النظر إلى وجهه الكريم^(١):

وننظر في جمال الله إماً
وتجلى وجهه الهادي جليلاً
ونبلغ في السعادة منتهاها
فليس عطاء رحمته قليلاً

ويستمر في إظهار سعادة الإنسان ورضاه بمصيره في الجنة لعظيم ما يرى من نعيم فهي صورة مترابطة الأجزاء تحكي قصة أهل الجنة، صبرهم، والتحاقهم بركب العابدين الزاهدين في الحياة الدنيا، وحصولهم على ما يتمنونه في الجنة.

كما رسم الشاعر صورة حية متكاملة الجوانب حين صور مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبداية نزول الوحي، وصور حال الناس قبل الإسلام وبعده وفرحتهم بقدوم البشري والهداية لهذه الأمة، و صور معاداة صناديد قريش للدعوة منذ بدايتها^(٢):

ولد اليوم يا تبارك ربّي	ولد اليوم صفوة الأكوان
ولد النور اصدحي يا لهاة	البید تيه بالسيد العدناني
وافرحي بالهدي العميم كما	تفرح بالغيث مهجة الظمان
هو ذا خاتم النبيين يستقبل	الوحي بشيراً بخاتم الأديان
وسرت بعد دعوة التوحيد	في الآفاق تدعو للواحد الديان
وإذا المشركون بركان حقد	يتلظى بالحرب والعدوان
وإذا السماء تبرق والآيات	تتلى والحق في عنفوان

ويصور الخير العميم ووحدة المسلمين في ظل دولة الإسلام، وتهاوي دويلات الكفر والفساد، وسعادة المسلمين بانتشار الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة^(٣):

شع فجر الإسلام فلتشرق الدنيا	بنور اليقين والعرفان
وسرت في الدما تعاليمه السمحة	حتى استنار كل جنان
لو تراهم بنعمة الله إخوانا	يقيمون دولة القرآن
لو تراهم في وحدة لا تجارى	جمعتهم وشيعة الرحمن
بُعِثت أمة التحرر فلتغرب عن	الأرض صولة التيجان
أين كسرى؟ وأين قيصر؟ مالت	وتهاوت معاقل الطغيان

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٤٢.

(٢) السابق، ص: ٤٢.

(٣) السابق، ص: ١٢.

فالإسلام دين التوحيد الذي جاء ليعم الكون بتعاليمه السمحة، وأخلاقه الكريمة التي ما إن يتمثلها أبناؤه حتى ترى وحدة الدين في أبهى صورها، فما يجمعهم هو صدق العقيدة، وحب العمل على تنفيذ تعاليمه.

ينتقل بعد ذلك إلى وصف مصدر التشريع الإسلامي - القرآن الكريم - رسالة محمد التي جاء بها إلى الناس كافة، والنور الذي جاء بين طياته فيذكر إعجازه، وشموله لكل ما يخص الإنسان، كما أكد على حفظه من التحريف والضياع مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) قائلاً^(٢):

قل لمن شاء أن يشرع مهلاً	ها هو النور مورد الظمان
يغرف العالمون من بحره الثر	فيربو على مرور الزمان
هو في جدة على الدهر لا تبالي	شفاء القلوب والأذهان
يتحدى الفناء رغم العوادي	ورياح السموم والأضغان
قمة فوق ما يبلغ الفكر	وفوق التصور الإنساني
معجز أذهل العبارة الأفاذ	من كل ملّة أو لسان
أحكم الله نسجه فتسامى	شامخاً في كماله الرباني
فيه حل لكل ما يشغل الدنيا	سواء وفيه فصل البيان

يظهر من خلال مطولة الشاعر التي زادت على السبع وثمانين بيتاً أنه رسم صورة كلية لبداية ظهور الدعوة وانتشارها، وسيادة العنصر الإسلامي دون غيره، كما صور العلاقات الحميمة التي تجمع المسلمين في ظلال القرآن وأفقه الرحيب، فيما يشبه البناء القصصي فكلا الصورتين السابقتين تشبه إلى حد ما قصة مصاغة شعرياً.

وهذه صورة على قدر من الإيجاز والتكثيف، ترسم صورة التجبر و التكبر في ملكوت الله، وتوضح مصير المتكبرين حين يتخطفهم الله بعذابه، والصورة عبارة عن قصة من قصص القرآن، فالألفاظ بإيحائيتها مستمدة من القرآن الكريم: استوى - واستقر - تعاطى وعقر - إحدى الكبر، وقد استوحى الشاعر قصة فرعون حين أعلن رفضه لرسالة سيدنا موسى عليه السلام وقال: أنا ريكم

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ١٥.

الأعلى، وقصة صاحب الناقة حين أظهر تزميره من قضاء الله وقتل الناقة، فكان مصيرهما العذاب الشديد^(١):

واستوى فرعونُ في أعلى مكانٍ واستقرَّ
كلُّ شيءٍ طوعُ أمري قالها ثم اشمخرُ
أين من خالف نهجي، أين من قيدي المفرُ
ومضى في نشوة الأوهام مافونُ الفكرُ
حسبَ الشعبِ ذلولاً فتعاطى وعقرُ
وأتى فيما أتى من كبره إحدى الكُبرِ
لحظةً وانطلقت كالشهب زخاتُ الشررِ
بهتَ الناسُ وقد باغتهم سهمُ القدرِ
وتهاوى الصنمُ العالي حطاماً واندثرُ

استخدم الشاعر مفردات الواقع الفلسطيني المرير في رسم صورة هجرة الفلسطينيين من ديارهم قسراً، فهاجس الهجرة والبعد عن الوطن ما زال يؤرق الشاعر، بعدما كانت الهجرة كالحلم يسعى إليها للتخلص من عذابات الاحتلال، يبحث عن سبلها، يحاول بثتى الوسائل رسم البسمة على شفاه الأهل والأحباب^(٢):

لابدً من طريق
ولاح في جدارِ الليل في فضائه البعيد
بريقُ نجمٍ تائهٍ شريدٍ يدعوكَ للرحيل
وكنْتَ في مواقدِ الشتاء
تقلبُ الرمادَ في دُهل
تقولُ يا سماء
ويصعدُ الدعاءُ في تهدجٍ ضعيف

وحين يلوح بريق الأمل في الفضاء يحاول جاهداً استغلال الفرصة وشد العزم على الرحيل^(٣):

وفجأة تنقشعُ الغيوم
وتضحكُ السماء والنجوم

(١) الإيمان والتحدى، ص: ٩٦ - ٩٧.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ١٨.

(٣) السابق، ص: ١٩.

فتجمعُ المتاعَ والثيابُ
حقائبًا تفوحُ بالوعدِ
وتمطرُ الورودُ
في بيتك المصدع العتيقُ
وأنت كالغريقُ

حيث تكشف الصورة عن تفاؤل الشاعر في المستقبل القادم، تفاؤلا نابعا من عقيدة المسلم الذي لا يجعل لليأس مكانا، فبعد الغيوم والظلام الذي تسببه، تظهر النجوم وتضيء السماء، ولكن هذا التفاؤل لم يدم طويلا فسرعان ما خبا بسبب المتاعب التي واجهها، والشعور بالضيق والغربة، والوعد الكاذبة في تحقيق العودة^(١):

ويرشخُ الغبارُ والعرق
ملحًا يسيلُ في مضاجع الأرق..
ولا مفر
تركضُ الرياحُ في لحاقي
تلتفُ قبضةً على خناقي
وغربةُ الضياع في دوامة القلق
تبحثُ عن جزائر
خضراء في منى عواثر
شراؤها الرغيف... ضمادة الملح على الجراح

لقد جسد الشاعر مأساة البعد عن الوطن وهي صورة تكشف عن عمق ارتباطه بوطنه الذي رحل عنه قصرا في سن مبكرة إلى لبنان، ومن حينها لم يذق للاستقرار معنى، صورة قائمة على الجمع بين المتضادين، الأمل والرجاء بأن يحقق الله الأمن والأمان في أي مكان عله ينسيه مأساته، زاده في رحلته رغيف خبز وحفنة ملح يتزود بها ويضمدها بها جراحه، لكن الأمل يرافقه ندم حين تسيطر الأشواق عليه وتجعله رهين الذكرى المؤلمة ولحظة الفراق^(٢):

تراك ما تزال تذكرُ
يا أيها المسافر الغريب
تلويحة الأيدي ورفّة المنديل في المطار

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٢١.

(٢) السابق، ص: ٢٠.

أواه ما أقسى الوداع ساعة الفراق
لا الطيفُ يغني لا ولا رسائلُ الأشواق

في غربة الديار

وقد كان الشاعر موفقا في بناء هذه الصورة المعبرة في صدق عن آلامه وآهاته تجاه وطنه المنكوب فتجد المعاني محفوفة بالآلام معبرة بأصدق تعبير عن حالته وتجربته الشعرية.

وتأتي صورة كلية من تضافر الصور الجزئية وترابطها ببعضها مما يولد صورة ذات بعد إيحائي واسع فترسم صورة الفلسطيني المشرّد عن أرضه ووطنه في ومضة شعورية صادقة موظفا ألفاظ قليلة موحية^(١):

وتهتفُ الأشواقُ والعيونُ كالنجوم مطرقة
يا دارُ كوني سلوةً الغريبِ في القفار
وليغتسلْ في شاطئيكِ الطينُ والحجر
والغرف المغلقة لتتفتحْ كيما تطيرُ في السحر

فالأشواق تتادي بأعلى الصوت، والنجوم تطرق حزنا على الغريب الذي لم يجد له مأوى غير التحاف الطين حينما أغلقت في وجهه كل الأبواب.

صورة كلية أخرى رسمها الشاعر ببراعة وتأتي من تلاحم عدة صور جزئية كالاستعارات في الخوف حاجز، والأخطار تعانق، والردى يتجهّم، والتشبيه في: أنت مغروس كالشجرة بأرض التين والزيتون، وشوكة في حلق بني صهيون، والكناية في يا أبا الإسلام والنور، وألفاظ الصورة مستمدة من القرآن الكريم: "ناراً، سعيراً، زلزلاً، والتين والزيتون"، حيث توضح الصورة صورة الفلسطيني المقاوم الذي يركب الأخطار ولا يبالي، فيشمخ كالأسد العملاق منتشياً بما حققه من رعب لبني صهيون، وتأتي هذه الصورة للدلالة على عمق التجربة وصدق الشعور^(٢):

حاجزُ الخوفِ تهدّم
فتقدّم يا أبا الإسلام والنورِ تقدّم
فجر الأرض على الباغين ناراً وسعيراً
واملاً الدنيا زئيراً
فارسُ الميدان أنت اليوم فاضربْ وتقحمْ

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٢١.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ١٣.

عائق الأخطار لا تخش الردى مهما تجهم
أنت مغروس بأرض التين والزيتون عملاقاً كبيراً
شوكة في حلق صهيون وزلزلاً خطيراً

صورة أخرى توضح التخاذل العربي تجاه فلسطين، فالفلسطيني وحده في الميدان، وقيادات الثورة تتاجر بدماء الشعوب والأوطان، والزعامات العربية في سكرها ومجونها ومؤتمراتها لا تلبى حاجة الأمة، وحين يصبح الفلسطيني مصدراً لزعزعة عروشهم، ويرفض الإذعان لقراراتهم الهوجاء، يصبح مصيره السجن أو القتل، في استذكار لقصة سيدنا يوسف مع زوجة عزيز مصر^(١):

أنت في الميدان وحدك
في ظلام السجن وحدك
بسلاح الحق والإيمان فاقدح يا أبا الإسلام زندك
ليس من حولك إلا الصمت والتهريج فاعلم
والوجه المستعارة
ليس إلا اللهو واللغو وصيحات مثارة
وذئاب تنهش الأوطان والعرض وقد تطلب رأسك
حينما ترهب بأسك!

يلاحظ في شعر أحمد الصديق أنه تكثر الصور الجزئية في الشعر المنظوم، التي تسعى لإضفاء طابع جمالي لشعره، بينما نجده في الشعر الحر قد يعبر عن دفقة شعورية، وشحنات من العواطف الملتهبة في صور كلية، كما نلاحظ الترابط العضوي بين الصور الجزئية حيث منح الصورة الكلية ترابطاً فكرياً ووجدانياً وتعبيرياً، وبالتالي اتضحت معالم الصورة، ومعظم الصور إيحائية ناقلة للتأثير نقلاً مؤثراً، وهي تجمع بين الحسية الخارجية، والنفسية الكامنة في الأعماق.

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ١٤ - ١٥.

المبحث الثالث

وسائل تشكيل الصورة

لاشك في أن النص الشعري يركز في حقيقته على عملية الانحراف اللغوي كوسيلة فنية وتعبيرية للارتقاء بمستواه الفني، والابتعاد عن المباشرة والسطحية، لذلك يسمو النص الأدبي بشعريته كلما أمعن صاحبه في عملية الانحراف اللغوي، وكثف من المثيرات الأسلوبية التي تحفز بدورها الناقد، ليتتبعها ويمحصها ويقف على حقيقة دورها في إنتاج الدلالة، وتعتبر أدوات تشكيل الصور من الأسرار الجمالية التي تبرز الصورة وتجعلها حية ناطقة، ويمكننا دراسة هذه الأدوات في شعر أحمد الصيق من خلال الحديث عن: التشخيص - التجسيم - تراسل الحواس - الرمز.

أولاً: التشخيص:

التشخيص هو إضفاء صفات حيوية للمادي أو المعنوي وجعله كالإنسان يسمع ويبصر ويتكلم، يحزن ويفرح، يحيا ويموت، وتخرج بذلك من قالبها الجامد إلى قالب حي متفاعل متحرك، وهو "إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله"^(١).

برع الشاعر في توظيف التشخيص، حين صور الجوع والتشرد الذي يفتك بالمسلمين في أفريقيا، فالريح قد هبت لتنادي، والأرض أيضاً تنادي فلا يرتد الصدى، ولا مغيث، ولا من يلبي النداء، والموت يحيط بالضحايا من كل جانب، فهو يزحف مسرعاً فاتحاً ذراعيه ليتخطفهم، كما أجاد حين استخدم الجنس الناقص في لهة -لهات وواضح ما في الكلمتين من بذل للجهد كي يصل الصوت إلى سامعيه، وظهر التأثر بالقرآن الكريم في عذاباً رصداً، ففيه توظيف للآية من سورة الجن ﴿وَأَنَا

كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدِ اللَّسْمِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾^(٢) فيقول^(٣):

أين من يسمع أناتِ الردى؟ والضحايا صرعاً أو شرداً

ولهاتُ الريح تعوي حرقاً ولهاتُ الأرض مبحوحُ الصدى

المنايا زاحفاتٌ شرعاً قد تغشَّتْهم عذاباً رصداً

وحين يحشد مجموعة أخرى من أشكال التشخيص فها هو يجعل للأمة والشمس وجهاً، بينما القمر يبيت شكواه وأحزانه^(٤):

منذا يسدد سير أمتنا؟ منذا ويشرق وجهها النضر؟

(١) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ١٢٥.

(٢) سورة الجن، الآية: ٩.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٨٩.

(٤) السابق، ص: ٦١.

أَيُّظِلْ وَجْهَ الشَّمْسِ مِنْكَسِفًا؟ وَيُظِلُّ يَشْكُو خُسْفَهُ الْقَمَرِ؟

وهي صورة تكشف عن قلق بالغ أثار هذا التساؤل في نفس الشاعر فأين طلائع التحرير التي ستعيد للأمة مجدها وعزتها وكرامتها، ويسدد سيرها على منهاج النبوة وخطى الرسول صلى الله عليه وسلم، أم أننا سنظل نرجو ونشكو واقعنا، ولا نعمل على تغييره، فالشاعر هنا يبصر لنا ببرقية هامة تتضمن قاعدة ربانية متمثلة في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

وحين يصور الكفر بصورة حسية فهو كالمتغطرس الجبان، والزمان يشيب من هول ما رأى من جرائم و تخاذل وانجرار وراء المبادئ المهترئة^(٢):

الكفر مهزول المبادئ وهو رعديد جبان
شهد الزمان من الجرائم ما يشيب له الزمان
غاراتهم نزع وكل حروبهم فشل مدان

وفيه تشخيص للكفر بأنه إنسان ضعيف جبان ليس لديه إرادة خيرة فاشل في حروبه لأنها قائمة على الكذب والخداع.

وفي هذا المقطع يجعل الدنيا تنتشد الأناشيد تعبيراً عن الفرحة، والفجر يضحك ويتقدم للأمام كإنسان يحمل بين جنباته هدفاً يسعى لتحقيقه، وهو بذلك يضيف على الصحو صفات إنسانية^(٣):

يا فجر صحوتنا الذي نتوسم
بجمال مطلعك الدنى تترنم
إنني أراك وأنت تسفر ضاحكاً
خلف الغيوم إلى الذرى تتقدم

التشخيص في الحجر الذي يلبي النداء كالإنسان، ثم يزأر كالأسد وفيه تجسيد للحجر وإضفاء صفات خارجية تمنحه قوة وتظهر قدرته على تحقيق المراد^(٤):

ليس إلا الحجر الصلد الذي وحده لبي نداءات الصمود
وحده يزأر في وجه العدى وحده في ساحة الأقصى يذود
فهو كالإنسان في الإرادة والأسد في القوة والشجاعة.

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) ملحمة الشيشان، ص: ٣٧.

(٣) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٣.

(٤) هكذا يقول الحجر، ص: ١٨.

ثانياً: التجسيم:

وهو نوع من الصورة الجزئية التي يستخدمها الشاعر لإبراز صورته، وذلك عن طريق تجسيم المعنويات التي لا تدرك بالحواس إلى مدركات حسية، فهو "ملح فني يعني إبراز المعنوي الذي لا يدرك بحاسة من الحواس الخمس في صورة حسية"^(١)، وتكمن أهمية التجسيم في إضفاء الحيوية على المعنويات والتفاعل فيما بينها لتعطينا صوراً متحركة نابضة بالحياة والإيحاء، على ألا تخرج عن الغرض التي وضعت له فتصبح حشواً لا فائدة منه، "أي أنه منحه جسماً يدرك بالحواس، مما يضيف لوناً من الحيوية والواقعية على المعاني، ويمنحها نوعاً من الحراك والتفاعل بين النص والمتلقي، وإذا خرجت الصورة عما وضعت له أو إذا حشد الشاعر هذه المدركات لمجرد فقدت الصورة قدرتها على الحيوية والفاعلية والوضوح"^(٢)، وهو خلاصة المزج بين الشعاعية والفنية لدى منتج النص، "فهى لا تقدم لنا الصورة رغبةً في استحضار صورتها وهيئتها الشكلية وإنما تقدمها بعد أن ارتبطت بمعنى نفسي خاص يعيد خلقها وتشكيلها بما يرسيه من علائق متفردة تخلق وعياً فنياً وخبرة مميزة"^(٣)، فالشاعر حين يصور الفضائل بصورة حسية، فيجسمها في صورة البناء الشامخ الذي يتعرض للهدم من قبل أصحابه، وفيه تصوير لحالة الظلم التي تعاني منها الأمة العربية في ظل الاحتلال والحكومات العربية التي تعمل على نشر الظلم والاستعباد بين العباد لتحقيق مصالح شخصية^(٤):

سبعون عاماً بعضها يفضي لبعض كالسلاسل

قد أجموا الأفواه والأفكار بل هدموا الفضائل

تركنا مناجلهم رقاب الأبرياء بلا سنايل

ومن أشكال التجسيم التي سكب فيها الشاعر عبراته^(٥):

وكأنني في بحر نورك طيف هائم الشوق واكف العبرات

(١) جابر قميحة، التصوير البياني، رابطة أدباء الشام: 2007 - 08 - 11

(٢) الأدب الفلسطيني المعاصر، كمال غنيم، ط٤ (أكاديمية الإبداع، فلسطين ٢٠١٢)، ص: ٢٥.

(٣) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ٨٦ - ٨٧.

(٤) ملحمة الشيشان، ص: ٢٦.

(٥) جراح وكلمات، ص: ١٠.

فجعل النور كالبحر في صورة حسية مفعمة بالحيوية، وأضفي على النور الصفات المادية والإيحائية، وهذا يدل على أن الشاعر يعاني من تموجات نفسية، سببه الشوق والحزن، فمن الصفاء والسكينة التي يوحى بها النور إلى التلاطم والهيجان الذي يوحى به البحر.

ونرصد له صورة أخرى^(١):

يا صخرة بيت المقدس، يا قلباً ينبض بالإيمان
تلتفت عليك صدورُ الشجعان
بالحبِّ بعهدِ الله بكلِ البذلِ بنورِ القرآن
درعاً يحميك من العدوان
تستنزلُ صيحاتُ التكبيرِ ملائكةَ الرحمن
تخضرُ شفاهُ الجرحِ النازفِ كالْبستانِ
ومنازُ العزةِ للأبرارِ
يتلألُ فيه سنا الإقدامِ وتلمعُ آياتُ الإصرارِ
النهرُ الدافقُ يزخرُ بالأسرارِ

يتكئ الشاعر في هذه الصورة على تقانات عدة منها التشبيه في تشبيه الصخرة بالقلب، ومزج بين اللونين الأحمر والأخضر، ويشخص النهر فيجعله يخبئ الكثير من الأسرار في داخله، في حين يظهر التجسيم حين جعل الحب درعاً، والإقدام يتلأل كالنور وهو بذلك يخرجها من طابعها المعنوي ويضفي عليها صفات حسية مما جعل الصورة تنبض بالحركة والحيوية.

ثالثاً: تراسل الحواس:

وهو من الأدوات الفنية التي يوظفها الشاعر لإبراز القيم الجمالية لشعره، وهو عبارة عن "وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطي المسموعات ألواناً، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة"^(٢)، وفيها تبني الصورة على علاقات أوسع من التشابه الظاهري بين شيئين، فهي تنتقل بالصورة إلى مستوى اللوحات الفنية النابضة بالحياة والحركة، العامرة بالألوان والظلال، وحين يوظف الشاعر تراسل الحواس يكون قد أضفى سمة جمالية أخرى للنص الشعري "وبذلك فإن تراسل الحواس يعطي الفرصة في استئثار حاستين أو أكثر من خلال ذكر حاسة

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٢٦.

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٤١٨.

واحدة، مما يثري اللغة وينميها لفظاً ومعنى؛ لأنه يعني ضمناً نقل مفردات حاسة إلى أخرى، وبذلك تنتوع أساليب التعبير عن الحاسة الواحدة^(١).

انظر إليه وهو يسوق لنا صورة أشبه بلوحة رسام مبدع، فالآيات تتفتح وتنتشر عبيرها في الكون الفسيح الذي ينصت لصوتها متعجباً مما يسمع، بينما الأرض تنتسم هذا العبير والفجر يقف منتشياً، فقد جعل للآيات رائحة ولون كلون الأزهار، وأضفى على مظاهر الكون سمات إنسانية فجعل الأرض تشم والكون يسمع^(٢):

تتفتح الآيات كالأزهار ذاكية نواصع
محراؤها في صمته نشوان مبهور المسامع
والأرض تعبق بالشذا والأفق سحري المطالع

وحين يستخدم فعل الشروق للضحكة، ويجعل للرحمة ظل يستظل به كل محتاج، يكون قد أضفى عليها صفات حسية أخرى، ووضعها في علائق جديدة، توحى بمكنونات نفسه الشاعرة، فجعل الرحمة تدرك بالبصر كالظل، والضحكة تبعث الدفء وتهب الحياة فتدرك بالإحساس، والأمني لها لون ذهبي كلون الشمس، والحب يدرك بالحواس حين يعقد كالحبل المتين فيوصل ما كان منه منقطعاً، فأى صورة أسمى وأرق من ذلك^(٣):

أشرقت في وجنتيه ضحكة
إنما الرحمة ظل وارف
تتسامى فيه حباً عُقدت
ففي سناها تزدهي شمس الأمانى
يشمل الأرواح في طهر الحنان
طرفيه بالتراضي مهجتان

وظف الشاعر تقانة ترسل الحواس، فأضفى على المحسوسات صفات جديدة نابعة من خلال وضعها في سياقات جديدة جعلت شعره يفيض بالجمال.

لقد اتسمت الصورة عند أحمد الصديق متمثلة بالتشخيص والتجسيم وتراسل الحواس بغنصر الحياة الذي يضمن لها البقاء والاستمرار، فبعض الصور مستمد من فيض القرآن، وبعضها الآخر نابع من القضية الفلسطينية حيث اتكأ الشاعر على أحداثها لتصوير حالة الغليان التي تعصف بكل إنسان فلسطيني غيور على دينه ووطنه، فالشاعر يسمو بالصورة من مدركات الحواس إلى فضاءات أرحب وأوضح، فيرسم لوحات فنية جزئية أو كلية حية ومعبرة.

(١) أحمد فتحي رمضان، بلاغة تراسل الحواس في القرآن الكريم، ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب،

http://ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=463

(٢) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ١٩.

(٣) السابق، ص: ٤٠.

رابعاً: الرمز:

من الثقافات التي استعملها الشاعر، تقانة الرمز كوسيلة إيحائية، حيث يختبئ وراءه لإخراج المتلقي من قوقعة النظام المألوف للغة المباشرة، إلى جانب إثراء القصيدة بالدلالات وشحنها بالمعاني الرمزية، والرمز في اللغة "تصويت خفي باللسان كالهمس، وهو كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ وأي شيء أشرت إليه"^(١)، ومن المعروف أن "اللغة منظومة رمزية إشارية"^(٢)، قال ابن وهب: "وأما الرمز فهو ما أخفي من الكلام، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفشاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو للحرف اسماً من أسماء الطيور والوحش أو سائر الأجناس"^(٣)، والرمز حسب المفهوم الواسع له عبارة عن "تركيبية وجدانية تنتمي إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"^(٤)، أما الرمزيون فقد عرفوه بأنه "الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن الجوانب المستترة الداخلية في النفس، وإضاءة عتمتها بالكشف التعبيري الذي لا تقوى عليه اللغة في دلالتها الوضعية"^(٥)، فالرمز "أكثر امتلاءً وأبلغ تأثيراً من الحقيقة الواقعة، فهو مائل في الخرافات والأساطير والحكايات والنكات وكل المأثور الشعبي"^(٦)، ويعتبر الرمز جزءاً لا يتجزأ من الصورة الشعرية، فانتماؤه إلى عالم الوجدان يدخله ضمن التصوير الحسي والمعنوي، "وحيث تحمل الصورة البعد الإيحائي ويتفتح فيها أكثر من وجه وبعد، يقوى عنصر الترميز فيها، ولا نهمل أن خروج تشكيل الصورة من القشرة الحسية أو الأبعاد المغلقة ومجاورتها إلى دلالاتها الشعورية أو النفسية أدى إلى التقريب بين الرمز والصورة وترادف مفهوميهما"^(٧)، وهذا ما أكدّه محمد فتوح أحمد حين ربط بين الصورة والرمز في حديثه عن الصورة "كلاً من الصورة والرمز يعتمد على التشابه بين الصورة وما تمثله، والرمز وما يوحي به، ولكن بينما تظل الصورة على قدر من الكثافة الحسية، يبلغ الرمز درجة عالية من الذاتية والتجريد يصبح معها طبيعة منقطعة، مستقلة بحد ذاتها وليس من علاقة بينه وبين الشيء المادي إلا النتائج"^(٨)، فالصورة تتدرج من الإيحاء المباشر إلى الترميز الذي يجعل دلالتها أقوى

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة رمز.

(٢) الصورة الفنية في شعر محمود درويش، عاطف أبو حمادة، د ط(الاتحاد العام للمراكز الثقافية - غزة ١٩٩٨) ص: ١٤٤.

(٣) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحق بن إبراهيم بن سلمان بن وهب، تحقيق: أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، د، ط(بغداد ١٩٦٧)، ص: ١٣٧.

(٤) الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل، ص: ١٢٧.

(٥) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ٤٦ - ٤٧.

(٦) الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل، ص: ١٣٨.

(٧) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ٣٩.

(٨) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، ط٢(القاهرة ١٩٧٨)، ص: ١٤٠.

وأكثر تأثيراً من ذي قبل، وكان لهذا التدرج أسبابه التي جعلته مسوغاً ومقبولاً داخل العمل الفني ثم تحولت الصورة إلى الرمز شيئاً فشيئاً، وارتبط هذا التحول بتغيرات طرأت على طبيعة الشعر الحديث ذاته، واختلاف التقويم النقدي له^(١)، وتكمن أهمية الرمز في تكثيف ظاهرة الغموض وبالتالي إضفاء مساحة جمالية على القصيدة، فالرمز "يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص... وهو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء"^(٢).

وقد أكثر الشاعر من استعمال الرمز، فرمز إلى الانتفاضة وصحوة الضمائر التي أمضت أربع عقود من الخمول والسكوت عن الحق المسلوب، بالمارد الذي يتمرّد على القمقم ويخرج منه معلناً أنه لا عودة إليه مرة ثانية^(٣):

صحوة المارد الذي نام حيناً بعثت في ثورة وجماح

كما رمز بالمرافئ الصغيرة لكل جيل مسلم يواجه إعصاراً متمثلاً بمستعمر سافر عن وجهه وحقيقته ظاهرة، أو خفي يسعى للسيطرة على العقول من خلال ما يبثه من أفكار وشعارات زائفة، يهدف من خلالها إلى نشر الفساد وتدمير البلاد، والرمز هنا يتركز من البداية للنهاية، فالجزيرة رمز للوطن العربي الذي تحيط به الأخطار من كل جانب^(٤):

تحصّني أيّتها المرافئ الصغيرة

بكلّ ما لديك من متانة الحصون والأسوار

ولتحذري فسوف لا يرحمك الإعصار

تقدّفه شواطئ البحار

وربما يلوّث العقول والأفكار

وربما يقتلّع الجزيرة وينشر الدمار

وهو هنا يرسم صورة كلية حين يوجه نداءه للأجيال الصاعدة التي ما زالت تبحث عن القيم العليا لتتمثلها، ويحذرها من المراحل القادمة، ويرسم صورة الخطر المحدق بهم من تلويث للفكر والعقول كي تأخذ حذرهما.

(١) الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى صالح، ص: ٣٨.

(٢) زمن الشعر، أدونيس. ط٢ (دار العودة - بيروت ١٩٧٨)، ص: ١٦٠.

(٣) نداء الحق، ص: ٢٢٧.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ٤٩.

يرمز الشاعر للعدو اليهودي بهولاكو التتار، فالمطمع واحد والهدف واحد وهو طمس الهوية الإسلامية وإن اختلفت الأزمان والأسماء وأدوات القتال^(١):

زحفت خيلُ التتار

عادَ هولاكو ليجتاح الديار

أين من نادى قلبته الأعاصيرُ الشديدة

أين من سجّل في سفرِ البطولاتِ الكبار

عينَ جالوتٍ جديدة

كما رمز له في موضع آخر بالقرصان الذي يقطع البحار ناشراً الظلم والاستبداد وقاطعاً الطريق لسبيل السلام والأمان^(٢):

لأتيتُ امتشقُ الصواعقَ معلناً سحقَ الدجى ونهايةَ القرصان

زواج الشاعر بين دلالات الألوان فلون الدم الأحمر القاني كلون الشفاه ولون الزنبق الأخضر يصنع منه الشاعر وردة الأمل والحب والتفاؤل فالأحمر يرمز إلى الحب والأخضر إلى الخصب وإذا اجتمع الحب والخصب كانت الحياة الوردية المليئة بالتفاؤل، والفجر الزاهي يولد بعد ليلٍ حالك، والحياة توجد بعد موت وذبول^(٣):

ففي شفاهِ الجرح لا تزالُ

أغنيةُ انتظارٍ

مشبوبةُ الإيقاعِ والوترِ

وغصنُ زنبقٍ ذوى يهفو إلى اخضرار

تخلص الباحثة إلى أن الصورة عند أحمد الصديق -جزئية أو كلية- نابعة من خيال الشاعر الذي يفوق الإحساس، لأن الصورة إن لم تكن كذلك فستكون عديمة اللون والطعم والرائحة، وبالتالي لا تكون مصدرًا للجمال الفني والموضوعي، كما أننا لا نشعر باضطراب بين الأفكار والعواطف مما أضفى على الصورة جمالاً، وعندما استعمل الشاعر الأدوات البلاغية القديمة زاد الصورة عمقاً وجمالاً وحيوية، كما وظف الشاعر صور عقلية قوية مستمدة من صدق الإيمان وصدق النظرة الإنسانية نابعة من تأمل عميق للأحوال والمصائر، ففي التشخيص منح الحياة الإنسانية إلى ما ليس بحي، ومنح صفات الأشخاص للجماذ، وفي التجسيم جعل المعنويات تدرك بالحواس، واختزل

(١) نداء الحق، ص: ٢١٥.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٦٨.

(٣) السابق، ص: ٢٢.

في الرموز حكايا وقصصاً معبرة، بينما وضع الحواس في علاقات جديدة، فالنص الشعري بخروجه عما هو مألوف يظل مثيلاً للقارئ ومتحدياً له في الوقت نفسه، وهو ما ينعكس على مستوى التناول والقدرة على الوصول إلى كنهه، وفك مغاليقه، والدخول إلى دهاليزه المعتمدة.

الفصل الخامس

الموسيقى في شعر أحمد الصديق

المبحث الأول: مفهوم الموسيقى الشعرية.

المبحث الثاني: الموسيقى الخارجية: نظام الإيقاع الخليلي - نظام إيقاع التفعيلة.

المبحث الثالث: الموسيقى الداخلية: التقطيع الصوتي - التكرار - المحسنات البديعية.

المبحث الأول

مفهوم الموسيقى الشعرية

الموسيقى هي إحدى المقومات الفنية الضرورية للشعر، وقد اهتم النقاد بالموسيقى وجعلوها مكوناً مهماً من المكونات الجوهرية التي لا يكون الشعر شعراً بدونها، "فالموسيقى جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه، والموسيقى تنبعث من وحدة الدوافع في الجملة، على حسب الشعور الذي يعبر عنه، وتطابق الشعور مع الموسيقى المعبرة عنه هو ما يؤلف وحدة القصيدة كلها... فوحدة الإيقاع في تغير -في نفس التجربة الشعرية- على حسب ما يكمن فيها من قوى تعبيرية تكشف عن خلجات النفس"^(١)، وقد عرف الموسيقى إبراهيم أنيس بقوله: " فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاماً موسيقياً تتفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب"^(٢)، وجعله أحد مقومات الجمال في الشعر "وللشعر نواح عدة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر"^(٣)، وللموسيقى قيمة فنية تنشأ من جودة الصياغة وحسن اختيار الكلمات، وتقبل الأسماع للقافية مع صدق الشعور "والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجباً وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تتسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبؤ إحدى حلقاتها عن مقابيس الأخرى، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات معينة نسميها القافية"^(٤)، ويجمع النقاد على أن "تذوق الموسيقى جزء من طبيعة الإنسان وفطرته، كما أنه جزء من مكتسباته البيئية، وقد ساعدت الموسيقى على إثارة الانتباه، وساعد الانتباه على استدعاء الفهم والقدرة على الاستيعاب"^(٥) والموسيقى في الشعر تتبع من خلال ترابط الألفاظ وائتلاف المعاني، بحيث ترسخ في الأذان نغماً موسيقياً منشأه وحدة الشعور وصدق العاطفة، مما يجعل المتلقي ينسجم، وتتولد لديه الرغبة في معرفة واستكناه إيحائية النغم الموسيقي، وهذا يمنحها سمات جمالية خاصة، وللموسيقى مظاهر خارجية تتمثل في الوزن والقافية، ومظاهر داخلية متمثلة في استخدام المحسنات البديعية وحسن التقسيم و التقطيع الصوتي للكلمات والتكرار، وقد جعل النقاد الوزن معيار الشعر فالموزون منه شعراً وما جاء منه على غير وزن فهو نثر، فابن رشيق القيرواني يعتبر "الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولها خصوصية وهو

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٤٧٢ - ٤٧٣.

(٢) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، د.ط(بيروت- دار القلم د.ت)، ص: ١٥.

(٣) السابق، ص: ٦ - ٧.

(٤) السابق، ص: ١١.

(٥) فصول في الشعر ونقده، شوقي ضيف، ط٢(دار المعارف - القاهرة) ، ص: ٣٢٠.

مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة^(١)، أما الجاحظ فيقول "العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة"^(٢)، في حين عرف ابن سنان الشعر بأنه "كلام موزون مقفى يدل على معنى"^(٣)، والوزن مرتبط بالإيقاع وهو يعد ركناً أساسياً من أركان القصيدة يقول صاحب سر الفصاحة "فالفرق بين الشعر والنثر بالوزن على كل حال وبالتقفية إن لم يكن المنثور مسجوعاً على طريق القوافي الشعرية، والوزن هو التآليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض"^(٤)، كما اعتبروا القافية مكملاً نغمياً يزيد الشعر حلاوة ويمنحه سحراً، وهذا يولد انسجاماً خاصاً، وعدم وجودها يجعل الشعر أبتراً، تمجه الآذان، "والقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت، وتكرارها يزيد في وحدة النغم، ولدراستها في دلالتها أهمية عظيمة، فكلماتها في الشعر الجيد - ذات معان متصلة بموضوع القصيدة -، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية، بل تكون هي المجلوبة من أجله"^(٥)، والقافية كما عرفها الخليل "هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري وهي إما بعض كلمة أو كلمة وبعض أخرى أو كلمتان"^(٦) وعلم القافية هو "علم يعرف أواخر الأبيات الشعرية من حيث ما يعرض لها من حركة وسكون ولزوم وحوار وفصيح وقبيح، لذا فهو علم يبحث في حروف القافية حركاتها وما يجب لها من لوازم وما يعرض لها من عيوب"^(٧)، وللقافية وظيفة إيقاعية وموسيقية مازالت تنيرها في نفس القارئ العربي، الذي مازال يؤمن أن الشعر أصله الإنشاد والغناء.

وقد وافق المحدثون القدامى في تعريفهم للشعر و مصادر موسيقاه وجعلوا سر جماله في حسن التقسيم وصدق العاطفة، كما أولوا اهتمامهم للشعر الحر و فرقوا بينه وبين الشعر المنظوم " ليس الشعر هو الكلام الموزون المقفى حسب التعريف العربي القديم، وإنما الشعر هو بيان لعاطفة نفاذة إلى خلف مظاهر الحياة لاستكناه أسرارها والتعبير عنها، فإذا جاء منظوماً فهو شعر منظوم، وإذا جاء منثوراً فهو شعر منثور"^(٨)، وأطلقوا على الشعر الحر عدة مسميات منها الشعر الجديد وشعر التفعيلة وبينوا الفروق بينه وبين الشعر المنظوم " إن الشعر الجديد لم يبلغ الوزن ولا القافية، ولكنه أباح لنفسه - وهذا حق لا مماراة فيه - أن يدخل تعديلاً جوهرياً عليهما لكي يحقق بهما الشاعر من نفسه وذبذبات مشاعره

(١) العمدة، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأردني، ط٤ (بيروت - دار الجيل ١٩٧٢)، ج ١، ص: ١٣٤.

(٢) السابق، ج ٢، ص: ٣١٤.

(٣) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص: ٢٨٦.

(٤) السابق، ص: ٢٨٧.

(٥) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٤٦٩.

(٦) الأصول الفنية لأوزان الشعر العربي: د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف، د. ط (بيروت، دار الجيل،

١٩٩٢ م)، ص ١٢٥.

(٧) السابق.

(٨) موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، د: سيد البحراوي، ط١ (القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦ م)، ص ٩١.

وأعصابه ما لم يكن الإطار القديم يسعف على تحقيقه"^(١)، ويقول الدكتور عبد الله الغدامي في هذا المجال: "إن الشعر الحر يعتمد على التفعيلة الخليلية كأساس عروضي للقصيدة، ويتحرر من البيت العمودي ذي التفعيلات المحددة"^(٢).

فالشعر الحر لا يخضع لقوانين النظم المعروفة من وحدة الوزن والتزام عدد معين من التفعيلات في السطر الشعري، بل هو نمط جديد ثار على النمط التقليدي القديم "شعر التفعيلة ليس وزنًا معينًا أو أوزانًا كما يتوهم الناس، وإنما هو أسلوب في ترتيب تفاعيل الخليل، تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروفة"^(٣)، وقد اعتبرته نازك الملائكة شعرا لوقوعه ضمن بحور الخليل مع الاختلاف في عدد التفعيلات: "فهو شعر لأنه موزون يخضع لعروض الخليل وهو حر لأنه ينوع عدد تفعيلات الحشو في السطر، خالصًا من قيود العدد الثابت في سطر الخليل"^(٤)، والشعر الحر مع عدم التزامه بأوزان الخليل المعروفة إلا أن له نغماً موسيقياً تطرب لسماعه الآذان "أما الشعر المنثور أو الحر فهو الذي لا يلتزم بوزن اصطلاحي ولا قافية، ولكن له مع ذلك نوعاً من إيقاع ووزن خاصين به لا يخلو منهما نثر أدبي رفيع"^(٥).

وقد برر الحداثيون ظهور هذا النوع من الشعر بجملة من الأسباب: منها تجاوز حدود اللغة و التمرد على قيود القافية لإبراز العاطفة المتقدمة التي قد لا يسعف الشعر المنظوم على إبرازها، فالدافع الحقيقي إلى نظم شعر التفعيلة هو الرغبة في استخدام التجربة، مع الحالة النفسية والعاطفية للشاعر، وكذلك لكي يتآلف الإيقاع والنغم مع المشاعر الذاتية، في وحدة موسيقية عضوية واحدة، فالشعر الحر له نغم موسيقي خاص ينشأ من جرس الكلمات واستخدام التفعيلة المناسبة للعاطفة المسيطرة، كما أن التفعيلة وموسيقاها تساعد كثيراً على تمكين ألفاظ الشعر من تعدي عالم الوعي، والوصول إلى العالم الذي يتجاوز حدود الوعي.

إذا ما تتبعنا الموسيقى في شعر أحمد الصديق، نجد للوهلة الأولى أن معظم شعره منظوم وفق بحور الخليل، حيث يسير فيه وفق النمط العمودي، بينما نظم ثلث شعره تقريباً وفق نظام التفعيلة،

(١) الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل، ص: ٦٥.

(٢) الصوت القديم - الجديد، دراسات في الجنور العربية لموسيقى الشعر الحديث، د.عبد الله الغدامي، د.ط(الرياض-مكتبة الملك فهد ١٩٩٩)، ص: ١١.

(٣) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص: ٥٨.

(٤) السابق، ص: ١٨٦.

(٥) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٤٧٤.

وفي إحصائية سريعة على سبيل المثال تبين نسبة الشعر المنظوم إلى المنثور:

اسم الديوان	الشعر المنظوم	الشعر المنثور
الحجر	١٠ قصائد	٧ قصائد
جراح وكلمات	٢١ قصيدة	٥ قصائد
قادمون مع الفجر	٢٢ قصيدة	٦ قصائد

من خلال الإحصائية السابقة يتبين أن الشاعر نظم معظم قصائده وفق النظام الخليلي وهذا يدل على تمسك الشاعر بالنظام القديم للشعر العربي وفق بحور الخليل المعروفة، وقد زلوج الشاعر بين نظام الإيقاع الخليلي ونظام شعر التفعيلة بما يتناسب مع الغرض الشعري والعاطفة المسيطرة، فالشعر المنظوم يكثر وروده حين يتحدث عن القضايا الاجتماعية والدعوية والإصلاحية، التي يحتاج فيها إلى هدوء النفس والتنويع في تفعيلات البحر، بينما في المواضيع الوطنية والثورية يلجأ إلى النظم وفق شعر التفعيلة الذي يلزمه تفعيلة واحدة تتكرر في كل سطر شعري معبرة عن دفقة شعورية محددة.

المبحث الثاني

الموسيقى الخارجية

يعتبر الوزن والقافية من المثيرات الموسيقية الخارجية في نظام الإيقاع الخليلي، بينما تكمن جماليات الموسيقى في شعر التفعيلة في حسن اختيار التفعيلة المناسبة للجو النفسي العام للقصيدة، ولدراسة موسيقى الشعر عند أحمد الصديق لابد أن نقف عند نظامين في شعره: نظام الإيقاع الخليلي ونظام شعر التفعيلة.

أولاً: نظام الإيقاع الخليلي:

وهو الشعر المنظوم الموزون المقفى، وفيه سنعرض لمجموعة من شعره لبيان أثر الأوزان الطويلة والقصيرة في شعره، واستخدام القافية الملائمة للتعبير عن العاطفة المسيطرة، والوزن كما تعرفه نازك الملائكة هو "الشكل الموسيقي الذي يختاره الشاعر لعرض الهيكل"^(١)، حسب تعريف نازك الملائكة فإن الشاعر يختار الوزن المناسب للعاطفة، ولا تأتي أوزانه اعتباطاً، ولا يمكننا الحديث عن تجربة شعرية مالم يتوفر عنصر الوزن.

جاء أغلب شعر الصديق على البحور القصيرة والمجزوءة، وذلك لأنه يعبر عن أحداث متسارعة ومتتابعة لوطنه فلسطين ولأمتة العربية والإسلامية، ومعلوم أن نفسية الشاعر إذا كانت هادئة مستقرة، ينظم قصائده على البحور الممتدة بتفعيلاتها الواسعة زماناً ومكاناً، أما إذا كانت ثائرة مضطربة؛ فإنه يلجأ إلى البحور القصيرة أو المجزوءة؛ لتوافق دقات مشاعره المضطربة والمتسارعة خفة الوزن وضيق مساحة التفعيلة الزماني والمكاني، فالشاعر "في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس به عن حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية"^(٢)، وينطبق هذا على شعر الصديق الذي كان يعبر عن قضايا أمتة الملتهبة بحرارة قلب وغيره متقدة على الأرض والعرض والدين، فحين نقرأ قصيدته بلا جدوى التي يقول فيها^(٣):

(١) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص: ٢٢٤.

(٢) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ١٩٦.

وانظر: ١- بناء القصيدة، يوسف بكار، ص: ١٦٧.

٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، ص: ١٦٦.

٣- فن الشعر، أرسطو، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، د. ط (القاهرة- مكتبة النهضة ١٩٥٣)، ص: ٦٨.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٦٤.

لَمِنْ تِلْكَ الْعَسَاكِرُ وَالسَّلَاحُ	إِذَا لَمْ يَسْتَفْذْ مِنْهَا الْكَفَاحُ
عَلَى أَحْشَائِنَا كَمْ ذَا شَدَدِنَا	حَزَامًا مَا لَهُ عَنْهَا بَرَّاحُ
وَكَمْ ذَا قَدْ تَجَرَّعْنَا عَذَابَا	وَأَرْهَقَ ظَهْرُنَا الْعَبْءُ الرِّزَاحُ
وَذَاكَ لِأَجْلِ أَوْطَانٍ وَدِيْنٍ	فَهَلْ صَدَقُوا بِمَا هَتَفُوا وَصَاحُوا
يَصُولُ الْمَعْتَدُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ	كَأَسْرَابِ الذَّنَابِ لَهَا نُبَاحُ

نجدها على بحر الوافر ذي التفعيلات الموحدة "مفاعلتن" مع القافية المرسلة التي تتيح للشاعر أبعاداً للتنفيس عما بداخله من حرقة القلب، وإظهار الحسرة والأسى على حال المسلمين، وهذا يلزمه النفس السريع المتلاحق، الناجم عن ضربات القلب السريعة، مما يوحي بالقلق والتوتر ويولد انسجاماً موسيقياً مع المتلقي.

وإذا أخذنا مثلاً آخر على البحر السريع ذي التفعيلات المتلاحقة مستعلن مستعلن فاعلن الذي يتناسب مع الجو النفسي للشاعر في قصيدة أين من يسمع^(١):

ناديْتُ.. لَكِنْ أَيْنَ مِنْ يَسْمَعُ؟	جَمِيعُهُمْ فِي نَوْمِهِمْ هَجَّعُ
بُسَّ الرِّجَالِ الْجَوْف.. يَا وَيْحَهُمْ	كَمْ أَهْدَرُوا حَقًّا.. وَكَمْ ضَيَعُوا !
مَا حَرَكْتَهُمْ لِلْوَعَى مَحْنَةً	تَدْمَى لَهَا الْأَحْشَاءُ.. وَالْأَضْعُ
لَا الْقِبْلَةَ الْأُولَى.. وَلَا خُطْبَهَا	وَلَا الْجَرَاحَاتِ.. وَلَا الْأَدْمَعُ

سارع الشاعر من وتيرة النغم الموسيقي الناتج من الشحنة العاطفية الملتهبة بين ضلوعه مع توظيف تقانة الحذف في بعض المواضع، فالموقف عصيب ولا حاجة للتأني والتفصيل، فهو يستتجد بالألى ويستصرخهم، فيجيبه صدى الصوت بأن جميعهم يغطون في النوم العميق ولا مجيب، وتتولد الموسيقى من حسن استخدام الشاعر للبحر المناسب للجو النفسي له.

لنأخذ مثلاً آخر للدلالة على صواب ما ذهبنا إليه على البحر الكامل ذي التفعيلات المتساوية "متفاعلن متفاعلن متفاعلن"^(٢):

مِنْ عَمَقِ هَذَا اللَّيْلِ يَنْبُثُ السَّنَا	وَجَرَاخُنَا فِي الْأَفْقِ تَعْبِقُ سَوْسَنَا
فَاضَتْ مَآسِينَا دَمًا.. وَمَدَامَعًا	لَكُنْهَا تَأْبَى لَهُمْ أَنْ تُدْعَنَا
وَتَطَايَرَتْ عَنَا فَرَاشَاتُ الضَّحَى	فَزَعَا.. وَكَانُوا هُمْ أَذَلُّ وَأَوْهَنَا
صَهَرْتُ عَلَى وَهْجِ اللَّظَى عَزَمَاتِنَا	فَغَدْتُ أَشَدُّ عَرَى وَأَصْفَى مَعْدَنَا

(١) هكذا يقول الحجر، ص: ٤٦.

(٢) جراح وكلمات، ص: ٤٤.

فالهدوء قد عاود الشاعر لبعض الوقت ونلاحظ ذلك حين استخدم الحروف التي توحى بنوع من السكينة، وانبثاق الأمل، العين في عمق والسين في سوسنا، لكنه يعود إلى حالة الغليان حين يجد المآسى تحيط بنا من كل حذب فيستخدم الحروف ذات الوقع الشديد: الطاء في تطايرت والصاد في صهرت والطاء في لظى، ليعبر بصدق عن حالة الثورة الداخلية التي تعصف به ويشرك المتلقي في تجربته الشعرية لكن حين يلزم التعبير عن الأحداث العادية التي تمر بالأمة كالمناسبات السعيدة، العيد مثلاً، يظهر الهدوء النفسي للشاعر من خلال الموسيقى المنبعثة من جرس الكلمات والحروف في قصيدة قالوا هو العيد^(١):

قالوا هو العيدُ قد هَلَّتْ بِشائِرُهُ وأشرقَتْ كالسَّنا الهادي شعائِرُهُ
فقلتُ مرحى يَدُ الإسلامِ تجمعنا فيه وتربطنا حباً أوأصرُهُ
يمتدُّ جسراً من الأفراح متصلاً كالروضِ فاحتْ على الدنيا أزاهرُهُ

استخدم الشاعر الحروف الهادئة التي توحى بالفرح والطمأنينة: الهاء في "هلت-الهادي"، وفي قافية كل بيت والشين في "بشائره-أشرق-شعائره"، الذي يتفشى الهواء وينتشر معه في الفم باعثاً على الراحة النفسية، والسين في "الإسلام-كالسنا-جسراً" وجميعها حروف رخوة توحى بالانتشاء والسكينة والبهجة، وتعمل على خروج دفعة من الهواء معها مما يولد راحة نفسية، مع استخدامه لبحر البسيط ذي التفعيلات المختلفة والذي يتميز بعدد كبير من الحركات والسكنات، التي تتكرر في كل شطر، وهذه السعة مكنت الشاعر من التعبير بحرية عن الفرح، كما ولدت جسراً نغمياً ملائماً للحالة النفسية للشاعر، وحين يوجه نصائحه ويسطرها عبر الكلمات لتعترف من هديها بنات الإسلام نلاحظ الهدوء والنفس الطويل مع البحر البسيط في قصيدة الحجاب^(٢):

حياك بالشعرِ يا أخت الهدى قَلَمِي فراح يشدُّ نديَّ الجرسِ والنغمِ
هذا الحجابُ وسيما الطُّهرِ سيمته كم يستجيشُ خيالاً غيرَ متهمِ
لكنه فرطُ إعجابٍ بمن وقفَتْ رغم الأعاصيرِ في عزوفي شممِ
تعلو على ترهاتِ العصرِ شامخةً وعصمةُ الدينِ تغنيها عن العصمِ

ونلاحظ الحروف المهموسة تغلب على غيرها لأن الموقف يستدعي الهمس مع بعض الشدة في بعض المواطن، مع اختلاف النبر من موضع لأخر حسب الحالة النفسية، وهذا أحدث تجانسا نغمياً يسر الوصول إلى البعد الدلالي للنص، وولد الانسجام الموسيقي مع المتلقي والمشاركة الوجدانية.

(١) جراح وكلمات، ص: ٣١.

(٢) السابق، ص: ٨٤.

أما القافية فهي شريكة الوزن، ولا يعد الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية، والقصيدة القديمة العمودية لا تُعد قصيدة بدون القافية، وفي تعريف القصيدة التقليدية نجد لزماً التصاق البحر الواحد والقافية الواحدة بمفهوم الشعر وكنهه وكيونته؛ فالقصيدة مجموعة من أبيات الشعر من بحر واحد وقافيته واحدة، قد التزم فيها أحكام عروض الشعر، والقافية في اللغة: من "قفوته: ضربت قفاه، وقفيته؛ رميته بالزنا، ويقال لا أفعله قفا الدهر أي أبداً، وهو قفا الأكمة أي بظهرها. وقفاه قفوه وقفوا واقتفاه وتقفاه؛ تبعه" ^(١)، قال تعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم" ^(٢)، وهي في الاصطلاح كما عرفها الخليل: "آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن" ^(٣)، بينما عرفها إبراهيم أنيس بـ "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن" ^(٤)، وقد سميت القافية بهذا الاسم "كونها آخر البيت الشعري من قولك قفوت فلاناً إذا اتبعته" ^(٥) أما نازك الملائكة فتعتقد "أن القافية ركن مهم في موسيقى الشعر لأنها تحدث رنيناً وتثير في النفس أنغاما أو أصداء، وهي، فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين الشطر والشطر" ^(٦)، ويؤكد عز الدين إسماعيل هذا الاعتقاد حين يعرف القافية بأنها "نهاية موسيقية للسطر الشعري، وهي أنسب نهاية لهذا السطر من الناحية الإيقاعية" ^(٧)، وقد قسم المعري في لزومياته القافية إلى أقسام: القوافي الذلل والنفر والحوش والقافية المقيدة، وجعل لكل منها حروفاً خاصة.

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م/١٣٧٦م، مادة "قفاه"، المجلد ١٥، ص: ١٩٢ - ١٩٨.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٣٦.

(٣) العمدة، ابن رشيق، ج ١، ص: ١٥١.

(٤) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ٢٧٣.

(٥) انظر، كتاب القوافي، التنوخي، أبو علي عبد الباقي عبد الله بن المحسن التنوخي، تحقيق: عوني عبد الرؤوف، ط ٢ (القااهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٨)، ص: ٥٩-٦١.

(٦) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة، ص: ١٩٢.

(٧) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص: ٦٧.

١- القوافي الذلل:

القوافي الذلل "ما كثر على الألسن، وهي عليه في القديم والحديث"^(١)، وحروفها حسب تقسيم المعري في لزومياته "الباء والتاء والراء والعين واللام والميم والياء والنون والكاف والفاء والسين والجيم والحاء والدال والقاف والهمزة"^(٢).

حفل شعر أحمد الصديق بأنواع مختلفة للقافية، فقد جعل قوافيه متباينة بما يتناسب مع الجو النفسي والغرض العام للقصيدة مبرزاً دور الاتجاه الإسلامي في إثراء الشعر العربي من خلال إبراز دور القافية في تحسين الموسيقى الخارجية للنص بالتضافر مع الموسيقى الداخلية حيث تعملان ككل في إضفاء طابع موسيقي خاص للنص الشعري، ومن أمثلة ذلك قوله ^(٣):

شكت لي الروح من ظمأ	فجئت إليه أستسقي
تغمّدي برحمته	وطوّق فضله عنقي
وتوّج جبّهتي نوراً	ومنّ عليّ بالعتيق

فاستعمال الشاعر للقاف قافية يجعل النص الشعري ممتازاً مع الحالة الشعرية للشاعر، وهي حالة من الحاجة الشديدة إلى رحمة الله وعفوه، متمثلة في طلبه للاستسقاء فجاءت القاف الخارجة من أقصى اللسان لتقي بهذا الغرض وتظهر غرض الشاعر في الأبيات .

ومنه قوله ^(٤):

جلّ جلاله علّم	على الذات العلية
هو مبعث الأنوار مصدر	كل خير في البرية
هو وحده المعبود حقاً	ذو الكمالات السنية
سبحانه وهو المنزه	عن ضلال الجاهلية

وفي مديحه لله سبحانه وتعالى، وإظهار نعمه السابعة تظهر الحاجة إلى قافية سلسلة سهلة المخرج فجاءت التاء ذات المخرج اللساني، مسبوقة بحرف الياء الخارج من الجوف مع السماح بمرور كمية كبيرة من الهواء يوحى بصدق العاطفة والراحة النفسية للمادح في مدحته.

(١) لزوم ما لا يلزم" اللزوميات " ، المعري، أبو العلاء أحمد عبد الله الضرير،(بيروت- دار صادر
،د.ت ١٣٧، ص: ٣٧.

(٢) انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ط٢ (بيروت- دار الفكر ١٩٧٠) ج١، ص: ٤٦-
٥٤.

(٣) ديوان هو الله، ص: ١٠.

(٤) السابق، ص: ١٦.

كما استعمل الشاعر قافية الباء الشديدة التي تناسب الجو النفسي للنص وهو الشكوى والضراعة إلى الله من شدة الجذب والحاجة إلى الماء كي تعود الحياة إلى طبيعتها ويعود الصفاء والنقاء والخصب إلى الأرض في قوله (١):

والأرض يا رحمن ضارعة	تشكو إليك ضراوة الجذب
وتشقت منها الشفاء وقد	عريت عن الأزهار والعشب
تعوي الرياح بها وتسفعها	بعواصف الحرمان والرعب

والقافية بحرف الباء الانفجاري هنا ملائمة للغرض العام والجو النفسي للقصيدة.

وقوله أيضاً (٢):

تؤرقنا منك المعاناة بينما نرى	طفلك المذبوح وهو قتل
وعرضك مهدوراً يعيثُ بطهره	علوجٌ ودمعُ المقلتين يسيلُ
وثمة ركبُ الراحلين وخلفه تذوبُ	قلوبٌ حيث شط رحيلُ

حيث استخدم اللام المضمومة وشحنها بكم هائل من الآهات على حال الأمة ، واللام بمخرجها من ظهر طرف اللسان توحى بشدة المعاناة التي يعاني منها المسلمون في البوسنة، فقلب الشاعر ينفطر ألماً ودموعه تسيل باكية ، في محاولة منه لتغيير مسار الأسى إلى مسار أفضل وغدٍ مشرق.

٢- القوافي النفر:

"وهي من القوافي التي تعد أقل استعمالاً من غيرها (٣) وحروفها الصاد والزاي والضاد والطاء والهاء الأصلية والواو (٤)، ومن أمثلة استخدام الشاعر للقوافي النفر استخدامه لحرف الصاد الصفيري (٥):

هل ترى شعباً عريقاً هو كالطير قنيصُ
وجناحاه الأسيران: مهيضٌ وقصيصُ
كم تجنيت عليه آده الخطب العويسُ

(١) جراح وكلمات ، ص: ١٨-١٩.

(٢) يا سرايفو الحبيبة ، ص: ٢٧.

(٣) لزوم مالا يلزم ، أبو العلاء المعري، م ١، ص: ٣٧.

(٤) انظر : المرشد في فهم أشعار العرب، أبو الطيب، ج ١، ص: ٥٩.

(٥) ملحمة الشيشان، ص: ٦٦.

حيث أجاد الشاعر استخدام حرف الصاد قافية -رغم ندرة وصعوبة الأمر- ولكنه وفق في ذلك مظهراً مأساة شعبه بين قتل وأسر وتشريد .

ومن استخدامه للهاء الأصلية قافية قوله (١) :

يعتق النفس التي في قيدها كانت رهينه
فتقبل يا إلهي توبةً حرّى حزينه
وعهوداً صادقاتٍ ومواثيقَ أمينه
وعلى الإيمانِ فاختمْ فرصةَ العمرِ الثمينه

أجاد الشاعر في استخدامه للهاء قافية ينفث فيها زفراته ولوعته مظهراً توبته الصادقة وسائلاً المولى حسن الخاتمة وموحياً بالهدوء والسكينة إن تحقق له ذلك واستجاب الله لتوبته.

٣- القوافي الحوش :

وهي "القوافي التي تهجر ولا تستعمل" (٢) وحروفها "الهاء والحاء والذال والظاء والغين والشين" (٣)

٤- القافية المقيدة:

وهي القافية التي يكون فيها حرف الروي مقيداً " (٤) أي ساكن، ويكون بأي حرف ضمن إطار حروف اللغة ، ومن ذلك استخدامه للنون الساكنة الحرف الهادئ ذو الغنة الخارجة من الأنف الموحية بالهدوء النفسي والراحة في حديث الشكر والتسبيح والثناء لله سبحانه وتعالى في قوله (٥):

سبحانك ربي يا رحمنُ يا ذا الإنعام وذا الإحسان
الخلقُ عيالُك تشملهمُ بجزيل عطائك يا منان
وغيوثُ الرحمة لا تفنى ولا تحصر في وقت وزمان
آلاؤك سابغة النعمى وسخاؤك يربو بالشكران

ومنه قوله (٦):

هيا فنحن لها وليس يخيفنا جيش الظلام

(١) جراح وكلمات ، ص: ٢١.

(٢) لزوم مالا يلزم، المعري، م ١، ص: ٣٧.

(٣) انظر : المرشد في فهم أشعار العرب، ج ١، ص: ٦٢.

(٤) (الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٢٨٩.

(٥) ديوان هو الله ، ص: ٢٠.

(٦) ملحمة الشيشان، ص: ٣١.

لسنا ذيولاً أو عبيداً كي نظل بلا زمام
ثمن الكرامة لن نضنَّ به إذا اعتسف اللثام

فالقافية المقيدة مع حرف الميم الشفهي المخرج ثلاثم الجو العام للنص ، فالشاعر يصرخ متحديا كل عناصر القهر والظلم بأننا قادرون على التحدي وتخطي الصعاب، وإمساك زمام المبادرة والسير نحو المستقبل الزاهي بكل ثقة وعزم ويقين .

وحين هب لنصرة المسلمين من أبناء الشيشان في محنتهم مبشراً لهم بالفرج استخدم حرف الجيم قافية كي تتناسب مع جو الفرح والابتهاج بقرب النصر وتحقق الموعد فقال^(١):

نادى المنادي :أيها الشيشانُ قد جاء الفرجُ
وتردّد التكبيرُ في الأفغانِ والفجرُ انبلجُ
وتعانقت في فرحةِ اللقيا الجوانحُ والمهجُ

والقافية المقيدة بحرف الجيم الخارج من وسط اللسان عند النقائه بالحنك الأعلى مع السماح بمرور دفعة من الهواء هنا ثلاثم الجو النفسي العام في النص.

تخلص الباحثة إلى أن الشاعر قد أجاد في استخدام قوافيه والتنويع فيها من القوافي الذلل والنفر والحوش والمقيدة بما يخدم الغرض من القصيدة ويظهر الاتجاه الإسلامي في معالجته لبعض القضايا الإسلامية مع التنويع في حروف القافية، ويعزز القيم الإسلامية الرشيدة للدين الإسلامي.

(١) السابق، ص: ٢٩.

ثانيًا: نظام التفعيلة:

لم يتوقف أحمد الصديق عن إتباع القصيدة العمودية، رغم اعتماده قليلا على قصيدة التفعيلة كوسيلة لإظهار إبداعاته المتجددة، وعواطفه الجياشة، التي قد لا تسعفه البحور العربية على تفريغها من خلاله، والشعر الحر يخضع لنظام التفعيلة الموحدة والوزن الشعري مع الاختلاف في عدد التفعيلات في السطر الشعري تبعاً لاختلاف الشحنة العاطفية من حين لآخر، تقول نازك الملائكة بهذا الخصوص: "إن الشعر الحر - شعر التفعيلة - ليس خروجاً على قوانين الأذن العربية، والعروض العربي وإنما ينبغي أن يجرى تمام الجريان على تلك القوانين، خاضعاً لكل ما يرد من صور الزحاف والعلل والضروب والمجزوء والمشطور، وإن أية قصيدة حرة لا تقبل التقطيع الكامل على أساس العروض القديم، الذي لا عروض سواء لشعرنا العربي، لهُ قصيدة ركيكة الموسيقى مختلفة الوزن"^(١)، فالشعر الحر له موسيقى خاصة به ناتجة عن استخدام التفعيلة المناسبة للتجربة الشعرية، ففي قصيدة هكذا يقول الحجر نلاحظ تفعيلة فعولن تتكرر في كل سطر شعري بما يتلاءم مع الثورة المتفجرة من أعماق الشاعر، المتمردة على الواقع^(٢):

أنا الحجرُ الثائرُ
مباركةٌ كلُّ ذراتِ أرضي
وشعبٌ على جرحه صابرُ
أيا كلَّ من خذلوني..
أسائلكم حيثُ كنتم
لمن تلكم الأسلحة

وقد شكلت تفعيلة فعولن نسبة كبيرة من تفعيلات شعر التفعيلة^(٣)، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من تسارع نبضات القلب مع التفعيلة بما يناسب العاطفة.

بينما يشكل مقطع التفعيلة "قاعلاتن" - التي تتكون من سببين خفيفين بينهما وتد مجموع - مما يجعلها تفعيلة ثرية بالتموجات الموسيقية، رغم كونها نغمة أكثر هدوءاً وسكوناً يتماشى مع الغرض الشعري ومع العاطفة المسيطرة^(٤):

أنت من باعَ لوجهِ اللهِ دنياهُ وأسلمَ
أنت من أورثه الكبتُ ثباتاً واصطباراً

(١) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص: ٨٩.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٣٤.

(٣) انظر ديوان جراح وكلمات: قصيدة دمي لن يضيع ص ٣٥ - مقاطع أفغانية ص ٦٦ - وغيرها.

(٤) هكذا يقول الحجر، ص: ١٤.

شامخاً كالطود..عزماً..واقْتداراً
تتحدى آلة العدوانِ بالصَّدرِ المدمى بالحجارة
وتعيدُ المجدَ تاريخاً وروحاً مستثارة
هكذا حزتِ الصدارة

فقد أقام وزنه على أساس تفعيلية "فاعلاتن" التي يقوم عليها بحر صاف، هو بحر الرمل، ولقد جعل منها وحدة موسيقية مستقلة بذاتها، ووزعها بأعداد متفاوتة على سطور النص، بما يتناسب مع الدفقة الشعورية لكل سطر شعري.

يلجأ الشاعر إلى الأوزان البسيطة والحروف السهلة المخارج حين ينظم شعراً روحياً بينما يستخدم البحور المجزوعة والسريعة حين ينظم شعراً ثورياً بما يتناسب مع الجو النفسي للقصيدة.

المبحث الثالث الموسيقى الداخلية

هي ذلك النغم الخفي الذي يحسه القارئ عند قراءته للشعر العربي، فيقول هذا نغم يبعث على الحماس و آخر يبعث على الحزن و الكآبة، وثالث يثير فينا الحنان، و لو تساءلنا عن مصدر هذا النغم لوجدناه يكمن في حسن اختيار الشاعر لكلماته، التي تحسن الجوار في انسجام وانسياب وتآلف بين حروفها لا تتافر بين حروفها، وهو ما يعرف بالتقسيم الصوتي، وفي استخدام الشاعر لوجوه المجاز العربي والمحسنات البديعية، وفي ترديد بعض العبارات فيما يعرف بالتكرار، وسيتم دراسة الموسيقى الداخلية للقصيدة من خلال عدة ظواهر فنية هي: التقطيع الصوتي - التكرار - المحسنات البديعية.

أولاً: التقطيع الصوتي:

وهو علم يعنى بمسائل الأصوات نطقاً وسمعا، فمن المعروف أن النبرة في اللغة بشكل عام هي إحدى سمات المقطع بصفته وحدة بنيوية مكونة من صائت وصامت أو أكثر، والمقاطع التي تتكون منها الكلمة إما أن تكون منبورة أو غير منبورة، أو بشكل أدق، فإن كل مقطع في الكلمة يلفظ بنبرة نسبية تتفاوت شدتها طردياً مع موقع المقطع في الكلمة وتركيبه الصوتي، وينتج عنه حسن التقسيم: وهو تقسيم بيت الشعر إلى جمل متساوية في الطول والإيقاع، مع استخدام كلمات ذات نبر إيقاعي خاص، مما يثري موسيقى النص ويعمق الإحساس بانتظامها وينقل تشكيلها الصوتي والدلالي من البنى السطحية إلى البنى العميقة، والتقسيم كما عرفه قدامة بن جعفر "أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها"^(١)، وقال أيضاً: "هو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يخل بشيء منها ومخلصة لم يدخل بعضها في بعض"^(٢)، وقد عرفه أبو هلال العسكري بأنه "تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه"^(٣)، بينما يرى ابن رشيق أنه "استقصاء الشاعر جميع ما ابتدأ به"^(٤)، لذلك يظهر أن هؤلاء النقاد اهتموا بالتقسيم من ناحية استيفائه

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: ١٣٩.

(٢) جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د، ط(القاهرة ١٩٣٢)، ص: ٥.

(٣) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢(بيروت - دار الكتب

العلمية ١٩٨٤)، ص: ٣٧٥.

(٤) العمدة، ابن رشيق، ج٢، ص: ٢٠.

لجميع أقسام الشيء المراد ذكره، رغم أن في "التقسيم ... تجزئة الوزن إلى مواقف، يسكت عندها أثناء التأدية للفظ البيت، أو يستريح قليلاً، كأنه يومئ إلى السكت"^(١).

في قصيدة الظل الضائع، زواج الشاعر بين استخدام الفعل الماضي المنقطع زمنياً مع الفعل المضارع المستمر^(٢):

ورحلتُ في عمقِ الأغاريدِ التي نزلتُ دما
وتفجرتُ فينا لهيباً
وتعبتُ كم فتشتُ في تلكِ البحارِ
عن شاطئِ الوطنِ الذي يحتلُّ عشَّ الذكرياتِ
ووجدتُ نفسي في مرافئها غريباً
فتشتُ عن بيارٍ عن غصنِ زيتونٍ وسنبلةٍ
وعن أوصالِ قرينتنا الشَّهيدةِ
فتشتُ عن أطلالِ مئذنةٍ وعن سيفي القديمِ هناكِ

لقد أدى التوازي في استعمال الفعل الماضي "ورحلتُ وتعبتُ ووجدتُ فتشتُ"، في كل شطر مع فعلٍ مضارعٍ واحدٍ "يحتلُّ" - وهو السبب في حدوث الأفعال الماضية المتكررة- إلى اتساق النغم وتتاسبه مما أعلى من صوت الزنين، وتوظيف الفعل مع تاء الفاعل المتحركة خلق نصاً متوهجاً لنغم متعدد الدلالات وأسهم في شحن أحاسيس المتلقي مما ولد مشاركة وجدانية انفعالية مع موسيقى النص. وفي المقطع التالي نلاحظ حسن التقسيم الناتج عن النبر في بعض المقاطع^(٣):

إنني باللهِ لا بالعرضِ الفاني اغتيت
إنه نورٌ بالإيمانِ قلبي فاهتديت
وبه عما سواه طابَ عيشي فارتضيت
إن قلباً غيرِ معمورٍ بحبِ اللهِ ميت

فالنبر في "اغتيت -اهتديت -ارتضيت" يجعل القارئ ينسجم مع الإيقاع الخاص الصادر منها، ويوجد نبر آخر موزعاً أيضاً بين ألفاظ الشطر الواحد بالتساوي، والنغم الموسيقي ناشئ عن السكت بعد كل وحدة في نهاية البيت، مما ولد نغماً موسيقياً تطرب له الآذان، وأثرى الإيقاع الداخلي

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، ط٢ (بيروت - دار الفكر ١٩٧٠)، ج ٢، ص: ٧٠٢.

(٢) جراح وكلمات، ص: ١٠٥.

(٣) قادمون مع الفجر، ص: ٤٥.

للبيت الشعري، ورفع من قيمة المقطع بين غيره. ومن التقطيع الجيد توظيف التراكيب ذات النبر المتشابه^(١):

فليعلُ دستورُ السماءِ فإنَّ ما هو ما يبتغي العقلاءُ
هو مرتقى الأمجادِ منهاجُ العلا والساكونَ به هم السعداءُ

النغم الموسيقي هنا نابع من التجانس في التراكيب "يبتغي العقلاء -مرتقى الأمجاد" ومن تكرار ضمير الغائب "هو" في كل سطر مما ولد التحامًا دلاليًا وتوهجًا أضيف للنص. ومن حسن التقسيم هذه المقطوعة التي تتم عن ذوق فني عال^(٢):

أنا الفتاة المسلمة مصونةً مكرمة
عفيفةً محتشمة بين الورى محترمة
بالدين والفضيلة وعفتي الأصلحة
وشيمتي النبيلة أنال كل مكرمة

لقد أجاد الشاعر عزف هذه القطعة اللحنية التعبيرية المتسقة وأحسن توزيع ألفاظها وتراكيبها فنلاحظ خلال استخدام الأسماء المنتهية بالتاء المربوطة في كل مقطع، حيث جعلت النغم الموسيقي ملائماً للإنشاد، كما ولد التقسيم الإيقاعي للجمل نوعاً من التلوين الموسيقي الداخلي، وجعل العبارات قصيرة سهلة التردد، تتناسب بسهولة ورقة وتتفق مع الغرض من القصيدة. ومنه أيضاً^(٣):

منك الرصاصُ ومنِّي الوجهُ مختضبٌ كالأفق بالشفقِ الوردِيّ يأتزُرُ
دمُ الشهيدِ صدقُ الحورِ يدفعه لله وهو إلى الفردوسِ يبتدُرُ
لي الفخارُ بمقلاعي ومعتركي وأنتِ رغمَ سلاحِ الفتكِ محتقرُ

استخدم الشاعر عبارات وألفاظ ذات إيقاع نغمي عالي زاد من توهج النص وأثرى أبعاده المعنوية، فترى الألفاظ المختارة بدقة ذات الحروف المناسبة للدفقة الشعرية والجو النفسي "منك- الرصاص مختضب -يأتزر -محتقر -الشفق -الأفق"، كل ذلك أنتج كثافة إيحائية دلالية وحضور انفعالي وانسجاماً إيقاعياً.

(١) السابق، ص: ٢٧.

(٢) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٩.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٨١.

برز التموج الإيقاعي والتباين الموسيقي من خلال الوقفات والسكتات اللطيفة في بعض المقاطع، ومن استخدام ألفاظ ذات نبر موحد بين أجزاء القصيدة ، كما ظهر واضحاً من التشابه بين بعض التراكيب التي جعلت النص يموج بالمؤثرات الصوتية، ويثري نغمة النص الشعري.

ثانياً: التريديد:

يعد التريديد أو التكرار من أهم مكونات البنية الإيقاعية للكلمة والجملة، وذلك من خلال تريديد بعض الألفاظ أو الكلمات التي ترتبط بأبعاد نفسية في وجدان الشاعر، وهو "دلالة اللفظ على المعنى مكرراً"^(١)، وفيه "إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها...فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها"^(٢)، إلى جانب أنه "يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها، أو لنقل أنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما"^(٣)، وله ضربان التكرار في اللفظ والمعنى والتكرار في المعنى دون اللفظ وللتكرار قيمة أدبية عالية تتمثل في تثبيت الكلام وترتيب الإيقاع بين الجمل والألفاظ إذا أحسن الشاعر توظيفه "إن أسلوب التكرار يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة ويستخدمه في موضعه، وإلا فليس أيسر من أن يتحول هذا التكرار نفسه بالشعر إلى اللفظية المبتذلة"^(٤).

ويمكن تناول التريديد في شعر أحمد الصديق، من خلال الحديث عن تريديد الأفعال، والأسماء، والتراكيب، والأساليب.

١- التريديد في الفعل:

تكرار الفعل يعد من التقنيات التي يلجأ لها الشاعر حين يريد الإفصاح عما بداخله من ضياع وإحساس بالتهميش فالفعل فيه إصرار على إثبات الوجود، واستمرارية البحث عن الذات، وإفادة التجدد، وقد كرر الشاعر أحمد الصديق الفعل فتشت في قوله^(٥):

فتشت عن بيارة

عن غصن زيتون وسنبلة

(١) من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، ص: ١٤٤.

(٢) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص: ٢٧٦. وانظر: قراءات نقدية، يوسف شحدة الكلوت، ط١ (غزة-مكتبة آفاق ٢٠٠٨)، ص: ٢٧-٧٢-٩٩-١٢٢.

(٣) السابق، ص: ٢٧٦-٢٧٧.

(٤) السابق، ص: ٢٦٤.

(٥) جراح وكلمات، ص: ١٠٥-١٠٦.

وعن أوصالِ قرينتنا الشهيدة
فتشتُ عن أطلالِ مئذنة
وعن سيفي القديم هناك
عن قيثارِ الحلم الجديدة
فتشتُ عن قيم الحضارة والفتوح

تكرار الفعل الماضي "فتشت" في متتاليات متباينة، يوحي بمدى الضياع والتشرد الذي عانى منه الفلسطيني، رغم أن هذا لم يثته عن عزمه في البحث عن أسباب البقاء والرقى والحضارة، والعمل على استبدال المحنة بالأمل والعودة والإصرار على البقاء رغم المحن، وتبرز في النص ظاهرة إيقاعية ترتبط بترديد الألفاظ مما يولد استرسالاً في النغم وتناسق في اللحن.

ومن التكرار في الفعل أيضاً^(١):

فنرى ذاتَ النطاقين التي هي رمزُ الصدق والصبر المتين

ونرى الخنساء في إيمانها كالرواسي في ثبات لا تلين

ونرى خولةً في إقدامها كعقابٍ فوقَ رأسِ الكافرين

الشاعر يكرر الفعل الماض "نرى" لتوجيه الأجيال وخاصة الفتيات المسلمات العفيفات، إلى النماذج الإسلامية الجديرة بالاحترام من النساء الأوائل اللاتي ضرين أروع الأمثلة في الصبر والصدق والإقدام ، والأخلاق الإسلامية الحميدة وفيه حثٌ لهن لأخذ العبر والعظات من أسماء بنت أبي بكر والخنساء وخولة ، وهو إذ يوظف التكرار في الفعل في أكثر من موضع إنما يضعنا في بوتقة أحاسيه المفعمة بالإيمان والصدق والثبات، ما يجعل المتلقي يشارك الشاعر بوجدانه ، ويرقب عن كثب التغيرات التي قد تطرأ على نفسية الشاعر .

ومنه أيضاً^(٢):

عُدْ حيثُ جئتَ فلا ينميك من نسبٍ إذا انتميتَ سوى ما تدَّعي الخزرُ

عُدْ حيثُ جئتَ فما شأنُ الدخيل هنا إلا كما يتشهى الموتُ منتحراً

التكرار في الأفعال "عد- جئت" جاء هنا لإنذار الدخيل المستعمر الذي يدَّعي أحقيته ببلاد المسلمين، فيوجه الشاعر له هنا صرخة يضمنها معاني التهديد فلا ينتظر أن يأتيها الباغي سوى الموت إن جئت

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ١٥.

(٢) هكذا يقول الحجر، ص: ٨٣.

لبلاد السمن والعسل كما يزعمون، وتكرار الفعل للتأكيد على المعنى المراد، وإبراز مدى عمق المشاعر
وغزارة الوجدان عند الشاعر .

٢ - التريد في الاسم:

كما وظف الشاعر تقنية تكرار الاسم لإشباع الموسيقى الداخلية بالمؤثرات الصوتية والنغمية فتكرار
الاسم يولد رتابة تطرب لها الأذن .

ومنه تكرار الضمير نحن في قوله^(١):

نحنُ في غرةِ الوجودِ كما الشامةُ في الوجهِ آيةُ الإحسانِ
نحنُ أنسابنا تمتُ إلى الله وليست للعرقِ والألوانِ

حمل تكرار الضمير "نحن" تأكيداً على أصالة أبناء الإسلام، وقد أقام الشاعر مظهرًا تفاضليًا يظهر فيه المسلم كآلية بين غيره من أبناء الأمم الأخرى. ومنه أيضًا^(٢):

بشراكِ يا بشراكِ
سنملاً السلالَ والشباكِ
من لؤلؤِ البحارِ

الإيقاع الموسيقي ناتج عن التردد اللفظي فتكرار كلمة بشراك بما يحمله من شحنات يجعل المتلقي في حالة توتر وتحفز واستحضار دائم للمجهول، ويشكل تواليًا نغميًا خاصًا مما يجعل المتلقي على اتصال دائم مع عاطفة الشاعر.

ومنه أيضًا^(٣):

العيدُ روضُ المؤمنين العيدُ بشرى المتقين
العيدُ جائزةُ السما للصائمين القائمين

تكرار كلمة العيد جعل المتلقي في تحفز دائم للكشف عن أسرار التكرار ومعرفة مضمونه.

٣- التردد في التراكيب:

يعد تكرار التراكيب اللغوية من التقنيات الفنية التي تضيف على العمل الأدبي دلالة إيحائية وقد وظف أحمد الصديق التراكيب اللغوية التي تثري النص موسيقياً ودلالياً ومنه قوله^(٤):

ناداكِ صوتُ الدعوةِ الرباني وهفا إليك بلهفةٍ وحنانِ
ناداكِ وهو مطاردٌ في أرضه ومكبل في قبضة السجانِ
ناداكِ وهو لفجره متطلعٌ ويتوق نحو تحرر الأوطانِ

(١) قادمون مع الفجر، ص: ١٤.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٢١.

(٣) أناشيد للصحو الإسلامية، ص: ٧٦.

(٤) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٢٥.

فتكرار التركيب من الفعل والفاعل والمفعول أكثر من مرة أبرز مدى عمق المشاعر، التي يكنها الشاعر للفتيات المسلمات، وحرصه على تربيتهن التربية الإسلامية الصحيحة، فهو ينبهها لنداء الإسلام، ويؤكد له للدلالة على غزارة الوجدان، كما أن استخدام التكرار للتركيب هنا يولد توازي إيقاعي ويجعل النغم أكثر رنيناً وإيحائية.

ومنه أيضاً^(١):

ممن طوتهم الأيام مزدجـرُ!
تردي ذويها وخاب الكبر والصَّعْرُ

نسلّ الأفاعي أما في الغابرين لكم
نسلّ الأفاعي سموم الغدر ما فتئت

ومن توظيفه للتركيب قوله^(٢):

ليس يثنيه ضبابٌ أو قَتام
يتلظى في حواشيه الضرام

قادم فجري وإن طال الظلام
قادم فجري ومن أشواقنا

التكرار في التركيب "قادمٌ فجري" نتج عنه تراتب دلالي وتناسق شكلي وإيقاعي وتنامي درامي، وإلحاح على سياقات أفرزها الواقع الفلسطيني المعيش.

ومن أهم الدلالات للترديد اللغوي أن ينسجم الصوت المتردد مع البنية التركيبية للنص، وأن يكون أحد مكونات جسده المتماسك شكلياً ودلالياً، لنأخذ هذا النموذج كمثال^(٣):

الصبح بين الظلال والأفنان !
الندى البكر في ورود الجنان !

أيُّ بشرى أرقُّ من نسمات
أيُّ بشرى أحلى وأعذب من ذوب

فالبشرى مرتبطة بظهور الصبح وانتشار الندى وتفتح الأزهار وهذا يتوافق مع الجو العام للنص، و تكرار لفظ البشرى منطقي ولازمة في تلك الأجواء.
ومنه أيضاً^(٤):

كلُّ نفسٍ تاقَتْ لدفعِ الحنانِ
الكونِ إلا هدايةَ الفـرقانِ

هاهنا موئلُ الطريدِ ومأوى
هاهنا هاهنا النجاةُ فما في

تردد لفظ "هاهنا" كثيف الإيحاء ولد نغماً موسيقياً فريداً داخل النص.

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ٨٤.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٢٨.

(٣) السابق، ص: ١١.

(٤) قادمون مع الفجر، ص: ١٧.

٤ - التردد في الأساليب:

استخدم الشاعر تقانة التردد في الأساليب للدلالة على المقصد من وراء توظيفه للأسلوب ومنه تكراره لأسلوب الاستفهام في قوله ^(١):

أولم ننكث موثيقَ الهُدَى	حينَ أغضينا فأغوانا اللئام؟
أوما ضلّت عن النهجِ الخُطى	واحتوانا الظلم وارتد الطغام؟
أولم نقعدُ على أوهامنا	فتقاعسنا وفاتتنا السّهَام؟
وتولّت عن مغانينا المُنَى	وهي حيرى ونأى عنا المَـرامُ
أولم نعرضْ عن الدين	الذي هو مفتاح المعالي والزّمَام؟
أولم تعبثْ بنا أهواؤنا	أولم تُغرق ليالينا المُـدام؟

التكرار في الاستفهام الإنكاري هنا لإظهار حالة من القلق والتوتر المنبعث من اليأس المسيطر على الشاعر، وللتأكيد على المعنى بأسلوب أكثر وضوحاً، ويكرر الشاعر الاستفهام ليبين حجم الألم الذي يعتصر قلبه، والغصة التي تملأ حلقه، على هذا الواقع المرير الذي وصلت إليه الأمة، ويتخذ منه وسيلة للبحث عن آلية تحطيم الواقع وتغييره.

ومن التكرار أيضاً ^(٢):

لن أنسى أبداً لن أنسى

تلك الأرجاء

فهواها يسري في روعي

عزماً ومضاءً

تكرار أسلوب النفي هنا - مع أداة النفي المستقبلية- للتأكيد على حب الشاعر لوطنه حاضراً ومستقبلاً حباً نابعا من إيمانه بنصر الله، كما أنه أثرى موسيقى النص. ومنه تكراره لأسلوب النداء في قوله ^(٣):

(١) قادمون مع الفجر، ص: ٣٠.

(٢) أناشيد للصحة الإسلامية، ص: ٤٠.

(٣) السابق، ص: ٩.

يا شباب الهدى عشت طول المدى

راشداً مرشداً للغلا مصعداً

لا تخاف الردى يا شباب الهدى

التكرار في هذه الأبيات إنما جاء ليلح على فكرة في ذهن الشاعر، وهي أن الشباب هم عماد المستقبل، والأمل المنشود، فيجب أن يتربى على القيم الإسلامية ليكون منارة بعلمه وأخلاقه، والتكرار "هنا" ولد نغماً موسيقياً تطرب له الآذان وتطيب له النفوس.

إن شيوع التكرار في شعر أحمد الصديق إنما جاء ليؤكد المعاني التي دعا إليها الشاعر كما ساعد على الانسجام الفني بين الشكل والمضمون، وولد موسيقياً داخلية للنص، فجاء بعيداً عن التكلف والصنعة المشينة.

ثالثاً: المحسنات البديعية:

هي من الوسائل التي يستعين بها الشاعر لإظهار مشاعره وعواطفه، وللتأثير في النفس، وهذه المحسنات تكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدية المعنى الذي يقصده الشاعر، أما إذا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها وأصبحت دليل ضعف الأسلوب، وعجز الشاعر، وللمحسنات قيمة أدبية لما تضيفي على النص من إحياءات جمالية ودلالية، وهي متعددة الأغراض والأنواع فمنها الجناس والتصريع والطباق والمقابلة والتورية وستكتفي الباحثة بإظهار الطباق والجناس والتصريع في شعر أحمد الصديق، لما لذلك من أهمية في إضفاء سمة جمالية وإثراء موسيقى النص.

الطباق:

هو "الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين... والجمع بين فعلين... وقد تكون المطابقة بالجمع بين نوعين مختلفين"^(١)، ويكون كلمة مقابل كلمة.

وظف الشاعر الطباق في مواضع عدة، فطابق في بعضها بين جنسين مختلفين كالطباق بين الأسماء والأفعال، والطباق بين فعل وفعل أو بين اسم واسم.

- **الطباق بين الاسم والفعل:** حيث زواج الشاعر بين المتضادات المختلفة من اسم وفعل ومنه^(٢):

أحلامي الخضراء قد ذبلت والروض يلوي زهرة الأجل
ويداي ترتعشان من وهن وشبابي المحزون يكتهل

(١) علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، د. ط (بيروت - دار النهضة د. ت)، ص: ٤٩٥.

(٢) قادمون مع الفجر، ص: ٦٣.

طابق الشاعر بين الأفعال ذبلت ويكتهل مع الأسماء الخضراء وشبابي على الترتيب، فنتج عنه إيقاعاً داخلياً ولد انسجاماً وتراتباً دلاليّاً أضفى وضوحاً للمعنى.

- **الطباق بين الأسماء:** وقد يكون الطباق بين اسمين لإظهار المفارقة بينهما ومنه^(١):

ثم غاب الضياء وانتلم الصفُ ورحنا عبر الظلام نعاني

الطباق بين الضياء والظلام فجر طاقة إبداعية كامنة خلف النص، جعلت النص متشعب الدلالة. ومنه أيضاً^(٢):

لست بالغالي ولكن أنت يا هذا رخيص

فالطباق بين الغالي والرخيص أظهر البون الشاسع والتناقض الجلي بين اللفظتين. ومنه أيضاً الطباق بين الإيمان والباطل، والطباق بين جذب وخصب وطباق السلب بين يوقد ولا يوقد، في قوله^(٣):

يوقد المصباح بالإيمان لا يوقد مصباح بباطل

أنتم في جذبنا الخصب وفي صحرائنا دقق الجداول

أثار الطباق في هذا المقطع حميا التساؤل عن مصدر الموسيقى الذي ولد انسياً في الألفاظ وتوقعاً لما بعده.

بينما زواج الشاعر بين أنواع الطباق الأسماء والأفعال في قوله^(٤):

تهوي ولكن نحو عزك ترتقي	فإذا سجدت ففي رحابك هامتي
عيشي ومن يا رب غيرك معتقي	ما ضاق إلا وهو فيك موسع
يا من له حبي وصدق تعلقني	مالي سوى ظني بحسن مغبة
لكن حبل سواك غير موثق	حبل المودة فيك موثق العرى

ولد الطباق موسيقى داخلية أثرت النص وشحنته بفيض من العواطف، فالطباق بين تهوي وترتقي، وبين ضاق وموسع وبين ظني وصدق وطباق السلب - "وهو مالم يصرح فيها بإظهار الضدين

(١) قادمون مع الفجر، ص: ١٥.

(٢) يا سرايفو الحبيبة، ص: ٦٥.

(٣) هكذا يقول الحجر، ص: ٦١-٦٢.

(٤) جراح وكلمات، ص: ٨-٩.

أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجاباً وسلباً^(١) بين موثوق العرى وغير موثق، جعل النص مكتنزاً بالدلالة والإيحاء.

ثانياً: التصريح:

هو اتفاق قافية الشطر الأول من البيت الأول مع قافية القصيدة ويكون في البيت الأول، وقد عرفه ابن رشيق بـ "ما كانت عروض البيت تابعة لضربه، وتنقص بنقصه وتزيد بزيادته"^(٢)، وتكمن أهميته في جعل المتلقي ينتبأ بقافية البيت الأول، وهو مصدر للموسيقى الهادئة التي تطرب الأذن. ومن ذلك قول الشاعر^(٣):

باقٍ هنا.. باقٍ على صدر العدى أقوى من الكيد اللئيم وأصمدا
أنا مسلمٌ لا أنتهي عن غايتي في الله مرفوع الجبين موحدًا
وفي هذا المقطع يتوقع المتلقي قافية العروض من خلال قافية الضرب^(٤):
أشريقي يا معدنَ الظهرِ الثمينِ درةً بالحقِ غراءَ الجبينِ
قمةً فوقَ الذرى شامخةً لم تزعزعها رياحُ العابثينِ
ومنه أيضاً^(٥):

لك يا ابنتي مني تحيةً يا وردة الحبِ النديّة
هذي القصائدُ باقةً لك يا هدى مني هديةً

ومن التصريح في كل بيت من أبيات القصيدة، كما عرفه قدامة بن جعفر "وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول، ويكون ذلك من اقتدار الشاعر وسعة بصره"^(٦) وهذا جعل النص غني بالموثرات الموسيقية الناتجة عن التنويع في القافية^(٧):

ماذا جرى؟ أكادُ لا أصدقُ مدينةً تحت الحصارِ تحرقُ
منارةُ الإسلامِ والتوحيدِ ذات الشعاع الطارف التليدِ
وقلعةُ الأسودِ والضراغمِ هل تستباحُ للعدوِ الغاشمِ؟!
أفدي طرابلسَ عرينَ الدينِ أفديك يا زخرَ الغدِ الثمينِ

(١) علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، ص: ٤٩٨.

(٢) العمدة، ابن رشيق، ج ١، ص: ١٧٣.

(٣) ديوان يا سرايفو الحبيبة، ص: ٤٠.

(٤) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ١٥.

(٥) السابق، ص: ٥.

(٦) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: ٨٦.

(٧) قادمون مع الفجر، ص: ٧٥.

كما نظم الشاعر بعض القصائد بطريقة أشبه بالموشحات، فسار فيها وفق نظام معين، ثلاثة مقاطع موحدة القافية تمثل الأسماط في الدور، ثم قافية مختلفة عن سابقتها تمثل القفل، وقد أضفى هذا النوع من النظم موسيقى خاصة ناتجة من التنوع في القافية مع الاحتفاظ بالتصريع بين كل ثلاث أسطر شعرية^(١):

أَعْتَزُّ بِالْحِجَابِ	وسابغ الثياب
رفيعة الآداب	أحيا بها منعمة
لي قدوة عبر السنين	بأمهات المؤمنين
والصالحات كل حين	إلى الفلاح ملهمة
عرفت واجباتي	كما عرفت ذاتي
فأشرقت حياتي	نضيرة مبتسمة

وقد كان الشاعر يلون في الموسيقى لمزيد من الإيحاء والتأثير، حيث كان يعتمد إلى اختيار قوافي ذات وقع خاص مما يساعد على نقل التجربة الشعرية نقلاً فنياً إيحائياً.

ثالثاً: الجناس:

أو التجنيس "أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"^(٢)، فهو تشابه اللفظين في النطق والحروف مع اختلافهما في المعنى، وهو أن "تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق"^(٣)، حين "يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها"^(٤) فالجناس التام يتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وترتيبها وهيئتها مع الاختلاف في المعنى، أما الجناس الناقص (غير تام) فهو ما لم يتفق فيه اللفظان في الحروف والنطق اتفاقاً تاماً، وهو "ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام، وهي أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها"^(٥)، والجناس يعطى نغمة موسيقية جميلة نابعة من التشابه في اللفظ، وإثارة الانتباه، وتحريك

(١) قصائد للفتاة المسلمة، ص: ١٠.

(٢) علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، ص: ٦١٣.

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: ١٦٣.

(٤) الصناعتين، العسكري، ص: ٣٥٣.

(٥) علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، ص: ٦٢٣.

الذهن عن طريق الاختلاف في المعنى، ففترتاح لها الأذن وتطرب لها النفس. لم تعثر الباحثة على أمثلة للجناس التام فيما توفر لدينا من دواوين، بينما عثرت على أمثلة قليلة للجناس الناقص منها^(١):

رجالٌ لعمري والرجال قليل لقد عز للصيد الأباة مثل
جباه تسامت كالجبال عزيزة يجلها الإيمان وهو جليل

الجناس بين جباه وجبال ويجلها وجليل جعل المتلقي متحفزا، وولد نغمة موسيقية جميلة. ومن الجناس أيضاً^(٢):

ويصول فرعون الضلال معاندا مستكبرا فوق الضعاف معريدا

فالجناس بين معانداً ومعريداً نتج عنه جمالاً موسيقياً تطرب له الآذان.

ختاماً نوجز القول بأن الشاعر قد أبدع وبرع في إضفاء سمة حية ونابضة للشعر في الاتجاه الإسلامي، فقد نوع من موسيقى الشعر بما يناسب التجربة الشعرية، والغرض الذي نظم فيه قصائده، وبذلك نوافق إبراهيم أنيس حين قال "ويحاول الشاعر أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة"^(٣)، كما لوحظ أن الشاعر كان يستخدم الأوزان المختلفة حتى تتسع لما يريد من الصور الكثيرة والدقات العاطفية في الشعر الحر.

وقد ازداد شعر الصديق حيوية بالموسيقى القوية المنبثقة عن الطباقات و التكرار الموفق لبعض الألفاظ المختارة بدقة فنية، وعن القوافي المتمكنة الألفاظ، وحسن التقسيم، فتفاعلت الموسيقى الداخلية مع الموسيقى الخارجية في إحداث النغم الموسيقي، وتشكيل البنية الإيقاعية للقصيدة، مما يجعلنا نسلم بأن الشعر في الاتجاه الإسلامي شعر نابض بالحياة والحركة وغني بالموثرات الموسيقية، حيث أضفت عليه تألقاً، وجعلته في مصاف الشعر الجيد الذي يمتلك المقومات الفنية، بما لا يقل عن الشعر في الاتجاهات الأخرى.

(١) يا سرييفو الحبيبة، ص: ٢٥.

(٢) السابق، ص: ٤٣.

(٣) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ٤١.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيراً الذي وفقني لما فيه خير، فهذه دراسة الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد الصديق، تناولت فيها الحديث عن مفهوم الاتجاه، وخصائص الأدب في الاتجاه الإسلامي، ثم عرفت بالشاعر وتحدثت عن المصادر الإسلامية لشعره، والاتجاهات الإسلامية فيه، وأفرغت جانبا للدراسة الفنية تحدثت فيه عن اللغة والصورة الفنية والموسيقى في شعر أحمد الصديق، والله أسأل أن أكون قد وفقت في دراستي هذه، وأن يجعلها في ميزان حسناتي، وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج:

١- الأدب الإسلامي أدب غني وحافل، بالمؤثرات الصوتية والأسلوبية والبلاغية، وبالمضامين المختلفة التي تهم الشاعر والإنسان العادي على حدٍ سواء ، وهو أدب شامل وواسع الحدود وله دوره في تنمية الجوانب الفنية المختلفة للشعر .

٢- الشعر في الاتجاه الإسلامي معين لا ينضب، تعددت مصادره فتعددت تبعاً لذلك موارده، ومن سماته الالتزام، والصدق الفني والعقدي، والإنسانية، والوعي بالمهمة المنوطة بها، فالشعر الإسلامي هو شعر الحق والتغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهذيب النفس الإنسانية وتطهيرها من شوائب المادة والطمع، وتضمين معاني القرآن و السنة في ثوب شعري جميل وسامي، والجمع بين خطاب الإمتاع وخطاب الإقناع، وتبني الرؤية الإسلامية للقيم و الوجود والإنسان.

٣- الشاعر الإسلامي واع كل الوعي بما يكتنف واقعه من مخاطر تحقق بالأمة و قيمها، وبكل من يحمل هم هذه الأمة ويقف في صف المستضعفين، لا تثنيه عن أداء رسالته في اتجاه تكريس القيم الأصيلة و الخالدة ، وتحمله لمسؤولية التغيير، وإلى جانب ذلك هو شاعر كوني الرؤية، وإنسان منفتح، ومبدع إنساني يدافع عن الحق، ويناصر حقوق الإنسان الطبيعية والمكتسبة، من خلال رؤية إسلامية سمحة، وإذا كان الإسلام عقيدةً وعبادةً ومنهاج حياة متكامل، سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً، فإن النتاج الشعري الذي دار في فلكه أيضاً يمس جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، ويقدر ما اتسع مفهوم الشعر الاسلامي، اتسعت موضوعاته، فجاءت معبرة عن مختلف جوانب الحياة الانسانية.

٤- ظهر التوجه الإسلامي عند الشاعر منذ نعومة أظفاره فكانت بدايات شعره وانطلاقاته صورة نابضة بتعاليم الدين الإسلامي.

٥- تنوعت مضامين الشعر في الاتجاه الإسلامي عند الشاعر أحمد الصديق، من ديني واجتماعي ووطني وسياسي وقومي ، حيث عالج فيها كل ما يخص الإنسان بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص.

- ٦- معاصرة الشاعر للأحداث السياسية الكبرى التي عصفت بالأمة الإسلامية، جعلت منه مؤرخاً لمجرياتهما، فعبّر عن هذه الأحداث شعراً صادقاً، نابضاً بالحيوية، صادق التجربة.
- ٧- عالج الشاعر بعض القضايا الاجتماعية التي تهم أبناء أمته، بالكلمة المعبرة والأسلوب الرقيق والموقف الصارم.
- ٨- أحمد الصديق شاعر محافظ وظف ثقافته اللغوية والإسلامية في خدمة قضيته، فكان شعره قوي العبارة فخم الأسلوب متين السبك.
- ٩- حافظ الشاعر على بحور الشعر القديمة مع مجاراته لبعض التطورات كالشعر الحر والتنويع في الأوزان، وأشكال النظم الشبيهة بالموشحات، مما أثرى الموسيقى وجعلها مفعمة بالنغم الدلالي والإيحائي.
- ١٠- يميل الشاعر إلى الألفاظ السهلة، إلى جانب استخدام بعض الألفاظ الرمزية، وتجنب الألفاظ الغريبة، ومما لمسناه عند الشاعر أحمد الصديق الوضوح في ألفاظه أو تراكيبه، دون اللجوء إلى الغموض في رموزه وصوره الفنية.
- ١٠- أثّرت العقيدة الإسلامية في مضمون شعر أحمد الصديق وشكله الفني، فتميز شعره بالعاطفة الإسلامية الصادقة، والبصيرة النفاذة.
- ١١- رسم الشاعر صورته الشعرية بوضوح وعناية فائقة، أضفت على شعره حيوية مستمدة من ثراء الصور وروعيتها، كما عالج فيها أكثر من جانب واستخدم الأدوات الفنية القديمة من استعارات وتشبيهات وكنايات، واتسمت الصورة عند أحمد الصديق بعنصر الحياة الذي يضمن لها البقاء والاستمرار، فبعض الصور مستمد من فيض القرآن، وبعضها الآخر نابع من القضية الفلسطينية حيث اتكأ الشاعر على أحداثها لتصوير حالة الغليان التي تعصف بكل إنسان فلسطيني غيور على دينه ووطنه.
- ١٢- تعد قضية الوطن من القضايا الهامة عند أحمد الصديق، التي أولاها جل شعره، وكان الوطن الحاضر الذي لا يغيب عن مخيلته، وقد عبر عنه بصور مختلفة: الأرض والدار والشارع والخيمة والشتات والغربة وحلم العودة.
- ١٣- امتلك شعر أحمد الصديق المقومات الفنية للشعر الجيد- وفق المعايير التي اتفق عليها القدماء والمحدثون- من قوة العبارة وجزالة اللفظ دون إغراب ولا تغريب، والصور الفنية النابعة من عمق التجربة، وصدق الشعور.
- ١٤- أسهمت الأساليب الإنشائية والخبرية في إثراء أسلوب أحمد الصديق الشعري، كما أسهمت في تطوير البنية التركيبية للقصيدة الشعرية.

١٥- يعد التكرار من السمات الأسلوبية والفنية في شعر أحمد الصديق، التي أضفت تلويحاً موسيقياً، مما أثرى موسيقى النص داخلياً وخارجياً.

١٦- ازداد شعر أحمد الصديق حيويةً بالموسيقى القوية المنبثقة من الطباق الموفق لبعض الألفاظ المختارة بدقة فنية، وعن القوافي المتمكنة الألفاظ، وحسن التقسيم، فتفاعلت الموسيقى الداخلية مع الموسيقى الخارجية في إحداث النغم الموسيقي، وتشكيل البنية الإيقاعية للقصيدة، مما يجعلنا نسلم بأن الشعر في الاتجاه الإسلامي شعر نابض بالحياة والحركة وغني بالمؤثرات الموسيقية، حيث أضفت عليه تألقاً، وجعلته في مصاف الشعر الجيد الذي يمتلك المقومات الفنية، بما لا يقل عن الشعر في الاتجاهات الأخرى.

١٧- أضفى التشبيه والكناية والاستعارة في شعر أحمد الصديق وضوحاً للصورة حينما وضعت المشبهات في علائق جديدة مع المشبهات بها فولدت تزاوجاً بينهما، وبذلك جعلت شعره يمزج بالحركة والحياة ويمر في وجدان المتلقي للبحث عن سر جمال هذه المتزاوجات، كما كان للصورة الكلية المعتمدة على التشبيه والكناية والاستعارة دور في إبراز التوجه الإسلامي في شعر الصديق.

١٨- شكل الرمز في شعر الصديق كياناً مستقلاً قائماً بذاته وبذلك أضفى سمة جمالية نابعة من عمق أحاسيس الشاعر ووجدانه، وجعل شعره غنياً بالمؤثرات الفنية.

وبهذا تخلص الباحثة إلى أن الإسلام يرفع الإنسان، ويسمو به أخلاقياً وعملياً، عقلاً وروحاً، ويزرع فيه حب الإنسانية بصفة عامة، مع تكسير قيود الزمان والمكان، والحوجز الوطنية والقومية القائمة على العرقية والتصورات الإقليمية، نحو تحقيق وحدة إنسانية عالمية قائمة على الروحانية، والعقيدة الصحيحة، والمودة النقية.

التوصيات:

توصي الباحثة بضرورة تناول الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين وغيرهم، لإبراز دور الإسلام في إذكاء روح الشعر، وتنمية الجوانب الفنية للشعر، وإنصاف الاتجاه الإسلامي من التهم الموجهة إليه من ضحالة الفكر وضعف الأسلوب وركاكة العبارة وقلة التصوير البياني.

العمل الجاد على دراسة الاتجاه الإسلامي في الأشكال الفنية الأخرى كفن القصة والمسرحية داخل فلسطين وخارجها، وإظهار معالم هذا الاتجاه فيهما.

وأخيراً: أرجو أن يكون لي حظٌ في خدمة الاتجاه الإسلامي، ومن ثم خدمة الدين الإسلامي الشامل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الدواوين:

١. ديوان جراح وكلمات، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء - ١٩٩٠).
٢. ديوان هكذا يقول الحجر، أحمد الصديق، ط١ (عمان - دار الضياء ١٩٩٠).
٣. ديوان أناشيد للصحة الإسلامية، أحمد الصديق، ط١ (عمان - دار الضياء ١٩٨٥).
٤. ديوان قادمون مع الفجر، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٧).
٥. ديوان الإيمان والتحدي، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٥).
٦. ديوان هو الله، أحمد الصديق، ط١ (١٩٩٨).
٧. ديوان نداء الحق، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٢).
٨. ديوان يا سرايفو الحبيبة، أحمد الصديق، ط١ (الأردن - دار الضياء ١٩٩٦).
٩. ديوان قصائد إلى الفتاة المسلمة، أحمد الصديق، ط٢ (الأردن - دار الضياء ١٩٨٥).
١٠. ديوان ملحمة الشيشان، أحمد الصديق ط١ (الأردن - عمان دار أسامة ١٩٩٦).

ثانياً: الكتب:

١١. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، ط٢ (دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١).
١٢. اتجاهات الشعر العربي، إحسان عباس (سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٧).
١٣. الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، كامل السوافيري، ط١ (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣).
١٤. الأدب الإسلامي أصوله ومناهجه، محمد حسن بريغش، ط١ (دار البشير - عمان، ١٩٩٢م).
١٥. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، محمد حسن الندوي، ط١ (بيروت - مؤسسة الرسالة).
١٦. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا د. ط (دار إحياء العلوم - بيروت ١٩٩٢).
١٧. الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين اسماعيل، د. ط (دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
١٨. الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، ط١ (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م).

١٩. الأصول الفنية لأوزان الشعر العربي: د. محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، د. ط (بيروت، دارالجيل، ١٩٩٢م).
٢٠. أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ط٧ (مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٤).
٢١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين المتوفى ٧٦١هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، د. ط (بيروت - دار الفكر د. ت).
٢٢. الإيضاح، الخطيب القزويني، تحقيق: نعيم زرزور، ط١ (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥).
٢٣. الإيمان لابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى سنة ٢٢٥هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢ (نشر المكتب الإسلامي - ١٩٨٣).
٢٤. البديع، ابن المعتز، د، ط (طبعة كراتشوفسكي ١٩٣٥).
٢٥. البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي، ط١ (دمشق - دار القلم ١٩٩٦).
٢٦. تاريخ الأدب العربي، عمر محمد فروخ، ط٤ (بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨١).
٢٧. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، د. ط (دار المعارف - مصر).
٢٨. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، محمد زغلول سلام، د. ط (منشأة المعارف بالاسكندرية، د)، ت)).
٢٩. التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، د. عبد الخالق العف، ط١ (مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية - ٢٠٠٠).
٣٠. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط١ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٣).
٣١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١ (دار الكتب العلمية).
٣٢. الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط٢ (بيروت - دار الجيل ١٩٩٥).
٣٣. جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر، يحيى زكريا الاغا، ط١ (دار الثقافة للطباعة والنشر - الدوحة - قطر ١٩٩٦).
٣٤. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد مجمد بن أبي الخطاب القرشي، المتوفى ١٧٠هـ، تحقيق: علي محمد البجادي، د. ت (نهضة مصر للطباعة).
٣٥. جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د، ط (القاهرة ١٩٣٢).

٣٦. الحيوان، الجاحظ: عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط(مكتبة الخانجي - القاهرة - د.ت).
٣٧. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط٧(بيروت - دار الشروق ١٩٨٢).
٣٨. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، (دار الهدى، بيروت (د.ت)).
٣٩. دلائل الإعجاز، الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني) تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣(القاهرة - مطبعة المدني ١٩٩٢).
٤٠. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، ط٢(القاهرة ١٩٧٨).
٤١. زمن الشعر، أدونيس. ط٢(دار العودة - بيروت ١٩٧٨).
٤٢. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط١(بيروت - دار الكتب العلمية).
٤٣. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (متوفى سنة ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية).
٤٤. السيرة الذاتية للشاعر مخطوطة.
٤٥. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، ط٣(دار الفكر - بيروت ١٩٩١).
٤٦. شفرات النص، صلاح فضل، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة ١٩٩٥م).
٤٧. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم -، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجففي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١(دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ).
٤٨. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٥٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت).
٤٩. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢(بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٤).
٥٠. الصوت القديم - الجديد، دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث، د.عبد الله الغلامي، د.ط(الرياض - مكتبة الملك فهد ١٩٩٩).
٥١. الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ط٣(دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٣).
٥٢. الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، أحمد علي دهمان، ط٢(مصر - العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠٠).
٥٣. الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، علي الغريب محمد شناوي، ط١(مكتبة الآداب - القاهرة ٢٠٠٣).

٥٤. الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، ط١ (دار الفكر اللبناني - بيروت ١٩٨٦).
٥٥. الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، بشرى موسى صالح، ط١ (المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٤).
٥٦. الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، ط١ (بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٢).
٥٧. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ط٣ (المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٢).
٥٨. الصورة الفنية في شعر درويش، عاطف أبو حمادة، د ط (الاتحاد العام للمراكز الثقافية - غزة ١٩٩٨).
٥٩. الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، يحيى زكريا الاغا ط١ (دار الحكمة للنشر والتوزيع - غزة ١٩٩٨).
٦٠. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي المتوفى ٧٤٥هـ، ط١ (بيروت - المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ).
٦١. علم البيان، عبد العزيز عتيق، د. ط (دار النهضة - بيروت ١٩٧٤).
٦٢. علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، د. ط (دار النهضة - بيروت د.ت).
٦٣. العمدة، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأردني، ط٤ (بيروت - دار الجيل ١٩٧٢).
٦٤. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، تقي الدين 'ابن فقيه فصة، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلبي الأزهرى الدمشقي المتوفى سنة: ١٠٧١هـ، تحقيق: عصام رواسي قلجعي، ط١ (دار المأمون للتراث - ١٤٠٧هـ).
٦٥. فصول في الشعر ونقده، شوقي ضيف، ط٢ (دار المعارف - القاهرة).
٦٦. في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل، ط٢ (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨١).
٦٧. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط٦ (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨١).
٦٨. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، ط١ (القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٧٩).
٦٩. قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف ثعلب، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، د. ط (القاهرة ١٩٤٨م).
٧٠. القول الشعري - منظورات معاصرة -، رجاء عيد، (منشأة المعارف، الإسكندرية).
٧١. الكافي في علوم البلاغة، عيسى علي كلوب وعلي سعيد الشتيوي، ط١ (بنغازي - دار الكتب الوطنية ١٩٩٣).

٧٢. كتاب القوافي، التتوخي ، أبو علي عبد الباقي عبد الله بن المحسن التتوخي، تحقيق: عوني عبد الرؤوف، ط٢ (القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٨).
٧٣. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد المتوفي ٥٣٨هـ، ط٣ (دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ).
٧٤. لزوم ما لا يلزم" اللزوميات " ، المعري، أبو العلاء أحمد عبد الله الضرير، د.ط (بيروت - دار صادر، د.ت)م١.
٧٥. لسان العرب، ابن منظور: (العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري -المتوفى سنة: ٧١١م) تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب -محمد الصادق العبيدي، ط٣ (دار إحياء التراث العربي - بيروت -لبنان - ٢٠٠٣م).
٧٦. لغة الشعر الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الأبداعية، السعيد الورقي، ط٣ (دار النهضة العربية -بيروت -لبنان ١٩٨٤).
٧٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن أبي المكرم بن الأثير الجزري) تحقيق: كامل محمد عويضة، ط١ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٩٨).
٧٨. مختار الصحاح، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المتوفى ٦٦٦هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥ (بيروت -صيدا -المكتبة العصرية ١٩٩٩م).
٧٩. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى المتوفى ٤٥٨هـ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١ (بيروت - دار إحياء التراث العربي ١٩٩٦).
٨٠. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، د.ط (جدة -دار الشروق ١٩٨٣).
٨١. المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، ط٢ (بيروت - دار الفكر ١٩٧٠).
٨٢. مشكلة المعنى في النقد الحديث، مصطفى ناصف، (مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٦٥م).
٨٣. المصباح في علم المعاني والبيان والبدیع، بدر الدين بن بن مالك، د.ط (القاهرة ١٤٤١هـ).
٨٤. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، أبو الفضل زيد الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي المتوفى سنة: ٨٠٦هـ، ط١ (دار ابن حزم -بيروت -لبنان، ٢٠٠٥م).
٨٥. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي توفي سنة ٦٠٦هـ)، ط٣ (دار إحياء التراث العربي -بيروت ١٤٢٠هـ).
٨٦. مفتاح العلوم، ابن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي متوفى سنة ٦٢٦هـ، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ (بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٧).
٨٧. المفصل في تاريخ الأدب العربي، في العصور القديمة والوسيطه والحديثه، أحمد الإسكندري وآخرون، ط٢ (بيروت -دار إحياء العلوم ٢٠٠٤م).

٨٨. مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ط٣ (الجزائر - دار الحقائق ١٩٨٣).
٨٩. مقالات نقدية، محمود الربيعي، (مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٣ م).
٩٠. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، د. ط (دار النهضة - القاهرة - د. ت).
٩١. مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٢).
٩٢. من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، نشر (الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٤).
٩٣. منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة، ط٢ (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨١ م).
٩٤. منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط٦ (دار الشروق - بيروت ١٩٨٣).
٩٥. موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، د: سيد البحراوي، ط١ (القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦ م).
٩٦. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، د. ط (بيروت - دار القلم د. ت).
٩٧. نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، عبد الرحمن رأفت الباشا، د. ط (القاهرة - دار الأدب الإسلامي د. ت).
٩٨. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ط١ (القاهرة - دار الشروق د. ت).
٩٩. النقد الأدبي الحديث، حماد أبو شوايش، د. ط (د. م ٢٠١٠).
١٠٠. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، د. ط (دار الثقافة - بيروت ١٩٧٣).
١٠١. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ط١ (بيروت - دار الكتب العلمية د. ت).
١٠٢. نقد النثر، قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، د. ط (القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣).

ثالثاً: المواقع الالكترونية :

١٠٣. مدونة الشاعر الإسلامي أحمد محمد الصديق، <http://ashaer.blogspot.com>
١٠٤. إسلام سيفلايزيشن - السيد فالح آل الحجة الكيلاني <http://falih.ahlamontada.net/t479-to>
١٠٥. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://ar.wikipedia.org/wiki>
١٠٦. وزارة الثقافة والفنون والتراث بوابة قطر الثقافية، <http://www.moc.gov.qa/Arabic/Authors/Pages>
١٠٧. منتدى مزامير، <http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=126004>

١٠٨. مجلة الفاتح، العدد الرابع، <http://al-fateh.net/hide/arch/for/siddic.htm>
١٠٩. منتديات ستار تايمز، تعريف الأدب، يوم الإثنين
١١٠. منتديات سيدتي، تعريف الأدب يوم الاثنين، س: ١٠، <http://www.startimes.com/f.aspx?t=32168834> بتاريخ ٢-١١-٢٠١٣م.
- <http://forum.sedty.com/t70555.htm>
١١١. رابطة الأدب الإسلامي العالمية، <http://www.adabislami.org>
١١٢. جابر قميحة، وقفة مع تعريفات الأدب الإسلامي، <http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=16544>.
١١٣. شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، الأدب الإسلامي، التعريف والنشأة والخصائص، http://www.alukah.net/literature_language/0/47058
١١٤. مدونة سيد صالح، (من ديوان طيور الجنة للشاعر أحمد الصديق، يوم الثلاثاء: ١٥ مارس ٢٠١١م)، http://sayyedsaleh.blogspot.com/2011/03/blog-post_299.html#.VGYPo_msVwU
١١٥. شبكة فلسطين للحوار، المحور الثقافي، <https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1099963>
١١٦. جابر قميحة، التصوير البياني، رابطة أدباء الشام: 2007-08-11 <http://www.odabasham.net/show.php?sid=13232>
١١٧. أحمد فتحي رمضان، بلاغة تراسل الحواس في القرآن الكريم، ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب، http://ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=463

رابعاً: المجلات والجرائد:

١١٨. بنية الصورة في شعر أبي تمام، فهد عكام، دار التراث العربي، (عدد ١١-١٢، نيسان - تموز ١٩٨٣)
١١٩. جريدة الشرق، العدد ٨٨٨٤، الجمعة، ١٢ أكتوبر ٢٠١٢، زاوية متابعات
١٢٠. مجلة البعث الإسلامي، الهند عدد رمضان، شوال سنة ١٤٠١.
١٢١. مجلة فصول، المجلد الثامن، العددان ١ و ٢، مايو ١٩٨٩، عبدالكريم حسن، "لغة الشعر في زهرة الكيمياء بين تحولات المعنى ومعنى التحولات".

خامساً: الرسائل العلمية:

١٢٢. الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، يوسف شحدة الكلوت، رسالة دكتوراة، إشراف د:عباس محجوب، السودان ١٩٩٩م.
١٢٣. الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد فرح عقيلان، علي يوسف اليعقوبي، رسالة ماجستير، (السودان د- ت).
١٢٤. محمد العدناني شاعرا، يوسف شحدة الكلوت، رسالة ماجستير، إشراف د: بشير عباس بشير، (السودان -جامعة أم درمان ١٩٨٧).
١٢٥. مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة تيم، رسالة دكتوراة، د.ط(جامعة أم القرى -السعودية د.ت).

فهرس المحتويات

ج	الإهداء.....
ح	شكر وعرفان.....
خ	مقدمة.....
د	أولاً: أهمية الموضوع.....
د	ثانياً: أسباب اختياري لدراسة الاتجاه الإسلامي.....
د	ثالثاً: سبب اختيار الشاعر أحمد محمد الصديق.....
س	تمهيد.....
س	أولاً: نشأة الشاعر.....
ط	ثانياً: مفهوم الاتجاه الإسلامي في الأدب.....
١	الفصل الأول: المصادر الإسلامية في شعر أحمد الصديق.....
٣	المبحث الأول: القرآن الكريم.....
٨	المبحث الثاني: الحديث الشريف.....
١٢	المبحث الثالث: التاريخ الإسلامي.....
١٦	الفصل الثاني: الاتجاهات الإسلامية في شعر أحمد الصديق.....
١٧	المبحث الأول: الاتجاه الديني والإسلامي.....
٣٠	المبحث الثاني: الاتجاه الوطني.....
٤٥	المبحث الثالث: الاتجاه الاجتماعي.....
٥٤	المبحث الرابع: الاتجاه السياسي والقومي.....
٦٦	الفصل الثالث: اللغة عند أحمد الصديق.....
٦٧	المبحث الأول: مفهوم اللغة الشعرية.....
٧٢	المبحث الثاني: المعجم الشعري.....
٧٩	المبحث الثالث: الأساليب البلاغية.....
٩٦	الفصل الرابع: الصورة في شعر أحمد الصديق.....
٩٧	المبحث الأول: مفهوم الصورة الشعرية.....
١٠١	المبحث الثاني: أنماط الصورة.....
١١٧	المبحث الثالث: وسائل تشكيل الصورة.....
١٢٦	الفصل الخامس: الموسيقى في شعر أحمد الصديق.....
١٢٧	المبحث الأول: مفهوم الموسيقى الشعرية.....
١٢٨	المبحث الثاني: الموسيقى الخارجية.....
١٤١	المبحث الثالث: الموسيقى الداخلية.....
١٥٥	الخاتمة.....
١٥٨	المصادر والمراجع.....